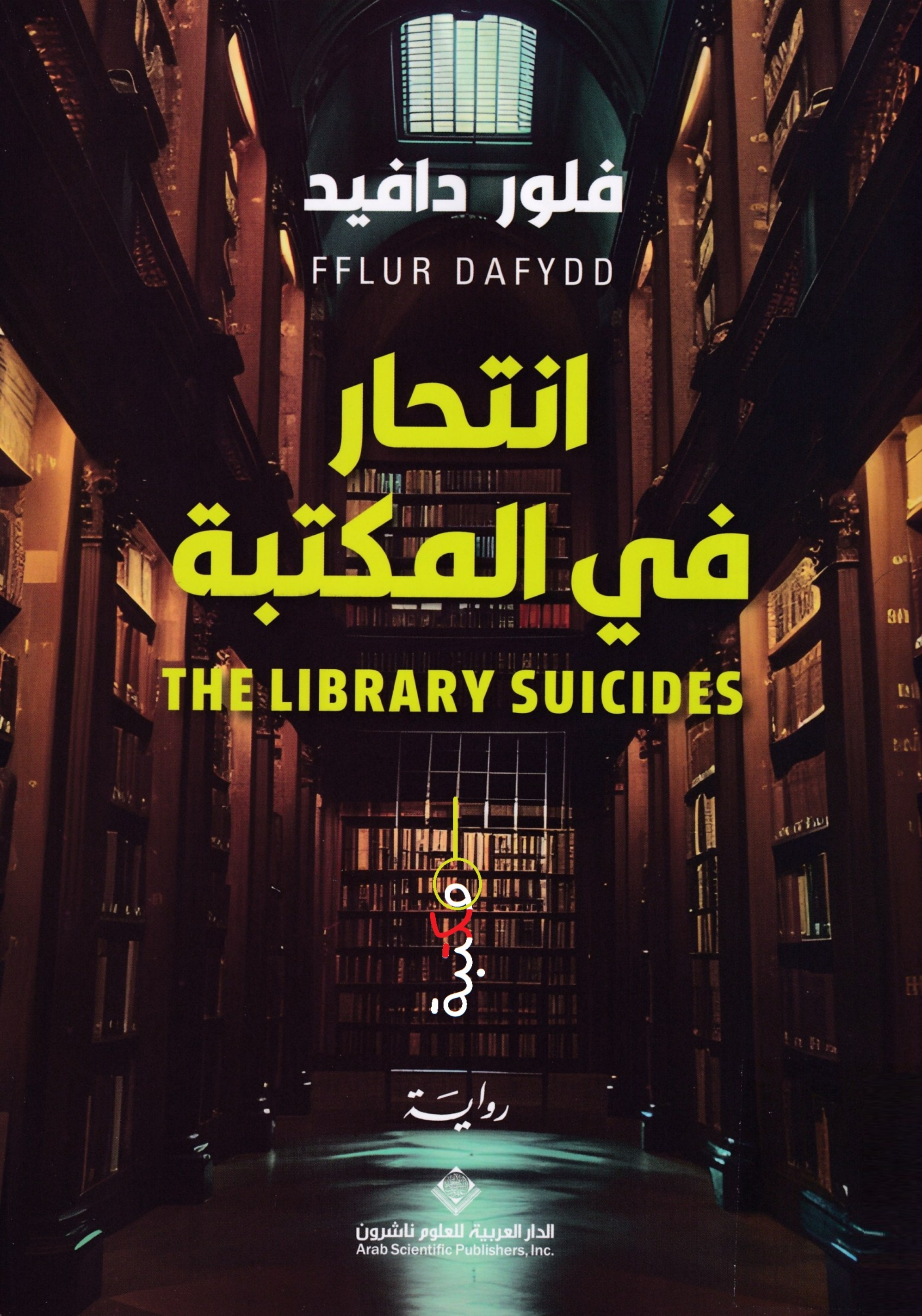

فلور دافيد

FFLUR DAFYDD

انتحار في المكتبة

THE LIBRARY SUICIDES

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

انتحار في المكتبة

THE LIBRARY SUICIDES

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
THE LIBRARY SUICIDES
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من المؤلف
Fflur Dafydd Cyf of A.M. Health & Co. Ltd.,
6 Warwich Court, London WC1R 5DJ, UK.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون
Copyright © 2023 by Fflur Dafydd
All rights reserved
Arabic Copyright © 2024 by Arab Scientific Publishers, Inc.
Published with the support of Wales Literature Exchange translation award through Arts Council of Wales National Lottery Funding.

Cyfnewidfa Lên Cymru
Wales Literature Exchange

الطبعة الأولى: آذار/مارس 2024 م - 1445 هـ

ردمك 978-614-01-3710-3

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

التوزيع في المملكة العربية السعودية
شركة الدار العربية للعلوم ناشرون للنشر
السجل التجاري 1010921463

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

مكتبة
t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون**

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

فلور دافيد
FFLUR DAFYDD

انتحار في المكتبة
THE LIBRARY SUICIDES

مكتبة
t.me/soramnqraa

تعريب
إسماعيل كاظم

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

في ذكرى الحبيبة سيان إلفين جونز

مثل الزبد الذي يتلاشى على الشواطئ الوحيدة،
وأوبرا الرياح التي لا يسمعها أحد،
أعلم أنهم ينادون علينا عبثاً لكي نستمع،
إلى تلك الأشياء القديمة المنسية التي أحببناها كثيراً.

والدو ويليامز، ترجمها عن الإنكليزية مينا إيلفين

فــي الحقيقة، تشــبه الذكريات مكتبة مرتبــة بالترتيب الأبجدي المعاكس، وخالية من أعمال أي شخص.

جوزيف برودسكي

آنّا ونان

مكتبة
t.me/soramnqraa

9:00 مساءً

لطالما رأت الشـقيقتان نفسـيهما بين النوارس، حتى عندما كانتا طفلتين. كانت ذوات الريش تقف مســاء كل يوم على حافة نافذة الحمام، وتشــاهدهما وهما تستحمان، وكانتا تراقبانها بأعينهما الفضولية ذات الجفون الوردية. أومض شيء بينهما أدى إلى تعارفهما، وانتقل شيء سام بينهما. كانت والدتهما تصرخ قائلة: جرذان ذات أجنحة، قبل أن تطردها بعيداً. ولكن الطيور كانت تعود دائماً؛ على عكس والدتهما، التي لم تستطع العودة بالسهولة نفسها بعد أن سقطت عن الحافة قبل ستة أشهر.

الآن تشعر آنّا ونان براحة غريبة، عندما تريان النوارس تقف عند حافة النافذة أثناء اســتحمامهما. كانت قوائم النوارس تتحرك ببطء وثقة على الحافة الضيقة التي وقفت عليها أمهما ذات يوم. شــاهدها التوأم بذهول، وهي تدفع بعضها، وشاهد كيف يعود الطائر المطرود بعد ثانية، وكأنه لا يخشى السقوط.

رأى التوأم النوارس وهي تلف رؤوسها القبيحة، وهي تحاول تفسير سبب جلوس امرأتين متطابقتين، إحداهما مقابل الأخرى، في حوض الاستحمام كل مســاء، وهما تشكلان فقاقيع بيضاء، حتى تحجب الرغوة كل واحدة منهما. إن الهيكل العائم على الماء الذي تُشكّله كل واحدة منهما هو نسخة من ذلك المبنى أعلى التلّ حيث تعملان. كانتا تريان في نفســيهما مهندستي رغوة، تُشكلان من الكتلة غير المنتظمة معالم مكتبة صغيرة؛ تنســجان نوافذ من شبكات الفقاعات

البيضاء الناعمة، وتشـكّلان سـلالم ذات رائحة عطرة، وتثبتان حوافها وزواياها بواسطة أيديهما، وتنحت أظفارهما غرف القراءة والمحفوظات، مع سعيهما إلى أن يكون السـقف الأبيض قوياً بما يكفي حتى لا ينهار فوق كل شـيء وتضيع جهودهما.

ما لم تستطع النوارس رؤيته أن هذا لم يكن مجرد لعب في الحمام. الليلة، كانت آنّا ونان تسـتعدان لليوم المنتظر، اليوم الذي سـتتوليان فيه إدارة المكتبة، وتكشفان فيه عن أوهام العظمة والأمان، لأنها كانت دائماً سراباً مثل الصابون.

«متى تعتقدين أننا سنستحم مرة أخرى؟». سألت نان وهي تمرر راحة يدها اليمنى لصنع السطح الأدنى من المبنى، وهو في الواقع، مستوى تحت الأرض، ستدخلان نسخته الخرسانية قريباً.

عرفت آنّا حقيقة ما ترمي إليه نان بقولها هذا. لن يكون هناك استحمام في السجن، ولا مثل هذه الحميمية، ولا مزيد من الاستحمامات التي تجمعهما، لن يكون هناك مزيد من الوقت الذي يجمعهما.

أجابتها آنّا وهي تمسـح قطرات العرق عن خدها: «ربما سـتمضي سنوات قبل أن نسـتحم مجدّداً هكذا». وأردفت «لا بد من القليل من التضحية». قالت ذلـك وهي تُمرر أصابعها على الجزء الخلفي من الهيكل، وهي تتخيل نفسـها تدخله خلف نان، كما خطّطتا. ملّسـت بإبهامها الأيسـر ما بدا كأنه درجة، ثم استخدمت خنصرها الأيمن لتصنع إطار الباب.

قالـت نـان: «أعرف أنك تفكرين بوالدتنـا». وتحرّكت فجأة، فما كان من ثدييها إلا أن دمّرا نصف صالة المطالعة الشـمالية. «تتسـاءلين ماذا سـتفعل في كل هذا، أليس كذلك؟».

غطسـت نان أكثر في الرغوة، وهي تدفع قاعة القراءة في الطابق السـفلي للمكتبة بأصابع قدميها، وشـكّل شـعرها غابة مظلمة على سـطح المكتبة. إن المبنى ينهار الآن؛ بعد أن أصبحت الرغوة عديمة الشكل، حتى النوارس فقدت

اهتمامها. كرهت نان الطريقة التي تصرّ فيها آنّا على أنها تستطيع قراءة أفكارها، وكأن عقلها كان غرفة فارغة تتجول فيها كما تشاء؛ تفتح الأبواب وتغلقها، تفتش في الخزائن، تمرر أصابعها فوق كل شــيء. أما نان فلم تســتطع قراءة أفكار آنّا؛ فالأبواب كانت دائماً مغلقة، والنوافذ مظلمة.

«نعــم، أعتقــد أنني كذبت». كذبت نان، وهي مرتاحة على الأقل لأن أحداً لا يستطيع قراءة أفكارها.

«أعتقد أنها ستوافق على كل هذا. فهو ما تريده، ولا أعتقد أنه يجب علينا أن نخاف».

لم تكن نان خائفة، بل كانت متحمســة. مهما يحدث، مهما تتطور الأمور في النهاية، سيكون ذلك نهاية لشيء ما، وبداية لشيء آخر.

«إذا بقينا ملتزمتين بالخطّة». أردفت آنّا «ســنكون بخير. لن يحدث شــيء سيئ».

سيســير كل شــيء بطريقة خاطئة، فكّرت نان. وهكذا عرفت أن أختها لا تســتطيع قراءة أفكارها. لأن أختها لا تزال تعتقد أنها ستنفّذ الأمر بالطريقة التي خطّطتا لها، ولكنها لم تكن تنوي الالتزام بالخطّة، فهي ستنفّذ الأمر وفقاً لطريقتها، حتى وإن اقتضى الأمر أن تسجن لفترة أطول، وأن لا تستحم بهذه الطريقة مرة أخرى. لطالما تخيّلت نفسها وهي تحمل مسدساً بيدها، وتُسيطر على كل شيء. إنها تتوق لمعرفة ما ستشعر به عندما تضغط على الزناد.

تابعت آنّا: «سنفعل كل ما خطّطنا له، ففي نهاية المطاف أنا وأنت شخص واحد، أليس كذلك؟».

حرّكــت آنّــا قدمها نحو نان، فرفعت الأخيرة قدمها وضغطت عليها، وهي التــي تعــرف أن آنّا تعتبر هذه اللحظة لحظة اتحــاد، أما هي فتراها على خلاف ذلك: إشــارة حقيقية وجسدية إلى وجود حدود بينهما. حيث ينتهي شيء ويبدأ شيء آخر.

«آنّا ونان. شخص واحد. روح واحدة. إنهما متناظرتان».

وأخفت نان ابتسامتها في الفقاعات.

كانت آنّا مهووسة بحقيقة أن اسميهما يمكن أن يقرأا بالطريقة نفسها سواء بُدئ بالقراءة من البداية أو من النهاية. لقد اقتنعت آنّا بأن والدتهما اختارت هذين الاسمين بحيث تبقى هويتهما قوية ولا تتزعزع. أما نان فلم ترَ الأمر هكذا. رأت أن بساطة الاسمين تدل على غياب الإلهام، كانا محايدين جداً. عندما كانت طفلة تمنت أن يكون اسمها أطول وأكثر فخامة، اسماً مُركّباً على سبيل المثال. اسماً ينمّ عن التمرد مثل أريان الذي يعني عجلة فضية، أو جونيفير الذي يعني فتاة متوهجة في الظلام. اسم جميل ومخيف في الوقت نفسه.

«التناظر»، همست نان بهدوء، وهي تفتح فمها لابتلاع بقايا الصابون.

* * *

بينما كانت تلمس سدّادة الحوض لتصريف الماء، رأت آنّا أن النوارس المتشابهة طارت بعيداً، تاركة مكانها نورساً غريباً أسود الرأس. سبق لها أن رأته عدة مرات، يتجول في المتنزّه بالقرب من الشقة، ويصرخ في وجه المتنزّهين النهاريين، يفتخر برأسه الذي يبدو وكأنه أُغرق بالقطران. لم يسبق له أن تجرأ على الاقتراب منهما إلى هذا الحدّ والتحديق إليهما. اعتقدت آنّا أنه يريد أن يعرف ما الذي تعتزمان عليه، ويريد أن يكون جزءاً منه.

قالت نان: «تجاهليه، إنه يريد أن يحظى باهتمامك، فلا تدعيه ينل مبتغاه».

لم تستطع آنّا أن تقاوم النظر إليه، بطريقة ما وجدت نفسها تختلس النظر إليه كلما شطفت نان الصابون عن شعرها. شعرت أنه يسخر منهما؛ بالطريقة التي أخاف بها النوارس اللطيفة، أراد أن يظهر فرادته، وتفرّده. بدا وكأنه يقول إن التوأم ليستا اثنتين فمن دون وجود وحمة واحدة، أو ندبة، أو عيب يفرق بينهما، بدتا له أنهما الغريبتان وليس هو. فجأة وقفت، على أمل أن يخيفه عريها، لكنه لم يتحرك.

صرخت: «اذهب». كما فعلت والدتها ذات مرة. «اذهب».

قالت نان: «لايزال على شعرك قليل من مرطّب الشعر، عودي إلى الماء».

قالـــت مـــرة أخرى: «اذهب». وبدت هذه المرة أكثـــر تصميماً على إبعاده، وضغطت ثدييها على النافذة.

لكن النورس أسود الرأس لم يتزحزح، بل أخفض رأسه، وكأنه ينتظر شيئاً، ربما كان ينتظر أن تستشيراه بشأن ما تخططان له.

قالت نان بعد أن وقفت فجأة، وأخرجت إحدى ساقيها من الماء: «يمكنك أن تُسرّحي شعرك بمفردك».

توسّلتها آنّا: «ساعديني على التخلّص منه». وتشبثت بذراع أُختها الرطبة.

مدّت نان يدها لفتح النافذة، فتحرك النورس من مكانه، كان يُفترض بهذه الحركة أن تكون النهاية لما يزعجها، ولكن الطائر فهم من فتح النافذة دعوة له للدخول، فانزلق عبرها إلى الحمام. ذعرت الشـــقيقتان، بينما راح الطائر يرفرف ويزعـــق فوقهما وهمـــا تتصارعان معه عاريتين، وقد بللـــت أصابعهما المغطاة بالصابون ريشه. هرب منهما النورس قبل أن يقف فجأة أمام المرآة.

ربما كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها النورس أسود الرأس انعكاس صورتـــه. ربما ظن أن هذا ما تســـير وفقه الأمـــور؛ فعند دخول عالم التوائم هذا ما يحدث؛ ســـيتضاعف كل شيء وكل شخص. سيصبح كل شيء صورة مثالية وواضحة ومشـــرقة عن الآخر. جلس هناك على جانب الحوض لبعض الوقت، يحاول فهم الأمور.

قالت نان بهدوء، وكأن الطائر قد يفهم ما تقوله: «أمسكيه، أمسكي به الآن».

تجمّـــدت آنّا في مكانها، ولم تســـتطع عيناها أن تبارحاه، في الوقت الذي شـــرع ينقـــر منزعجاً على انعكاس صورته. في النهايـــة، دفعت به نان بعيداً، ثم أمســـكته، وبدلاً من أن تلقي به خارج النافذة، دفعته إلى المغطس الذي كانت مياهه في تناقص مستمر. ابتعدت آنّا، وهي تراقبه يتعارك من دون هوادة مع يديّ

نـــان، وهـــي التي تعرف أن الماء ســـينفد قريباً. لكن كان لدى نان خطط أخرى، فقد كسرت رقبته في الوقت نفسه الذي عبرت آخر قطرة ماء مصرف المغطس.

قالت آنّا: «لم أكن أعرف أنك تستطيعين القيام بذلك». في تلك اللحظة لم تعد أختها وتوأمها، بل أصبحت الكائن نفسه مثل النورس أسود الرأس.

أجابتها نان بهدوء غريب: «ولا أنا».

فاحـــت الآن رائحـــة غريبة في الحمام، اختلطت رائحـــة الرصيف برائحة الموت برائحة البخار المعطر الخارج من جسديهما. سلّمت نان الطائر إلى آنّا.

قالـــت: «يمكنك التخلص منه». لفّت نفســـها بمنشـــفة، وغادرت الحمام، وتركت آنّا وحدها مع الطائر الميت متدلياً من قبضة يدها.

لم تتحمّل آنّا لمسه، فألقت به من النافذة المفتوحة، ثم أحكمت إغلاقها، وأســـندت رأســـها عليها، وحاولت ألا تفكر في الطريقة التي يسقط فيها الطائر عبر الهواء قبل أن يصطدم بالأرض. لم تفكر أنه دخل حياً وخرج ميتاً بسببهما.

بعـــد بضع دقائق، وبعد أن تحققت من إغـــلاق الأبواب، وإطفاء الأنوار، عادت إلى غرفتهما فوجدت نان نائمة، وقد كورت نفسها بعيداً وأولتها ظهرها. شـــعرت بخيبة أمل من الطريقة التي انتهـــت بها هذه الليلة، مفترضة أن الحادثة ألقـــت بثقلها عليهما، وهما اللتان تحتاجان إلى الحفاظ على طاقتيهما من أجل تنفيذ ما خططتا له، ولم تحظيا بقسط وافر من النوم في الأشهر الماضية. تمدّدت بجانـــب نان، وتحرّكت في محاولة لإيقاظهـــا، ولكن تبيّن لها أنها تغط في نوم عميق، فاكتفت بالاستلقاء إلى جانبها، وسعت إلى تصفية ذهنها، وتحمل جمود شقيقتها، التي تعتبر الغد مجرد يوم عمل عادي. فكّرت أن سائر الأشخاص هم أغبياء، لأن حياتهم لن تكون هي نفســـها، سيكون هناك غبي على وجه التحديد يســـير بينهم على تلك السجادة الحمراء، غبي سبّب لهما هذا في المقام الأول، غبي سيحصل أخيراً على ما يستحقه.

لم يمضِ وقت طويل حتى وجدت نفســـها تدخل ظلاماً ســـبق لشـــريكتها

في المؤامرة أن دخلته، إنه المكان الوحيد الذي تستطيع أن تكون فيه بمفردها، حيث تنتظرها رؤية واحدة، رؤية تتكرر طوال الليل، خلف جفنيها الرقيقين؛ مكتبة الصابون والريش تتطور، فقاعةً فقاعة، ريشةً بعد ريشة، حجراً بعد حجر، لتصبح المكتبة الوطنية فوق ذلك التل؛ مبنى يشرق بوضوح في وجه الظلام، بجرأة في وجه الليل، بدون أدنى فكرة عما سيجلبه الصباح.

مكتبة
t.me/soramnqraa

إبين

7:00 صباحاً

قرر إبين أن اليوم سيكون اليوم الذي سيبدأ فيه تلك التأكيدات اليومية التي كانت معالجته تحرص على قيامه بها. لقد حاول مراراً وتكراراً من قبل، وبالطبع، أكـــدت المعالجـــة أن هذه التأكيدات يجب أن تُنفذ فـــي بداية كل يوم، وبالتالي لم يســـتطع تخطيها. إن مجرد التفكير في اضطراره إلى الوقوف أمام المرآة في الصبـــاح الباكر، ببطنه المنتفخ والملطخ بالبقع، كان أمراً صعباً عليه. وتخيّل أن أي شخص في حالته العقلية السوية، لن يعتبر ذلك صورة تستحق التأكيد.

مـــع ذلك، عرف اليـــوم أن عليه أن يُنحي مخاوفه جانباً. كان مهماً جداً أن يدخـــل المكتبـــة الوطنية مرفوع الرأس، مقتنعاً بحقيقة أنـــه ينتمي إليها، وأنه لم يرتكب أي خطأ. في غياب أي شـــخص آخر حوله ليؤكد قراره - باســـتثناء قطته غير المهتمة - كان عليه ببســـاطة أن يقول إنه ليس هناك شـــرّ في طلبه الوصول إلى تلك المواد في المكتبة الوطنية، وأن هذه طريقته للتكفير عن شـــيء يعرف أنه لم يقترفه. إنها نوع من الاستجابة الدقيقة والمضمونة للاتهام.

لقد مضى عليه وقت وهو مســـتيقظ، يحدق إلى الدوائر المرســـومة على الســـقف، يحـــاول تجنب اللحظة التي ســـيواجه فيها فظاعتـــه الذاتية. لم تأخذ المعالجـــة فـــي الاعتبار، في كل هذا، ما يتطلبه حقاً للبدء في العمل في الصباح الباكـــر. كان يعانـــي من آلام في رقبته التي كانت تحتاج إلى تقويم قبل أن يفعل أي شـــيء آخر، ولذا مدّ يده إلى أسفل السرير والتقط منشفته المطوية المعتادة،

ووضعها تحت رقبته ورفعها حتى شـعر بالراحة عندما وضع رأسـه في المكان المعهود. ثم جلب رذاذ الأنف لتخفيف الاحتقان الذي تراكم طوال الليل، لكنه رش معظمـه في عينـه، وهو يحاول توجيهه إلى أنفه، وهذا ما جعله يصرخ من الألم. الخطوة النهائية في تحضير نفسـه هي الاختيار بين العدسات اللاصقة أو النظارة، لقد كان الاختيار سـهلاً عليه لأن دموعه كانت تسـيل، لكنه توقف قبل وضعها، عندما تذكر أن المعالجة لم تحدد بالفعل إن كان عليه أن يتفحص نفسه برؤية واضحة بنسبة 20/ 20.

اقترب من المرآة بحذر، ورأى الصورة أمامه مشوشـة. بالرغم من كل ثقة معالجتـه، لم تتنبـأ بهذه الثغرة المحددة في هذا الهراء من التأكيد الذاتي. أدرك الآن أنه يمكنه التعامل مع الحديث والنظر إلى نفسـه ما دام ما يتعامل معه هو ضباب من الألوان والملامح، والذي يمكن أن يكون أي شخص. لام نفسه لأنه لم يسبق له أن فكّر في الأمر؛ نصف اعتراف بنفسه، ونصف قبول أعمى بأنه كان كافياً. «ربما أنا ببسـاطة شـخص يفعل الأشياء نصفين»، قال لنفسه، مهنئاً نفسه بهذا التأكيد الأصلي إلى حدٍ ما.

«أشعر...». خاطب بصوت مرتفع الكتلة غير الواضحة الظاهرة في المرآة، وهو يحاول التعود على صوته في الغرفة ذات الهواء الجاف. «أشـعر بالثقة في كل موقف».

فجأة، لاحظ أن القطة تحدق إليه من زاوية الحمام، مُشكّكة.

أخفض إبين كتفيه، محاولاً أن يظهر أكثر ثقة.

بدا أكثر ثقة هذه المرة عندما قال: «أنا أُحب نفسي كما أنا» مع أنه اعتبر أن هذا التأكيد، هو الأقل صدقية بين كل التأكيدات المدرجة على قائمة المعالجة.

أخيراً، وبناءً على طلب المعالجة – ولأنه كان يحتاج أن يقول أربع عبارات على الأقل- أجبر فمه الجاف والمتردّد على نطق الكلمات:

«لست مسؤولاً عن موت إيلينا أوديغ».

شعر بحرارة العار تغزو رقبته، وهو يتخيّل تردد صدى أصوات آخرين في شتى أرجاء البلدة، كلهم يتفوهون بالتأكيدات التي طلبتها منهم المعالجة النفسية؛ هـذه المعالجة تتمتـع بقوة رهيبة، فهي تعرف من حيث تجلس على كرسـيها الجلدي المتهالك، كل شيء عن أهل هذه البلدة، وتحتفظ بكل أسرارهم حتى أصغرها وأتفهها. من هم الأشـخاص الآخرون الذين يؤدون التأكيدات نفسها؟ إنه يتخيّل أنه ليس الوحيد الذي يؤديها، ولكنه مع ذلك يشـعر باليأس والوحدة منذ أشهر على الكارثة، لقد استعاد آخر ما طلبته منه، ولكنه تجاهله بسرعة: ليس هناك من هو أكثر مهارة مني، وهذا كان صحيحاً، فلم يسبق لأحد أن قضى على مؤلف من خلال سلسـلة من الهجمات اللاذعة في الصحافة؛ لم تُعتبر كلمات أي شـخص غيره في الصحافة جريمة كر\اهية والتي يُقال إنها جعلت امرأة تفقد صوابها، وتقفز من حافة النافذة.

بالرغـم مـن كل هذا، أمل إبيـن في ترك كل هذا خلفـه. أو على الأقل، اسـتخدام مجموعة مهاراته الفريدة في شـيء جيد. أقنعته المعالجة في النهاية بـأن اهتمامه بها هو ما اعتقده الآخرون بشـكل خاطـئ تدميراً لها. لقد توصّل إلـى فكرة بسـيطة مفادها أنه كان يقوم بعمله. أليس من واجب النقاد تشـريح أعمال الكتّاب، وإظهار نقاط الضعف، وجذب انتباه القراء الأقل ملاحظة بحيث يستطيعون المطالبة بمزيد من كتّابهم في المستقبل؟ ألم يحاول جذب انتباه إيلينا من خلال ذلك؛ والتأكيد على أنه يتوقع منها مزيداً. في الواقع، كان يعرف أنها قادرة على تقديم شيء أعمق وأفضل؟ ألم ينوِ دفعها إلى حافة عبقريتها بدلاً من دفعها للقفز من حافة نافذة حمامها؟

هزّ رأسـه مرة أخرى عندما تذكّر التفاصيل، تذكّر تفاصيل السـقوط التي قرأها على الإنترنت. وكيف انساب دماغها على الرصيف من جمجمتها، وكيف تدحرجت قشـرته الجبهية خارج الجمجمة قبل أن تنقض عليها النوارس، هذه القشرة التي حيكت فيها أكثر حبكات قصصها تشويقاً.

خاطب نفسه قائلاً: «توقف عن ذلك، يا إبين». حاول التنفس لمسح تلك الصور من دماغه الذي لا يزال سليماً. كل ما يهم الآن هو أنه، في النهاية، سيطلع على يوميات إيلينا أوديغ. سيكون أول من يحصل عليها.

بالطبع، سبق له أن قدّم العديد من الطلبات التي رُفضت كلها في البداية. ثم أدرك أنه يحتاج إلى القيام بمشروع يبرر له الاطلاع على اليوميات، فكتب رسالة مطولة إلى ابنتيها يطلب منهما منحه الإذن لكتابة سيرة إيلينا الذاتية، وهي مهمة ستكون مستحيلة، ما لم يُتح له الوصول إلى هذه اليوميات. بعد فترة انتظار طويلة، تلقى تأكيداً عبر المكتبة بأنهما سعيدتان بمنحه الإذن، وأنه سيُمنح حقاً حصرياً للبدء في البحث، بهدف نشر سيرتها الذاتية، إذا وافقت ابنتاها على الطريقة التي سيعرض فيها السيرة. بطريقة ما رأى في موافقتهما تبرئة له: ربما تشير موافقتهما إلى أنهما تمتلكان ما يكفي من العقلانية والمنطق حتى لا تحمّلاه مسؤولية انتحارها، كما فعل الآخرون، وربما رأتا أنه لا يوجد أفضل من الشخص الأكثر انتقاداً لها ليكتب سيرتها.

استحم وقرر ألا يحلق ذقنه خوفاً من أن يجرح نفسه، فمن غير المناسب أن يصل إلى المكتبة وهو يقطر دماً، ثم ارتدى بذلته. كان الزي الرسمي تحولاً بالنسبة إليه، فلم يسبق له أن فكّر في ما يرتديه ليذهب إلى المكتبة، لكنه شعر بأن المناسبة تستدعي ذلك. عليك أن ترتدي الملابس بشكل مناسب، إذا أردت أن يُعتَدّ بك بجدية كمؤلّف سيرة ذاتية. سترة زرقاء داكنة، وربطة عنق خردلية اللون لإظهار شخصيته، ولكنه لا يريد أن تظهر شخصيته بشكل طاغٍ، فلا يريد أحد أن يكون لدى مؤلف سيرة ذاتية شخصية طاغية، لأن شيئاً من هذا القبيل يمكن أن يحجب شخصيتهم. ولكنك تريد شيئاً يظهر شخصيتك لمن ينظرون إليك، خصوصاً إذا كنت ستكتب سيرة ذاتية لشخص ميت.

كان بالضبط نوع التأييد الذي أمل في أن يحصل عليه الكاتب. عرض من الخردل والعسل لسيرة ذاتية، حلوة وحادة. سيطلب من صديقه، فرانكتون،

كتابتهـــا. يُعتبــر فرانكتون خبيراً في جميع الأمور الأدبية في هذا البلد، مع أنه لا يمتلك أي مؤهلات خاصة. لقد حوّل نفسه إلى ناقد، باستخدام الإنترنت لإنشاء شـــخصية مناسبة تماماً، بينما كان يجلس مرتدياً سرواله أمام حاسوبه المحمول يـــأكل الفطائــر، ويكتب دون أي اهتمام أو اعتبار للآخرين. كان دائماً مســـتعداً لتلقي العروض؛ يمكن للكتّاب فعلياً دفع المال له لكتابة مراجعة جيدة وتشويه منافسيهم؛ إنه نظام رائع استفادت منه مجموعة معينة من الكتّاب الذكور لعقود، وهذا ما زاد من مبيعات كتب ليســـت بالمســـتوى المطلوب. لكن الجميع كانوا يعلمون أنه يجب أن يكون إلى جانبهم. لم يكن لدى الكتاب خيار في أن يبقوا خارج دائرة فرانكتون. كان قنبلة مليئة بالكلمات في انتظار الانفجار في وجهك، بحيث تتطاير انتقاداته مثل الشـــظايا في وجهك، لتســـتقر في سيرتك الأدبية إلى الأبد.

سبق لإبين أن التقى فرانكتون قبل عقد من الزمن خلال حفل إطلاق أحد كُتب إيلينا، حيث استجوبه فرانكتون ذو الأسنان السوداء بسبب البقع التي سبّبها شرب النبيذ الأحمر، وسأله عن رأيه بأفكار إيلينا. وبعد أن اجتاز الاختبار الذي لم يكن على علم به، اســـتُدعي ليصبح عضواً في المجموعة السرية التي تسمى سماذرهود وهي مجموعة من المراجعين الذين يسعون إلى القضاء على الكتّاب المزعجين، واعتبارهم غير مؤهّلين للكتابة والنشر. بالطبع، لم ينجحوا مع جميع الكتاب، فقد جعلوا بعضهم أكثر إصراراً، بل أسهموا من دون قصد في جعلهم أكثـــر نجاحاً ورواجاً، ولكنهم تمكنوا مـــن تحقيق بعض الانتصارات الصغيرة، بالإضافة إلى الانتظار الكبير والعظيم، وهذا يختلف باختلاف الطريقة التي تنظر بها إلى الأمر.

مجدّداً خاطب انعكاسه في المرآة: «لا علاقة لي بانتحار إيلينا أوديغ».

دان

7:30 صباحاً

صباح كل يوم، تكون مهمته الأولى القيام بجولة في شتى أنحاء المكتبة قبل وصول الروّاد. بالنسبة إلى دان كانت هذه إحدى المزايا النادرة لوظيفته السيئة، فهي تشعره بإثارة التفوق الذي يتيح له الاستحواذ على المكان الشاسع والقيم حوله. كان يتجول في أرجاء الصالات الشمالية والجنوبية، ويستمتع بميزة أنها لم تُدنّس بعد بعرق القراء وهمساتهم. ثم يتوجه إلى الصالة الرئيسية عبر الدرج المغطّى بالسجاد الأحمر، حيث يمكنه أن يخدع نفسه للحظات بأنه مالك هذا المكان، وأنه هو من اختار كل الأعمال الفنية بعناية ليستمتع بها في وقت فراغه.

إن لعبة تقمّص الأدوار التي يؤدّيها دان لم تستمر سوى لبضع دقائق، قبل أن يخبره صوت تنبيه على الجهاز الخاص به بالتحرك عبر الباب الذي يؤدي إلى الأرشيف ومناطق التخزين إلى الطابق السفلي من المكتبة، وهو الجانب الأكثر ظلمة في المكتبة والذي لا يرغب أحد بأن يراه الجمهور. هنا يتحول المبنى الذي كان فخماً ليصبح متاهة مخيفة، تعمّها الفوضى، حيث تتكدس تذكارات الكتّاب المتوفين في صناديق، بانتظار أن تُنقل إلى مكان آخر، وحيث تتكدس المخطوطات المصفرة بعضها فوق بعض على الرفوف مثل الجثث، كما تتوزع اللوحات التي لا يعرف أحد ما يفعل بها خلف خزائن الملفات، في الوقت الذي تنظر فيه إليك عيون الشخصيات التاريخية المخيفة باتهام وأنت تتجول في الظلام. بالنسبة إلى دان بدا هذا القسم من المكتبة أشبه بأحشاء سفينة؛ لا

يدري الأشخاص الموجودون على سطحها الواسع والنظيف والمرتب شيئاً عن آليات العمل فيها وما تحتاج إليه السفينة لتبدو بالمظهر الذي يرونه.

هنا يأتي دوره. لا يزال مندهشاً من أنهم يثقون به ليكون الشخص الوحيد في المبنى عند مطلع كل صباح، تماماً كما يثقون بجلين، البواب السمين إلى حدٍّ ما، الذي يعمل نهاراً في توصيل الكباب، ثم ينتقل للعمل هنا ليلاً. في إحدى الفترات، احتاجوا إلى بوابين في كل وقت للتأكد من أن البواب الآخر لا ينام خلال الدوام الليلي؛ لكن مع التخفيضات الأخيرة في الميزانية، ومع تقدم الكاميرات اللاسلكية - التي تتتبع حركة كل بواب طوال وقت ورديته - تم اعتبار المبنى آمناً الآن أكثر مما كان عليه في السابق. إن الكاميرات اللاسلكية التي يمكن أن تعلّق على حزام كل بواب، تعني أن الآخرين يمكنهم مشاهدة أفعاله في الوقت الحقيقي، فهم يرون ما يراه كل بواب أمامه أثناء قيامه بجولاته. بالإضافة إلى مراقبته، يمكن لفريق الإدارة أيضاً الاستماع إلى كل ما يقوله من خلال الميكروفون الموجود في الجهاز، لضمان أن كل بواب يجب أن يحترس من لسانه، حتى عندما يكون وحيداً. إذا تمكن دان من الاختفاء عن أعين كاميرات المراقبة، فإن الحزام حول خصره يشعره بأنه سجين وليس حرّاً تماماً. ربما كانت غطرسة كبير البوابين حول هذا الأمر الأمني الجديد والمضمون هي التي دفعت دان للبدء في استكشاف الثغرات في البرنامج، مصمّماً على العثور على نقص في التكنولوجيا، لرؤية ما إذا كان هناك طريقة تتيح له إعادة تكوين الحاضر الكئيب الذي وجد نفسه فيه بطريقة ما.

قبل الانطلاق في الجولة حول المبنى واستلام مهامه من البواب الآخر، يشير دليل السلامة - القاعدة رقم 45 - إلى ضرورة إطلاع جميع البوابين على أحداث الوردية السابقة، حتى لو كان هناك القليل للإبلاغ عنه.

سأل دان: « كيف حالك، جلين؟». وهو يجلس بجانبه أمام شاشات الكاميرات الأمنية. «كيف كانت الليلة الماضية؟».

ردّ جلين، وهو يشير إلى الشاشة اليمنى البعيدة التي تعرض لقطات لسقف المكتبة: «لقد سقطت أنثى نورس على سارية العلم، هناك فوضى عارمة، لم ألحظها إلا عند السابعة والنصف، فكرت أن أترك لك أمر إزالتها، وإلا كنت سأعمل وقتاً إضافياً».

«أوه، ولا يمكننا تركها حيث هي أليس كذلك يا جلين؟» سأل دان، وهو يحاول معرفة مقدار الفوضى، فكبّر الصورة ليرى الريش والدم المتماسك على السارية.

ربما ستستغرق عملية التنظيف دقيقتين من دان.

«هل هناك شيء آخر يجب أن أعرفه؟».

«لا أعتقد ذلك»، قال جلين، ونهض عن كرسيه، فظهر بطنه الذي تخطّى حافة بنطاله. ثم ألقى بالجهاز نحو دان، وأحضر معطفه وغادر من دون أن يقول وداعاً، تاركاً نفحة من رائحة جسده خلفه.

نهض دان، ومسح الجهاز على الشريط المعدني لتسجيل بدء مناوبته، وتفعيل وظيفة القفل والفتح على الجهاز من خلال هويته الشخصية. هناك شيء واحد لا يزال دان عاجزاً عن فهمه، هو غياب المفاتيح، لأنه أصبح يُنظر إليها على أنها مخزن للبكتيريا، وبالتالي خطر على الصحة. فقد اشتاق دان إلى صوت المفاتيح في يده، والأثر البارد الذي يتركه الفولاذ على جلده. لقد أحب صوت المفاتيح عندما يخرجها من جيبه حين يقترب من أحد الأبواب، إنها الطريقة التي تعلن فيها المفاتيح عن وصولك. بالطبع، في السجون كانت المفاتيح تعلن عن وصول السجان من أجل فتح الباب والإفراج عن السجين، لمنحه وقت هو بأمس الحاجة إليه. كان صوت المفاتيح يعلن عن الحركة والتغيير، وأي شيء سوى الرتابة الفظيعة. لكن هذه البطاقات البلاستيكية المضادة للبكتيريا التي طُلب من البوابين أن يسلموها، بعضهم لبعض، ليس لها الأثر نفسه. ذكّره الخط الأبيض الذي يعلو المفتاح الأسود، بالراهبات اللواتي زرن السجناء عندما لم

يكــن أحد آخــر يزورهم، وتذكّر إحدى الراهبات التي نصحته بأن أفضل طريقة للحصول على إطلاق ســراح مبكر من السجن هي التطوّع لتدريبات الأمان في المكتبة، وهو داخل السجن.

قالت: «الأشــخاص الذيــن يظهرون اهتماماً بالمكتبــات عادةً ما يكونون أشــخاصاً جيدين». نظرت إليه بعينيها الطيبتيــن المتواضعتين. بعدها تقدّم دان إلى الأمام، بدافع من العاطفة التي شــعر بها لأن شــخصاً ما اســتطاع أن ينظر إليه ويعتبره جيداً. كانت تعرف ما الذي ارتكبه؛ وكان ممتناً لأنها، مع ذلك، لا تزال تأتي لزيارته، وهذا ما جعله يوافق على التقدم بطلب للمشاركة في برنامج المكتبة.

لم يرها مرة أخرى بعد ذلك اليوم، ولكنه كرّم ذكراها عن طريق الإشــارة إلــى جهــاز الأمان الخاص به بأنه شــبيه بالراهبة أو الأخت، على الرغم من أن هــذا المصطلح لم يلقَ قبولاً من البوابيــن الآخرين، الذين اعتمدوا في الغالب على تسميته باسم «هذا الجهاز». أياً يكن الأمر، افترض أن البوابين الآخرين لم يربطــوا بين الراهبــات والحرية، وربما لم يعرفوا معنى فقدان الحرية في المقام الأول. لقد اســتنتج أن معظمهم يعملون هنا لأنهم يرون العمل أكثر سهولة من الوقوف حراســاً أمام واجهات الكازينوهات عند الواجهات البحرية أو صالات الألعــاب الترفيهيــة. كانوا يقولون إن العمل يقتصر على الســير ذهاباً وإياباً في الغــرف الفارغــة للتحقّق من أن الكتب القديمة لا تزال في المكان الذي تُركت فيها، وأن اللوحات لا تزال معلّقة على الحائط. هل هناك عمل أكثر سهولة؟

ثبت كاميرا البواب على حزامه، وبدأ جولته حول المبنى التي تستمر ساعة، ماراً بين الرفوف، والكتب المكدســة في المخزن وصالة العرض، وكان جهازه يمر بموازاة كل شــريط معدني أثناء تحركه. تســاءل إن كانت تلك الراهبة في السجن عرفت ما الذي أقدمت عليه عندما اقترحت أن يأتي ويعمل في المكتبة. كانت حرية، ولكنها لم تكن حرية حقيقية، لأن كثيراً مما يحدث هنا يذكّره بوقته

في السـجن. كان يحصل على الوجبات في فترات منتظمة، وكان مطالباً بالسير صعوداً وهبوطاً في الممر القديم نفسه. وبشكل عام كان يُعامَل ببرودة ولا مبالاة من قبل الأشخاص الذين يحيطون به، يقضي أيامه وهو ينظر إلى النوافذ العالية التي لا تتيح له النظر من خلالها، ويتمنى لو أنه في مكان آخر.

ربما كانت تمزح معه، وربما توقعت أن الجهاز الذي يحمله بيده سيذكّره بها. لقد كانت المكتبة حبساً من نوع آخر، فأنت تجد فيها نفسك مع أشخاص أكثر إزعاجاً من نزلاء الزنزانة.

إن القسـم الأقل تفضيلاً بالنسبة إليه في المكتبة هو العلية. فهي، بالإضافة إلى أن أرضيتها لا تشـعر الشـخص بالاستقرار، فيشعر أنها ستنهار تحت قدميه في أي ثانية، كانت معتمة، باسـتثناء المشـاعل التي تتوزع بين التماثيل النصفية التي تخيفه. إنها تماثيل نصفية بشـعة لأربعة أشـخاص: رئيس وزراء شاب ذي شـارب، وكاتب مسرحي يبتسـم بطريقة خرقاء، ومؤرخة كئيبة المظهر، وشاعر يبدو من ملامحه التعجرف. بدوا وكأنهم يكوّنون رأياً عنه، وهو يسـير مقطوع الأنفاس أمام رؤوسهم المروّعة.

لم يتوقف أبداً ليقرأ أسماءهم، لكنه توقف الآن ليلاحظ غياب أحد التماثيل، حيث تشير بطاقة السجل إلى أن التمثال نُقل إلى الأرشيف في الطابق السفلي، إنه يعود إلى كاتبة تدعى إيلينا أوديغ. لم يتذكر اسمها سوى لأن الأرشيف الرئيسي طُلب منه نقله قبل عدة أشـهر، بعد وفاة الكاتبة، للبدء في تجميع أرشـيف لها في القبو. وجد الأمر غريباً للغاية وهو يضع تمثالها النصفي على عربة، وشـعر بمسؤولية كبيرة وهو يدفع بها، خائفاً من أن يحطم التمثال، ويقتل الكاتبة التعيسة مرة أخرى.

بعـد انتهاء جولته، عـاد إلى محطة البواب، وجلس أمام شاشـات فيديو المراقبة. كان بعض الموظفين المبكرين يصلون إلى موقف السيارات: العاملون في التنظيف والطهي، وأولئك الذين يعملون في الأرشيف، ولا يعرف إلا الله ما

الذين يقومون به من عمل، حيث كانت رؤوسهم محجوبة بواسطة كدسات من المخطوطات تبدو هشــة للغاية ولا يُسمح لأحد آخر بلمسها. لم يلحظ البواب الأرشــيفيين، بــل رأى كبير البوابين، مع بوابيــن آخرين يتبعانه، وهو يتجه نحو موقف الســيارات. اليوم، ســيصطحب كبير البوابين هذين البوابين إلى المدينة للحصــول على بعــض التدريب الأمني المتخصص. حيــث أن جميع البوابين الآن يتلقون تدريباً ليكونوا حراســاً أمنيين أيضاً، لذا عليهم أن يُفحصوا من قِبل المسؤولين الأمنيين. وقد رأى كبير البوابين في ذلك فرصة جيدة لتقديم عرض للموظفين الحكوميين حول تفوّق بروتوكولاتهم الأمنية وخصوصاً كاميرا البواب المحمولة التي تلتقط تفاصيل أكثر من التسجيلات الفيديوية المعتادة، الأمر الذي قال إنه يجعل المكتبة أكثر المباني أمناً في البلاد بأسرها.

قــال كبير البوابين: هناك حديث الآن عن تعرض الدول الصغيرة لهجمات إرهابيــة، بعد أن تعرضت جميع الدول الكبيرة للهجمات مراراً وتكراراً. ولكن دان لا يمكنــه أن يصــدق فعلياً أن الهجوم يمكن أن يحصل على المكتبة. ليس في هذه البلدة الساحلية، التي لا تحتوي سوى على مؤسسة وطنية واحدة تقبع أعلى التل. المكتبة ليست هدفاً، بغض النظر عن مقدار حديثهم عنها. لم يحدث هنا أي شيء مثير أو خطير. ما من شيء هنا سوى الفراغ والملل. في الحقيقة، إنه محكوم عليه هنا بحراسة الفراغ.

لحسن الحظ، قام كبير البوابين باختيار الشخصين اللذين سيُفحصان أولاً، ولــم يكــن دان واحداً منهما. وقد تذرع لعــدم انتقائه بأنه أصغر بعقد من الزمن من معظمهم. كان مطلعاً على التكنولوجيا، وكان يســتطيع أن يكون مســؤولاً عن ربطهم بالنظام المركزي وكاميرا البواب الخاصة به، والتأكد من أن العرض سيســير من دون مشــاكل. ولكن دان يعرف أن السبب لعدم اختياره هو خلفيته الجنائيــة، فلــم يكن كبير البوابين يفوّت فرصة ليذكره فيها كم هو محظوظ لأنه يعمل هنا. لم يعن الأمر شيئاً لدان. بالنسبة إلى دان، كانت المدينة مجرد مكان

قضى فيه معظم حياته حتى الآن، ولا يجد لديه رغبة في المرور قرب جدار السجن وتذكّر كل الأوقات التي أمضاها خلفه.

كانت خطة كبير البوابين تقديم ميزات الأمان الجديدة في المكتبة عبر نظام المراقبة التلفازية في العرض ليكون جزءاً من الأمن في المباني الحكومية. أراد أن يُسلّط الضوء على يوم عمل عادي في المكتبة، ولكنه أراد أيضاً أن يتفاخر بالعين الحذرة والمراقبة لجهاز البواب، والتي تتيح له سماع كل كلمة. على الرغم من أن كبير البوابين لم يصطحب دان معه، إلا أنه أكّد له أن دوره سيكون حاسماً، وأن هذه فرصته ليكون نجماً في عرضه الخاص باعتباره البواب المثالي، الذي سيظهر أنه يقوم بجولاته، ويساعد زوار المكتبة، ويسهم في الوظائف اليومية للمكتبة. الأمر الذي قد يؤدي إلى زيادة واجباته؛ وتقليل فترة المراقبة، سواء الجنائية أو المهنية.

قال كبير البوابين: «ستظهر أفضل ما لديك، ستكون فرصة مثالية لك، تأكد أن تستفيد من ذلك، وتُثبت نفسك».

ابتسم له دان، وهو يعرف كيف سيستفيد منها، وكيف سيثبت نفسه. تحرك الآن صوب الشاشات الداخلية وكبّر صورة البوابين المسكينين وهما يتوجهان، أحدهما تلو الآخر، إلى العربة البيضاء التي تحمل شعاري المكتبة والحكومة. لاحظ دان الطريقة التي يعطي فيها كبير البوابين أهمية لنفسه، كان يدفع رأسه إلى الخلف ليظهر أنه لا يضع ربطة عنق، كان قميصه وسترته يبدوان فضفاضين.

تذكّر بأنه سمع طالباً يقول إن هذا ما يحدث عندما تشكّل دولة مثل هذه حكومتها الخاصة (أو على الأقل عندما تتظاهر الدولة المجاورة بالسماح لها بذلك دون قطع الأواصر بشكل كامل)؛ حيث يتم وضع الأشخاص الأكثر طرافة في مناصب السلطة. أشخاص وافقت عليهم حكومة الدولة المجاورة؛ لأنهم يعرفون أنهم ربما سيفسدون الأمور. لن يمر وقت طويل، فكّر دان، قبل أن يبدأ أمثال جلين التحرك بهذه الطريقة، الذين كانوا يسعون وراء عمل سهل ليلي، لا

لشـــيء إلا الحصول على ربطة عنق، والتحول إلى مصابين بجنون العظمة بين ليلة وضحاها.

ثم جاءت رئيسة المكتبة وهي امرأة لا تُرى كثيراً في المناطق العامة داخل المكتبــة. لم يظن أنه ســبق له أن رأى وجهها فــي الواقع؛ فهو لم يرها إلا عبر كاميرات المراقبة، إنها تعقد شــعرها الجميل خلف رقبتها، وتتركه يستريح على كتفيها بشكل مثالي فوق سترتها الحمراء.

خرج كبير البوابين من العربة ليفتح لها الباب، وسرعان ما دخلت وغابت عن الأنظار. «سنراقبك، ماثيوز!» هتف إلى الكاميرا. «لا تنسَ ذلك، حسناً؟ والآن اربط تلك الكاميرات بمجرد مغادرتنا، هل تسمعني؟ سيراقب الآخران في القسم الخلفي من العربة كل حركة من حركاتك عبر جهازيهما اللوحيين».

ابتســم دان بســخرية لفكرة ما سيشــاهده البوابان الآخران على جهازيهما اللوحيين. من المؤكد أنهما لن يشاهداه هو.

انتظــر حتى غادرت العربة، ثم أعاد ضبط شاشــات فيديو المراقبة، وربط كاميرته الشــخصية بلقطات مســجلة مسبقاً داخل النظام. ما سيشاهدانه سيكون أفضل نســخة من نفســه التي يمكن أن يكونها؛ نســخة استمتع بتجميعها خلال الأسابيع القليلة الماضية، نسخة تهتم بفعل الشيء الصحيح.

لقد أراد منه كبير البوابين أن يكون أفضل نســخة من نفســه على الكاميرا، ولكنه لم يذكر شيئاً عن اتباع هذا المبدأ في الحياة الحقيقية.

آنّا ونان

8:30 صباحاً

في الوقت الذي كانتا فيه ترتديان ملابسهما، لاحظت آنّا علامة على ظهر نان: كدمة لم تعد أرجوانية، وأوشكت أن تكون بلون الجلد مرة أخرى، وكأنها لا تريد أن يلاحظها أحد. أرادت أن تسأل أختها عنها، ولكن سيكون ذلك مثل الاعتراف بأنها لا تستطيع أن تشعر فعلاً بكل شيء تفعله أختها. للأسف، اختفت العلامة تحت بلوزة نان الحمراء، ما جعل آنّا تتساءل إن رأت شيئاً حقاً.

وقفت آنّا أمام المرآة، ووقفت نان إلى جوارها. كانت تعرف أن من المستحيل على أي منهما أن تنظر إلى المرآة الكبيرة في الغرفة من دون أن تستحضر المرات التي فعلت والدتهما الأمر نفسه، وهي تلتف بفساتينها البراقة أمام المرآة، معجبة بنفسها. قالت في إحدى آخر مقابلاتها الصحافية: «كانت ولادة التوأم أمراً لا مفر منه، لا يوجد جزء مني لم ينقسم ويريد أن يصبح أكثر من شيء واحد».

لقد اتفقتا على ارتداء الزي نفسه تماماً. فمن شأن هذا أن يجعل كل شيء أسهل. بلوزة حمراء، تنورة رصاصية، وحذاء أسود. وهما عادة ما تفعلان ذلك، باستثناء مرة واحدة عندما انحرفت نان في الشتاء الماضي - مرحلة معطفها الأخضر - عندما تجرأت على أن تكون مختلفة. كانت آنّا تعرف أنه لا يجدر بهما أن تكونا مختلفتين. لقد دفعت ذلك المعطف الأخضر إلى الجزء الخلفي من إحدى الحافلات السياحية التي تزور المكتبة، ثم عادت إلى المكتب لتجد نان

تبحث عنه بشـــكل هستيري. وأثناء بحثها، شاهدت آنّا ببرود من نافذة المكتب، الحافلة تسير عبر شوارع البلدة في طريقها إلى العاصمة، آخذة معها كل فكرة عن الاختلاف. منذ ذلك اليوم، عادت نان مرة أخرى إلى معطفها الأسود، واستعيد التوازن: ومرة أخرى أصبح من المستحيل التمييز بينهما.

مؤخراً، فوجئت آنّا أنها شعرت برغبة في التميّز تتعاظم في نفسها، منذ اليوم الأول الذي بدأت فيه التحدث إلى دان، كان تحركها في غرفة القراءة مدروس التوقيت ليأتي مباشـــرة بعد لقائه الأول مع نان بين كدســـات الكتب في الطابق الســـفلي في اليوم الســـابق. لقد تناوبتا يومياً بعد ذلك، لبناء العلاقة والاستمرار فـــي جـــذب انتباهه. اختاراه خصيصاً لأنه أحـــدث موظف - لم يمضِ عليه في العمل ســـوى شـــهر واحد - ولم يكن يعرف أنهما اثنتان؛ مع ذلك، كلما كانت آنّا معه، كانت تميل إلى قول شيء يجعله يفهم أنها ليست الفتاة نفسها التي كان معها بالأمس، مع أنها كانت تعرف أن ذلك من شأنه أن يعرقل جهدهما الشاق.

درساه عن كثب لأسابيع منذ وصوله: لم يكن لديه أصدقاء مقربون، لم يكن يتحدث إلا مع الطلاب في بعض الأحيان، لقد كان الوحيد من بين مئتي موظف لم تكن المكتبة تعني له شـــيئاً، وكان ينتظر أن تمضي الأســـابيع الستة الأخرى، لينهي اختباره الخاص، وبعدها تصورتا أن يعود إلى سابق عهده في الإجرام.

كان الحليف المثالي لخطتهما من دون أن يدرك ذلك، فهو سيجعل اليوم الهادئ بفعل غياب رجلي الأمن، وعدم الســـماح إلا بالوصول إلى أقسام معينة من المكتبة، يوماً أسهل بكثير بالنسبة إليهما.

كانتا جاهزتين للأمر الذي خطّطتا له منذ أشهر. بلوزتان حمراوان مزركشتان، تنورتـــان رماديتان ضيقتان عند الخصر، وباروكتا الشـــعر الأحمر الأملس الذي يصل إلى حدود الذقن. كما اشـــترتا وشـــاحين أبيضين لهذه المناســـبة، وذلك عندما تذكرتا أن الأشرار في روايات والدتهما كانوا يمتلكون إكسسوارات فخمة ومميزة. بدت ملابسهما في تناقض مع بشرتهما الشاحبة، لكنهما اتفقتا على أنه

إذا لم يكن هناك شـيء آخر، فإن الوشـاحين سيعملان على إخفاء نبض الذعر في عنقيهما النحيلين.

نظرت آنّا مجدداً إلى انعكاسهما على المرآة، كانت تأمل في رؤية مجرمتين محترفتين عالميتين، لكن بدلاً من ذلك، رأت انعكاسـاً لامرأتين في السـابعة والعشـرين من العمر لم يسبق أن لمسهما رجل، على الأقل بالشكل الصحيح. كانت قريبة جداً من دان، وكانت قريبة من اختبار كل الأمور التي سمعت زميلاتها يتهامسن بها عبر السنوات، لكنها أبعدت الفكرة، تماماً كما فعلت عندما تجرأت على تلمس ما لا يفترض بها لمسه. كان دان جزءاً من الخطة، وكانت علاقتهما السـطحية معه مصحوبة بمجموعة من القواعد. لم يكن من المقرر أن تتجاوزا الحدود. قالت لها نان: «إذا حصل على ما يريده، بسرعة كبيرة، فلن يكون مستعداً لمسـاعدتنا. وتذكري ما قالته أمنا دائماً: لن يأتي شـيء جيد من حب رجل. هي لم تكن ضعيفة بهذا القدر، أليس كذلك؟».

لقـد صدقت آنّا هذه الكلمات عندما سـمعتها للمرة الأولى، لكن الأمور تغيرت منذ ذلك الحين. كان دان يتوقع شـيئاً منها الآن – وهي توقعته أيضاً – وكانت على وشـك أن تسـمح بحدوث ذلك بشكل مرعب. اعتقدت أن الأمر ربما يكون جيداً، ولكن أياً تكن الإثارة التي حدثت بينهما فإن نان دمرته. كانت أكثر كفاءة في تهدئة الأمر برمته.

أومضت صورة في ذهنها، تتجول فيها يدا دان على جسـدها. لقد راودتها هذه الصور أكثر مما ترغب، وأكثر بكثير مما ينبغي، وهي التي اعتبرت أن التفكير فـي مثـل هذه الأمور يُعتبر خيانة، فما كان منها إلا أن أغمضت عينيها للتخلص منها. إنها الكبرى، وإن بفارق اثنتي عشرة دقيقة، ويفترض بها أن تكون قدوة. لقد استعدتا طويلاً لتصلا إلى ما وصلتا إليه، لذا لا يفترض بهما أن تشتتا انتباههما، ولكـن مع ذلك، لم يكن إبعاد هذه الصور أمراً سـهلاً فهي أصبحت أكثر قوة،

وأصبحت ترسل أحاسيس غير مريحة تسري عبر جسدها.

فتحــت عينيها وألقت نظرة إلــى انعكاس صورة أُختها. للحظة تخيّلت أن أختها رأت صورة دان هناك، وهي تعرض على شاشة دماغها. كان هناك يداعبها، ويمزق بلوزتها، ويستخدم وشاحها لربط يديها فوق رأسها.

وهي التي عرفت دائماً أن هذا لن يجدي نفعاً؛ فهذه الأمور لن تحدث أبداً.

عندما فتحتا الباب الأمامي وخرجتا، توقعت آنّا أن تجد حشــداً ينتظرهما، يكيل لهما الشتائم بسبب ما كانتا على وشك القيام به، لكن ما وجدته هو عالم من الســكون والهــدوء، كما هو الحال دائماً، لم يبدُ أن أحداً ينتظرهما ســوى النوارس التي كانت تزعق بصوت مرتفع عند الواجهة البحرية، بينما كانتا تمشيان رأتا مجموعة من النوارس تحيط بشــيء مــا على الرصيف، ربما كانت تتنافس على فطيرة اســتطاعت انتزاعها من يدّ أحد الســيّاح أو المتنزهين، ولكنهما رأتا أنها تتنافس على جيفة النورس أسود الرأس، التي كانت تنهش لحمه ببراعة.

قالت آنّا: «لا نستطيع السماح لها بذلك».

فأجابتها نان: «بل نستطيع، دعيها تفعل ما تشاء».

قالــت آنّا: «لكن لا يجدر بها أن تأكل لحم بعضها». وهي تشــيح بوجهها عن ذلك المشهد المريع، حيث كان أحد النوارس يبتلع جناح النورس الميت، وقد انتفخت رقبته بسبب كثرة ما حشاها باللحم والريش.

صاحــت آنّا على الطائر الذي يــأكل لحم النورس الميت «اذهب». بهدف تشــتيت انتباهه ولكنه لم يجد في صياحها ما يخيفه «نان أوقفيه، لا يمكن فعل ذلك، إنه...».

قالت نان: «هذه هي الطريقة التي تسير فيها الأمور، فمياه البحر حارة بالنسبة إليها، والأســماك والعوالق البحرية التي كانت تشــكّل مصدراً رئيســياً لغذائها أصبحت نادرة، لم يعد أمامها خيار آخر».

شرعت آنّا تقول: «هل الأقل يجب أن أبعدها...». قاطعتها نان: «ليس لدينا

وقت». وسحبتها من يدها لتبعدها عن المشهد المريع.

لطالما اعتبرت نان نفسها الأخت الصغرى، فآنّا اعتبرت أن الدقائق الاثنتي عشـــرة التي تكبرها فيها تمنحها قوة وســـلطة عليها. بالطبع، هذا ســـخيف، فقد رأت نـــان فيديو ولادتهما، فآنّا لم تفعل شـــيئاً في هذه الدقائق الاثنتي عشـــرة، عندما كانت مكســـوة بالدم ومادة بيضاء، ســـوى الصراخ بين يديّ القابلة، لقد كان صراخهـــا تعبيـــراً عن مفاجأتها بأن هناك كائنات أخرى في هذه الدنيا غيرها وهي نان، وأنهما ســـتجدان نفسيهما مضطرتين لمشاركة هذه الدنيا معهم. ومنذ ذلك الحين، اعتبرت آنّا أن هذه الدقائق الاثنتي عشـــرة تعطيها حق التقدم على أختها في كل شيء.

* * *

كانت أعياد ميلاديهما طويلة ومملة، فقد توجّب على الحاضرين أن ينتظروا اثنتي عشرة دقيقة بين قطع القالب الأول والثاني، وخلال فترة قصيرة من حياتهما، أصرّت آنّا أنه يجب على نان أن تتوجّه إلى السرير قبلها باثنتي عشرة دقيقة، حيث كانت نان تضبط منبه الساعة ليرنّ في الوقت المحدّد، وتجلس على الدرج مثل التمثال بعد أن تسدل شعرها على وجهها، وتضم قبضتيها وتسحبهما داخل كمّي بيجامتها، وعندما يرن المنبّه تلحق بها آنّا.

لقـــد آن أوان مغادرتهما، فكل شـــيء جاهز كما يجـــدر به أن يكون، ومع أنهمـــا راجعتـــا الخطة عدداً لا يُحصى من المرات، وفكّرتا في كل خطأ محتمل وتداعياته، وتدرّبتا على التعامل معه. إلا أن نان تعرف أنها لا تســـتطيع تفســـير الألاعيب التي سيطبقها عليها عقلها أثناء تنفيذ المهمة. في الآونة الأخيرة ساءت الأمور، عندما كانت آنّا تتحدث عن الخطة، كانت تســـأل نفســـها، عن أي خطة تتحـــدث؟ وكانت تفكّر على هذا النحو، يبدو أن الســـبب الذي يدفعهما لتأدية المهمـــة قـــد مُحي من ذهنها قبل أن يعود تدريجيـــاً في غضون دقائق، لكنها لن تسمح لذلك أن يحدث اليوم، أو ببساطة لا تستطيع السماح له بأن يحدث.

عزت آنّا ذلك على سبيل المزاح إلى «التأخير لمدة اثنتي عشرة دقيقة»، ولكنها عندما تتحدث بجدية لا تعتبر الأمر أكثر من شرود في الذهن. أما نان فكان الأمر يرعبها، كانت تشعر وكأنها تفارق جسدها للحظات، ثم تعود إليه، ليتبين لها أن شخصاً آخر سكن جسدها في الوقت الذي غادرته، وقد عبث بكل شيء فيه. لا تستطيع التصريح بذلك لأختها، لا الآن ولا في أي وقت آخر. لقد كان هناك نوع من الاتفاق على حقيقة أن الدقائق الاثنتي عشرة تلك كان لها أثر في النهاية.

لقد تناقشتا مطولاً إن كانتا ستتوجهان صباح اليوم سيراً على الأقدام إلى المكتبة، ولكن في النهاية، استقر رأيهما أن لا فائدة من التوجّه إلى هناك بواسطة سيارة الميني الحمراء، وهما لا تعرفان ما ستؤول إليه الأمور بعد ذلك. إن المتاعب التي تعرضتا لها بسبب سيارة والدتهما لا تزال ماثلة أمام أعينهما، فقد ركنت سيارتها صفاً ثانياً قبل أن تضع حداً لحياتها. ولم تكف رسائل مجلس البلدة عن مطالبتهما بإزالتها.

بحلول الوقت الذي تمكنتا فيه من الرد على هذه الرسائل بقولهما أن صاحبتها ماتت، كانتا مثقلتين بالديون ولا تستطيعان دفع الغرامات.

أجابتهما الموظفة: «حسناً، إن الموتى هم أسوأ المجرمين، وإذا أخذنا بعين الاعتبار أننا أمام حالة انتحار، فهذا يعني أن المجرم كان يعرف أنه لن يدفع الغرامة، وأنا أرى أن هذا يجعل الجريمة تستحق...».

غادرت نان معتقدة أن الموظفة كانت محقة، فلماذا ركنت والدتها السيارة في صفاً ثانياً، وتركت الإطار بارزاً إلى الخارج، وألقت المفتاح في البحر، الذي لفظه بعد عدة أيام، ملفوفاً ببعض الطحالب والأعشاب البحرية. أما آنّا فرأت أن ما قامت به والدتها كان متعمداً «لطالما طلبت منا أن لا نقبل العالم كما هو، لقد أرادت أن تذكّرنا بسخافة القواعد، والأنظمة، والالتزامات. وأرادت منا أن نضع قواعدنا الخاصة». اعتقدت نان أن والدتها نسيت أين ركنت سيارتها، فلم تجد

طريقة للتخلص من الأمر برمته، سوى رمي المفتاح وبذلك تنسى أمر السيارة.

لكن بالرغم من كل شـيء تذكّرت والدتها أمراً مهماً، لقد تركت رسـالة. عندمـا عـادت نان إلى المنزل يومها، قبل اثنتي عشـرة دقيقة من آنّا، رأت ورقة مطويـة موجّهـة إليها. كتبت إيلينا الرسـالة على قفا ورقـة العنوان من إحدى رواياتها. لقد ذهلت مما رأته، ليس لأن هناك ورقة موجودة على الطاولة، خاصة وأن اسـتعمال الأوراق محظور، بل لأن الرسالة كانت موجّهة إليها دون أختها، مع أن والدتهما لم تكن تخاطب إحداهما دون الأخرى، حتى أنها كانت تكتب على بطاقات عيد الميلاد اسميهما في كلمة واحدة أنان.

بمجرد أن رأت الرسـالة، نسـيت للمرة الأولى في حياتها، أن تصيح باسم والدتهـا لتعلمهـا بوجودها فـي المنزل. في نهاية الرسـالة طلبت منها والدتها تدميرها على الفور، ليس بسـبب ما ورد فيها، بل حتى لا يقبض على ابنتها مع مواد محظورة خلال الفترة التي ستكون من دون شك عصيبة عليها.

في وقت لاحق، أدركت نان أن والدتها، كانت على قيد الحياة، في الوقت الذي تقرأ فيه رسـالتها. وعرفت أن ما قصدته إيلينا بالوقت العصيب هو حزنها على والدتها في الوقت الذي كانت تستطيع فيه منعها من الانتحار. وقتها لم تكن قد أخرجت سوى إحدى قدميها من نافذة الحمام، وكان يفصلها وقت قصير عن الموت. لكن بتوقفها وقراءتها الرسـالة أهدرت وقتاً ثميناً، لقد سـمعت صرخة في الوقت الذي ألقت فيه الرسالة رافضة ما ورد فيها. وعندما أطلت من الشرفة رأت آنّا تركض صوب المكان الذي سقطت فيه والدتهما، وهي لا تعرف سبب سقوطها، وهذا ما جعلها تدعي أن المأساة هي مأساتها، ولكن نان شعرت أنها تفهم الحادثة بطريقة لم يُتح لآنّا أن تفهمها بها. لقد شعرت بالفخر وسط حزنها، لأن والدتهـا وثقـت بها. كانت ابنتها التي تصغر أختها باثنتي عشـرة دقيقة هي من ستنفذ رغبتها، وتُحقق العدالة. تركت إيلينا رسالة للصحافة على حاسوبها، وكلفت آنّا بقراءتها للعالم، وهي تقدم نسخة معدّلة عن سبب انتحارها.

بحلــول الوقت الذي وصلت فيه ســيارة الإســعاف، كانت روح إيلينا قد فاضت، لقد أبعد الناس آنّا عن والدتها، ومســحوا عنها دمها وأشــلاءها. حاول الناس التوقع بما أرادت أن توصله من خلال انتحارها، وكأن الانتحار هو أعظم مــا تفتقت به قريحتها. لو رآها أحد وهي تســقط لكانت القصة مختلفة. ولكن هذا التشــوش والإرباك اللذين أحاطا بظروف موتها، سيجعلانها تدخل التاريخ بصفتها امرأة كانت على وشك أن تُجن، فقررت أن تطير صوب الموت، ولكن نان وحدها تعرف أن هذا لم يكن صحيحاً، لقد أرادت أن تموت بهذه الطريقة، ليكــون موتها ســريعاً ويكتنفه الغموض، وإن كانت محظوظة، ســيكون موتها صادماً للناس.

لقــد ورد في رســالة البريــد الإلكتروني التي وصلت إلــى عدد كبير جداً مــن الناس، بعــد دقائق من موتها، أنهــا فقدت القدرة علــى الكتابة، وهذا ما تبين لأحدهم، وهي لا تعتبر نفســها شــيئاً من دون الكتابة، بل هي أدنى من أن توصف بشــيء. صحيح أنها لم تذكر اســم الشخص، إلا أن الجميع عرفوا أنه إبين بريثيرش، الذي طاردها أدبياً، ولم يترك لها عملاً إلا أفاض في مراجعته، بدا مهووساً في اكتشاف العيوب في كتاباتها، وكتب مراجعات لاذعة عنها في معظم مجلات البلد، بالرغم من أن إيلينا، لم تقل إن هذا خطأه، إلا أنها أشــارت إلى أنه اســتغل بما فيه الكفاية ســماذرهود حتى أعتقد كثيرون أنه حرمها من دخول تاريخ البلد الأدبي، وأنه يجب أن يُحاســب على الفراغ الذي خلّفه رحيل إيلينا في مجال الخيال.

انتظــر التوأم التداعيــات، وتوقعتا أن يغادر المدينة مطأطأ الرأس، لكنه لم يغادر، والأســوأ من ذلك، أنه بدّل رأيــه فور وفاتها، وكتب عدة مقالات محيياً إياها، وأعلن أنه أساء فهم روايتها مراراً وتكراراً عندما قرأها للمرة الأولى. ذات ليلة، وعندما كانت الأختان تشاهدان التلفاز، وتأكلان البيتزا، شاهدتاه يعلن عن رغبته في كتابة سيرتها الذاتية، وأعلن أن عقبة تحول دون قيامه بذلك، وهي عدم

قدرته على الوصول إلى يومياتها المحفوظة في المكتبة الوطنية.

ما أقدم عليه كان في غاية الوقاحة، أدركت الأختان أنه يناشدهما مباشرة، وأنه يريد أن يغزو مساحتهما الخاصة، وكأنه يريد أن يمدّ يده عبر الشاشة ليأخذ قطعة من البيتزا التي تأكلانها قبل أن يعاود الجلوس على الأريكة في الأستوديو. عندها تبادلتا النظرات وقالت نان إن عليهما القيام بشيء ما.

الشيء الذي أرادت والدتهما منهما القيام به.

إبين

9:00 صباحاً

كان شعوره مختلفاً هذا الصباح عندما اقترب من المكتبة. تم إضفاء الشرعية عليه، ومُنح فترة زمنية محددة، وأُخبر أنه سيُخصص له موظف أرشيف محترف لمساعدته في فرز يوميات إيلينا وموادها. عندما فكّر أن شخصاً ما سيخصص له وقته اليوم، قرر أن يُبدّل جلده العادي الذي يدخل به عادة إلى المكتبة، ويصبح مـــن أفراد طبقـــة الباحثين الأدبيين العليا. هكذا، وبحلول الوقت الذي صعد فيه الدرج ورأى الطاقم المعتاد ينتظر في الخارج، قرر التخلي عن دوره اليومي في المسرحية.

في المشـــهد المعتاد من المســـرحية ســـيكون الوضع كالتالي: ســـيكون البروفيســـور نيكولاس غريفيث، صديقه المقرب من المكتبة، في انتظاره. يصل رواد المكتبة المتحمسون دائماً إلى هناك عند الساعة التاسعة، وهم الذين يعرفون أن الباب لن يفتح قبل الســـاعة التاســـعة والنصف، لأنك إذا لم تكن هناك مبكراً بما يكفي للحصول على المكتب المناسب، فقد يهدر يومك بأكمله. ما من شك أن نيكولاس سيحييه بمزحة بشأن اسم إبين.

«أنت شخص محظوظ، فاسم إبينيزر هو اسم يجب تقطيعه مثل الموز، لأنك لا تريد أن تحمل اسماً ثقيلاً مثل إبينيزر معك لبقية حياتك، أليس كذلك؟»، ثم يضحك البروفيســـور قبل أن يبدأ بالاستطراد عن الشاعر الذي سُمّي على اسمه «إبين الشاعر»، أحد الشعراء المنسيين منذ زمن طويل في بلدهم الصغير.

اليوم، رفض إبين حتى أن ينظر إلى البروفيسور وهو يصعد الدرج مسرعاً؛ حتى أنه تظاهر أنه لم يره، وظل ينظر إلى الأرضية.

«هـــل أنت بخير يا إي؟ إبيـــن؟ إبينيزر؟ إبينيزر الغريب؟ يا إلهي، هل يبدو عليّ وكأنني أنظم الشعر؟ هل أنت بخير؟ تبدو ... مشتتاً».

قال: «أنا بخير، شكراً يا نِك».

لقد اختصر اسم البروفيسور بطريقة يعرف أن أحداً لم يسبقه إليها، ولاحظ المفاجأة في عينيه؛ لقد اختصر اسم رجل عظيم إلى مقطع صوتي واحد.

بمجرد دخولهما المبنى، تســـلل نيكولاس الذي يشــبه المتشرد بطريقة أو بأخـــرى من دون أن يلاحظه البواب، ومن دون أن يخضع للتفتيش المعتاد، في الوقت الذي خضع فيه إبين للتفتيش من دون سبب وجيه. ربما أراد البواب أن يفتشه ليخفف من ملله. ذات مرة، صادر قلم رصاص، نسيه إبين في جيب سترته، لأنه اعتبره يصلح أن يكون سلاحاً، ومنعه من الدخول يومها. ولكن هذه المرة، لم يرد البواب أن يزعجه كثيراً فاكتفى بالطلب منه أن يبرز بطاقة المكتبة الخاصة به وبطاقة اللقاحات. بحلول الوقت الذي وصل فيه إبين إلى مكتب الإعارة في صالة القراءة، عاتبته كولين، وهي موظفة الأرشيف المخصّصة له على تأخّره.

قال لها: «لم يسبق لي أن تأخرت، إنها التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثون».

أجابـــت كولين: «بالضبط»، ونظرت مـــن تحت نظارتها. «لقد كان موعدك في تمام الساعة التاسعة والنصف، عندما يُخصص موظف أرشيف محترف فهو ينتظر أن يكون باحثه محترفاً».

صاح: «ولكن... البواب أخّرني».

سألته: «هل أمضيت خمس دقائق في التحدث إلى البواب عديم النفع؟ ما الذي كنتما تتحدثان عنه؟».

أجابهـــا إبين: «بروتوكولات التعقيـــم»، متذمراً من الطريقة التي عومل بها. حـــاول البـــواب إقناعه بأن نظارته تبدو وكأنها تحمل بكتيريا، وقضى إبين ثلاث

دقائق وهو يمسحها بمناديل مضادة للبكتيريا.

«أود أن أقترح عليك يا سـيد بريثرتش، أن تجد حلاً لمشـاكل التعقيم قبل أن تأتي». بهذه الطريقة، لن تضيّع وقت أي شـخص. الآن، دعني أرَ، ما الذي جلبنـاه لـك هذه المرة؟ أوه... توقفت، وهي تقـرأ المعلومات التي تظهر على الشاشة أمامها. «هل ستنزل إلى هناك؟».

نظـرت إليه كولين بفضول. لقد رغب في الاعتذار، بالطريقة نفسـها التي رغب فيها بالاعتذار عن كل ما حصل في العام الماضي.

«فوجئـت بموافقـة التوأم على ذلك». وأردفـت «لكنه كتب لديّ هنا أنك مُنحت الإذن، هل تعرف أنهما تعملان هنا؟ هل تريد التحدث إليهما؟».

هزّ رأسه: «لا أظن أن هناك داعياً لذلك». لقد قرر أن يتجنب التوأم حتى ينتهي من الكتابة، وبذلك لا يقابلهما قبل أن تتاح لهما رؤية كم هو جيد في ما قام به، وبذلك يُتاح له التذرع بأنه أعاد إحياء ذكرى إيلينا، وهذا ما سيخفف عنهما وطأة الخسـارة. في الحقيقة، إنه مثل كل أعضاء منظمة سـماذرهود، كان أكثر سعادة بمراسلة التوأم من خلال لوحة المفاتيح التي يختبئ خلفها، وهو يكرر طلباته المتكررة للتوأم (مرة واحدة على الأقل شهرياً خلال الأشهر السـتة الماضية) ولكنه يعرف أنه سـيعجز عن التحدث إليهما عندما يقابلهما شخصياً.

لقد تبع موظفة الأرشـيف إلى أعماق المكتبة، إلى أماكن لم يسـبق له أن عـرف بوجودها؛ ممرات متعرجة ومظلمة تؤدي إلى عالم سـفلي جديد ومثير تماماً. كان لدى موظفة الأرشيف التي قادته إلى مكان ما- لكنها بدت غير مبالية سواء تبعها أم لا- طبقة رقيقة من الوبر ذكّرته بقطته.

فجأة أفسـحت ظلال خشب الماهوغاني والصنوبر الطريق إلى ممر مضاء تتوزع على جانبه أبواب زرقاء. ذكّره شـيء في المكان بالمشـرحة، كما لو أنه عثر بالصدفة على قسـم الأسرة من المكتبة، وهو المكان الذي تغادر فيه الروح

الكتــب، فــي الوقت الذي كانا يتقدمان فيــه عبر الممر الذي لم يبدُ أن له نهاية، لاحظ إبين العلامات الصفراء التي تشير إلى نظام إخماد الحرائق على الأبواب الثقيلة المظهر. شعر بالذعر يتصاعد في صدره.

سأل: «هذا الأرشيف آمن، أليس كذلك؟».

«إنــه المــكان الأكثر أماناً على وجه الأرض، بالنســبة للكتب، أعني، منذ الحريق، تعلّمنا أن نكون في غاية الحذر».

«ولكن نظام إخماد الحرائق لا يعمل إذا كان هناك أحد في الداخل، أليس كذلك؟». خيّل له أنه سمع كولين تقول له، لا داعي للتعبير عن توقعاتك السلبية بصوت مرتفع، يمكنك الاحتفاظ بها لنفسك.

«طبعاً، إلا إذا كان الشخص هو من أشعل النار...».

«ولكن إذا فُعّل النظام عن طريق الخطأ، ألا يســتنفد كل الأوكســيجين في الغرفة...».

«هل تخطّط لهجوم متعمّد يا ســيد بريثرتش؟». توقفت كولين في مكانها. لم تعد قطة، بل أصبحت أشــبه بالرئيســيات الآن، تتهيّأ للقفز على رأســه وشد شــعره، والبحث في جيوبه عن المكســرات. «ربما ينبغي علينا إعادة التفكير في هذه الزيارة؟».

«ليس هناك من داعٍ لذلك»، أجاب بســرعة، وأعاد نفســه إلى اللحظة، كما قالت له معالجته النفســية. الشــيء المهم هو أنه هنا بالفعل. أخيراً، أوشك على الوصــول إلــى يوميات إيلينــا، وهذا يعني نظرياً، الوصــول إلى داخل دماغها. وبحلول نهاية الصيف، يمكن أن ينتهي من المشــروع. وبالنظر إلى مدى سرعة التحول في هذا البلد، توقع أن تُنشر السيرة الذاتية بحلول نهاية العام.

لكــن لن يكون هناك أي نشــر ورقي تقليدي بعــد الآن، فبعد القيود التي فُرضت على اســتخدام الورق في المنازل، شرعت الحكومة في تطبيق سياستها التي تهدف إلى أن تكون كل الكتب المنشورة من الآن فصاعداً إلكترونية. لأن

النشـر الإلكتروني أكثر أمناً، فالورق حسـب زعمهم يولّد الجراثيم، وقد تأذى بلدهـم بشـكل كبير إبان الوبـاء الأخير، لقد ألقى عدد كبير مـن الناس باللوم على الكتب التي تتناقلها أيدي الناس، والتي تنقل عبر أوراقها نسـخة ماكرة من الوباء. ليس هناك من ضير في الاحتفاظ بالكتب الورقية السابقة، شرط أن تُطالع تحت إشراف أحد، في مؤسسات تعتني بها مثل المكتبات أو الجامعات، ولكن طباعـة كتب ورقية جديدة كانت ممنوعاً منعاً باتاً. وعندما قيل لرئيس الحكومة إن الدول المجاورة لا تزال تسمح بالكتب الورقية، مع أنها عانت نفس المعاناة بسـبب الوباء، أجاب أنها سـتحذو حذو دولتهم قريباً، وأن الابتعاد عن الورق، هو الوسـيلة الوحيدة لصياغة مستقبل أكثر صحة، بالإضافة إلى تخفيض بصمة الكربون الخاصة بهذا البلد وسـكانه. وعندما قيل له إن كبار السـن قد يقاومون الكتـب الإلكترونيـة، أجابهم أن أعدادهم في تناقص مسـتمر خصوصاً بعد أن قضى الوباء على عدد كبير منهم.

لقد أصبح ما صرّحت به رئيسـة الحكومة بمثابة نبوءة ذاتية التحقيق. تعوّد النـاس علـى غياب الورق من حياتهم، واعتبروه أمـراً جيداً، بعد أن انخفضت معدلات الإصابة بالأمراض، واعتبر الناس أنفسهم أكثر تفوقاً، لأنهم أكثر صحة. ورفعت لافتة على كل المؤسسـات الحكومية كتـب عليها \الصحة هي \الثروة. وذلك للتشديد على أن ثروة بلدهم أقل من البلدان الأخرى ولكنهم البلد الأكثر صحة بين سائر البلدان.

تبع كولين بخجل حتى نهاية الممر. لم يسـتطع إبين أن يتحمل فكرة أن كتابه، الذي بدأت تتوافر شروط ومستلزمات كتابته سيصدر بشكل إلكتروني. لمـاذا انهار النظام بهذا الشـكل، في الوقت الـذي أصبح فيه على بعد خطوة واحدة من دخول عالم الأدب؟ أي نوع من الكتّاب سيكون عليه؟ وهو الذي لا يعـرف كيـف يكون النص افتراضياً، إنه عبارة عن مسـاحة تغطيها أحرف، وليس هناك من شـيء مادي ملموس. الصفحـة الحقيقية بخلاف الافتراضية

لهـــا رائحة، بل روائح، إنها تحتفظ ببصمات الأصابع، التي قد تبقى إلى الأبد وتصبح جزءاً من الكتاب.

مرة أخرى ها هو يظهر الغيرة من الشخص الذي سيكون موضوع الكتاب الذي سيؤلفه: إيلينا. لقد كانت كل رواياتها كتباً مادية حقيقية، وضعت صورتها على أغلفتها الخلفية اللامعة. تســببت صفحات روايتها بجروح لأصابع القراء، وترك حبرها طبعات بنفســجية على أكفهم، حتى أن أحد النقّاد تعثر بنســخة من إحدى رواياتها، وســقط من أعلى الدرج وكســر رقبته، صحيح أن بعضها مليء بالجراثيم، التي أودت ببعض قرائها إلى أجهزة التنفس الاصطناعي، ولكن هذا ما جعل منها مشهورة أليس كذلك؟

لقــد امتلكت كتبها، ولكن إيبن لن يســتطيع أن يمتلك مقالاته ومراجعاته الأكاديمية ولا ســيرتها الذاتية التي ســيكتبها. كانت محظوظة بالاقتباسات التي دوّنــت على أغلفة رواياتهــا التي تحث الناس على قراءتها بما فيها من عبارات يتمنى أي شــخص أن تدوّن على كُتبه مثل «الأكثر إبداعاً» و«الأكثر إذهالاً»... وما إلى ذلك. بالطبع، لقد حاولوا إضافة اقتباســات إلى الكتب الإلكترونية، ولكن ما الفائدة إذا كان القارئ سينتقل مباشرة إلى الصفحة الأولى، حيث يبدأ النص الفعلي؟ من يعتبر أن هناك شــيئاً يستحق القراءة قبل الصفحة الأولى؟ أي شيء قبلها هو قليل الأهمية إن لم يكن عديم الأهمية.

كانت كتب إيلينا تســتحوذ على الاهتمام في المتاجر، والمطارات، وعلى طاولات المطبخ، وتم إنتاجها بشكل جميل كما كانت دائماً (كانت تعاشر مصمم الغلاف، وكان متأكداً من ذلك) وتم اعتبارها شيئاً جميلاً. يجب أن تكون كتبها على الرف الخاص بك، سواء أردت أن تقرأها أم لا.

لقــد تفوّقت عليه إيلينا في العديد من النواحي، بغض النظر عما ســتكون عليه الأمور في نهاية المطاف.

أخيراً، توقفت كولين وأظهرت بطاقتها الأمنية. كان أرشــيف إيلينا هو آخر

باب أزرق في نهاية الممر. خارج الأرشيف، كانت هناك لوحة لامعة كُتب عليها: الروائية إيلينا أوديغ.

قالت وهي ترشده إلى المساحة الصغيرة الضيقة: «ستجد كل ما تحتاج إليه هنا»، وبدأت في فك الكدسات المكومة في داخل الغرفة.

وقف وانتظر. كانت هذه دائماً لحظة يستمتع بها إبين: اللحظة التي كشفت فيها الكدسات عما تختزنه من كنوز: حياة أخرى كاملة بينها. كانت رؤية دفاتر الحياة الواقعية، ومذكرات الحياة الواقعية - المجهدة للغاية والمكتوبة - أمراً مثيراً في حدّ ذاته. عندما ظهرت ببطء، رأى أن يوميات إيلينا ملونة. كان الأمر أشبه بالنظر إلى صف من الجرار في محل حلويات؛ كان لكل يوميات صغيرة تصميم ونمط مطرز ومتعدد الألوان. مجدّداً شعر بشيء عميق في داخله، ببعض الانزعاج تجاهها، حتى في هذه اللحظة. ما هو الخطأ في يوميات سوداء ذات غلاف مقوى مثل التي يملكها؟ لماذا كان عليها أن تكون مختلفة؟

كان هناك بعض الانزعاج الأعمق أيضاً؛ لقد كان بمثابة تذكير كبير بكل ما فقدناه في هذا البلد. الآن يُفترض بالجميع أن يدوّنوا يومياتهم على الإنترنت، إذا أرادوا الاحتفاظ بواحدة على الإطلاق. يوميات على الإنترنت! أي شخص يتمتع بكل قواه العقلية سيدوّن يومياته على الإنترنت؟ حيث يمكن لأي شخص أن يصل إليها. يمكن نسخ الأقسام ولصقها وإرسالها إلى العالم. شعر إبين برغبة في الركض نحو تلك اليوميات الواقعية وضغطها على وجهه. لقد كانت تتوسل لكي يتم التهامها. أراد أن يلعقها، ويلتهمها، حتى تصبح جزءاً منه إلى الأبد. بدت له هذه الدفاتر حية على عكس الدفاتر الأخرى؛ لأن خربشات الكتابة اليدوية من شأنها أن تظهر مزاج المؤلف، من خلال التشطيب والمحو، والتغيرات التي تطرأ على مزاج كاتبها وتفكيره. ستخرج إيلينا من هذه الصفحات راقصة وتقف إلى جانبه.

سألها إبين: «كيف سأدوّن ملاحظاتي؟».

لقد صادر البواب حاسوبه المحمول وهاتفه قائلاً: «يمكنك أن تصنع من أي منهما قنبلة وتفجرها».

أجابت كولين: «تستطيع استخدام الحاسوب الخاص بالمكتبة». يقوم تلقائياً بحفظ أي ملفات، وبعد ذلك، في نهاية اليوم، يمكننا إرسالها إليك.

الحفظ التلقائي، فكّر إبين بارتياب. ليس قبل قراءتها والسخرية منها. من الواضح أن المكتبة شعرت أنه يحق لها الوصول إلى أفكاره الخاصة عن إيلينا. أي اكتشاف يقوم به، سيرونه. تساءل عما إذا كان سيمتنع اليوم عن كتابة أي شيء على الإطلاق، وتساءل عن مقدار ما يمكن أن يخزّنه محرك الأقراص الثابتة في ذاكرته.

تابعت كولين: «ستجد معظم المذكرات هنا، والنصوص السردية، رسائلها موجودة هنا، وبعض الملاحظات عن رواياتها. من الطفولة إلى المراهقة هنا، ثم من البلوغ إلى الأمومة هنا، ثم أي شيء بعد الانتقال، حسناً، يمكنك الإطلاع على الأمور الأحدث على الشاشة هناك».

«ثم بالطبع، تصل إلى نهايتها...». قالت دون أن تنظر إليه.

سأل: «ماذا بشأن سنتها الأخيرة؟».

أجابته: «لم تكتب شيئاً في تلك السنة، ولا حتى كلمة واحدة، أظنك تعرف السبب».

نظرت إليه موظفة الأرشيف بطريقة اتهامية، فأشاح إبين بعينيه بعيداً، لقد ندم على السؤال الذي طرحه، بالطبع لم تكتب شيئاً تلك السنة، أو على الأقل هذا ما تأكد منه صديقه فرانكتون، الذي سحب خيوط دميته المتحركة التي تدعى إبين حتى يكف قدر الإمكان عن انتقادها. هذه هي الطريقة التي يعمل وفقها فرانكتون بحيث لا تترتب عليه أي مسؤولية، وبحيث يُلقى اللوم على سواه،

بالرغم من أنه ثقيل الوزن حيث يبلغ وزنه 19 حجراً[1] إلا أنه يتمتع برشاقة تتيح له الهروب من المواقف غير المريحة.

قال إبين: «شكراً على المساعدة»، وهو ينتظر أن تغادر كولين، وهو يأمل أن لا تتفانى في تأدية وظيفتها وتبقى إلى جانبه طوال الوقت الذي سيمضيه في الأرشيف، فهو يشعر بما يكفي من الانزعاج ولا يحتاج إلى أن تكون إلى جانبه «سأقصد مكتبك إذا احتجت إلى أي شيء آخر».

قالت: «حسناً، لن تستطيع الخروج بمفردك، كل ما أنت بحاجة إليه هو أن تضغط زر الطوارئ، وسيأتي أحد البوابين ويفتح لك الباب».

«هل ستحبسونني في الداخل؟».

أجابته: «إنها سياسة الأمان الجديدة، أنت أدرى الناس بأهمية المواد الموجودة هنا، خاصة في ظل سياسة منع استخدام الأوراق، لن نخاطر بالسماح لك بالخروج من هنا، لقد خسرنا ما يكفي بالفعل، ألا تعتقد ذلك؟».

قال: «لكنني سأكتب سيرتها الذاتية».

أجابت: «لقد أوديت بحياة شخص وها أنت تريد أن تكتب عنه لأن لا حياة لك لتكتب عنها».

«لكن...»، تابع إبين: «ماذا لو احتجت إلى تعقيم يديّ؟».

قالت وهي تشير إلى موزّع في زاوية الغرفة: «هناك كثير من المعقمات هناك».

«وإذا أردت الدخول إلى المرحاض».

«كما سبق لي أن أخبرتك، اضغط على الزر الأحمر. سوف يجلب لك البواب دلواً».

«دلو؟».

---

(1) وزن يبلغ 6.350 كلغ.

قالــت بجدية: «كنــت أمزح، تقع مراحيض الرجال فــي نهاية الممر جهة اليســار، ولكن لا يزال يتعين عليك الضغط على الزر للســماح لك بالخروج. الآن، الشيء الوحيد الآخر الذي أطلبه منك هو أن تضع هذا القفاز».

سلمته قفازاً أبيض. أصابعه القطنية كانت تشير إليه بإدانة. فكّر في سره أنه حتى القفاز يعرف ما فعلته.

أضافت: «من الواضح أنه لا يُستخدم في المرحاض، بل عليك وضعه عند التعامل مع الموارد والمواد. كما ترى، لن تحتاج حتى إلى معقّم؛ إنه مزوّد بطبقة مضادة للجراثيم...».

مــوارد... مــواد. لاحــظ إبين المصطلحــات المختارة بدقة. لقد ســمع أن الحكومــة كانــت تحاول تثبيط الناس عن اســتخدام كلمات مثل اليوميات، والكتب، والصفحات. فلم تكن هناك أي فائدة من غياب الورق نفسه إذا كانت المفردات ستبقى. لم يكن متأكداً من أن كلمة أمين المكتبة كانت قيد الاستخدام الآن. لقد سمع مصطلحات مثل «معالج الموارد». كل شيء في يدك يعتبر مادياً. كانت الكتب تعتبر نتاجاً للكاتب. لقد سمع رئيس الحكومة يقول في مقابلة: «لا نريد أن تعيق المفردات أمتنا، إن إحدى المشكلات التي تعيق أمتنا هي مفرداتها القديمة، وهوسنا بالتحرك إلى الوراء بدلاً من الأمام».

لكن لا يمكنك التخلّص من كلمة مكتبة! فكّر إبين في ســره. ولكن حتى وهو يفكر في الكلمة، أصبحت بلا معنى على لسانه. مكتبة. مكتبة. مكتبة. كان بإمكانه أن يتخيل ما سيحدث. المكتبة الوطنية ستصبح الأرشيف الوطني، وبعد ذلك ستصبح أرشيفاً مادياً؛ مجرد مكان لتخزين المواد. وبعد ذلك سوف تصبح لا شيء؛ ربما تصبح فندق خمس نجوم مع منتجع صحي.

لقد تمنى ألا يكون حيّاً وقتها.

غــادرت كوليــن الغرفة، وأغلقت الباب الذي أصدر صوتاً مدوياً. ســمع صوت نقر إلكتروني صغير، وهذا يشــير إلى أنه مغلق الآن، فضغط بيديه على

الباب الذي لا مقبض له، وهو يتنفس بعمق، محاولاً أن يقول لنفسه إن الأمر على ما يرام؛ لقد كان مجرد إجراء أمني. وأنه لا يزال رجلاً حراً. لم يقتل أحداً، وكان حراً في أن يفعل ما يريد.

عندها فقط لاحظ العينين الداكنتين اللامعتين اللتين تحدقان من الرف الذي يعلو رأسه، لم يكن وحيداً، لأن التمثال النصفي لإيلينا كان معه يراقب كل تحركاته.

دان

مكتبة
t.me/soramnqraa

9:30 صباحاً

مهما يحاول أن يخدع نفسه، وهو يسير على السجادة الحمراء، نحو البوابة ذات الدرفتين، لم يكن فتح المكتبة بالعمل ذي الأهمية، ومهما يبدُ الجمهور في الخارج متعطشـاً لوصوله، ويعتبره حارساً لكل الكنوز، لم يكن هناك أي تفوق مرتبـط بوظيفته على الإطلاق. كل مـا أرادوا فعله هو تجاوزه، للحصول على أفضل الطاولات. بالنسبة إلى هؤلاء الأشخاص، لن يكون البواب أبداً أكثر من مجرد رجل يفتح الباب ويغلقه، ويسمح لهم بالدخول والخروج مرة أخرى.

لم يستطع أن يفهم ما الذي يجعل أي شخص يرغب في قضاء يوم جميل داخـل المكتبة؛ يقف في طابور تحت أشـعة الشـمس ليحصل على مكان في الظلام. كل يوم كان يرى الوجوه المواظبة؛ لقد تعرف إلى الأسماء الأولى للرواد الدائمين، الذين مضى على ترددهم فترة طويلة، وكان يعرف معظم الرواد الذين لا يواظبون على المجيء إلا عندما يكون لديهم مقال أو رسالة دكتوراه يريدون العمـل عليها. وكان ينظر إلى الآخرين بعين الريبة؛ أولئك الذين جاؤوا وذهبوا مثل الريح ولم يكن لهم هدف محدد؛ الذين أتوا إلى المكتبة لأن الدخول إليها مجاني، ولأنها بدت لهم خياراً أفضل من قضاء الوقت بمفردهم في المنزل.

مع ذلك، فقد شعر بعاطفة خاصة تجاه المسّاحين: وهم أشبه بسلالة خاصة يرتدون السترات المصنوعة من النايلون، ويضعون نظارات سميكة، يأتون ليلقوا نظـرة على خريطة لتضاريس غابت منذ زمن طويل، وكأنهم يفكّرون في العودة

إلى الماضي. وجدهم رائعين ومثيرين للحزن في الوقت نفســه، لكنه رأى أنهم جميعاً خاسرون في النهاية، لأنهم اختاروا أن يكونوا هنا، في الوقت الذي يسهل عليهم أن يكونوا في مكان آخر، وهو اختيار لم يكن متاحاً له.

بعد أن تُفتح تلك البوابة، كانوا يتدافعون بطريقة غير لائقة من أجل الوصول إلى الطاولات. وكانوا يتشاجرون كل صباح حول زاوية الطاولة، ويتنافسون على قطع معينة من خشــب الماهوغاني، ويشــتكون من الزاوية التي يجلسون فيها، وعدم استقامة ساق الكرسي. كانوا يتذمرون من الطريقة التي تتدفق بها الشمس من خلال النوافذ العالية وتنعكس على الشاشات أمامهم؛ قال بعضهم إن زاوية ضوء الشــمس تضر بعملية تفكيرهم، وإن الكثير من أشــعة الشمس - أو القليل منها - يؤثر في إبداعهم، وأن الأفكار العظيمة يمكن أن تذبل في ضوء الشمس.

لهذا الســبب، أحبّ دان أن يســتمتع ببعض المرح معهم؛ خاصة الفتيات اللواتي جئن ووقفن في الخارج عند الســاعة التاســعة منتظرات أن تُفتح البوابة بعد نصف ســاعة. كانت أولى ضحاياه اليوم، فتاة أشــعرته بملل شديد قبل عدة أسابيع عندما أخبرته عن تفاصيل بحثها، الذي يتناول بدايات هذه الأمة. كانت تجمع معلومات عن أول شــاعر، وأول ناشــط في مجال اللغة، وأول متحوّل جنســياً. كانت فكرة الأول في كل شــيء محور حياتها، لقد أطلعته على ما تقوم به بعد أن نظرت إليه لفترة طويلة نســبياً، فظنها تتودّد إليه، وعندما عرض عليها دعوتها لشرب شيء، ضحكت، ومضت في سبيلها.

فــي وقت لاحق، عندما ألقى نظرة على تســجيلات كاميرا البواب، أدرك أنهــا كانت تتحدث إليه، لتغيــظ صديقها الذي كان يراقبها من الطاولة في قاعة المطالعة المجاورة، لقد أرادت أن تُثير غيرته، لذا افترض أنه ليس هناك ما يثير حبيباً ثانوياً لمغنية من الدرجة الثانية ســوى أن يعتقد أنها مهتمة بأمر بواب من الدرجة الثالثة. منذ ذلك اليوم كان ينتظر ليرد لها الصاع صاعين.

لاحظ دان أن صوتها هو أول ما كان يسمعه عندما يفتح البوابة، كما لاحظ

أنها ترفع إحدى قدميها مستعدة للانقضاض على المدخل. أما صديقها، الذي تغطي خصلة شعر إحدى عينيه، فبدا له غبياً، خصوصاً عندما تمسك بيده وتسحبه خلفها.

قال لهما دان: «ممنوع الاتصال الجسدي من فضلك».

«لا بأس إنه جزء من أسرتي، إذا كنت تعرف ما أعنيه»، قالت الفتاة وهي تناور حوله لتتخطاه.

سألها وهو يعترض طريقها: «هل يمكنني أن أرى بطاقة المكتبة الخاصة بك؟».

خاطبته قائلة وقد بدا عليها الانزعاج: «لكنني كنت هنا بالأمس»، في غضون ذلك حاول صديقها أن يُحرر يده من قبضتها، وهذا ما بدا مهمة مستحيلة، في غضون ذلك، تجاوزها المتنافسون الأول والثاني والثالث والرابع ليحصلوا على أكبر الطاولات وأفضلها.

أضاف: «إنها لأغراض أمنية». بحثت في حقيبتها عن البطاقة. «علينا أن نكون حذرين هذه الأيام، هل لقاحاتك مكتملة؟».

«نعم بالطبع، أنظر إليّ فأنا خير مثال عن شخص صحي، لا أفهم سبب إثارتك لكل هذا الصخب. لم أحضر هذه البطاقة لأن أحداً لم يطلبها بالأمس، أو أول من أمس، أو اليوم الذي سبقه، ألا تذكرني؟ أنا آتي إلى هنا يومياً منذ ستة أشهر».

«للأسف، أنا لا أذكرك». بدا أنه يدوس أفكارها التي تغالي فيها بشأن الأول في كل شيء بطريقته الخاصة «عليك الحصول على بطاقة خاصة بالدخول ليوم واحد من هناك».

حاول توجيهها نحو مكتب الاستقبال في المكتبة، لكن انتهى به الأمر بلمس مرفقها، ولامس طرف إصبعه كمّ فستانها القطني المطبّع. فكادت تنفجر من شدة الغضب.

«هل لمستني للتو؟ من دون قفازات أو أي شيء؟».

حاول دان الابتعاد، ولكن بعد فوات الأوان.

«أعتقد أنه لمســـني للتو!» لجأت الفتاة إلى صديقها للحصول على الدعم. «لقد رأيته يلمسني أليس كذلك؟».

قال الصديق التابع: «أظنه فعل ذلك، ربما لوثك».

بحلول ذلك الوقت، كان رواد المكتبة قد تجمّعوا ليروا ما يحصل.

قـــال: «عليك الحصول على بطاقة تتيح لك الدخول ليوم واحد من مكتب الاستقبال»، ولم يرد أن يسمح لها بالفوز. «عندها تستطيعين الدخول».

«هذا لأنني رفضت دعوتك، ماذا بشأن لقاحاتك؟ هذا ما أود معرفته وأنت تلمس كل شيء وكل شخص». قالت ذلك وحدّقت إليه.

تذكّر دان الأســـابيع الأربعة الرهيبة التي أصاب فيها الوباء السجن، وانتشر بين النزلاء. لقد وُضع في زنزانة بمفرده، حيث كان يهلوس بشأن العائلة المالكة فــي البلد المجاور، ظاناً أن أفرادها كان يتجولون حول ســـريره ويخبرونه بكل شيء عن خططهم لحكم بلاده إلى الأبد.

همس: «مرّي».

انتفضت، ولم تعد مهتمة به أو بجراثيمه، وهي تسرع على السجادة الحمراء نحو طاولتها. أبطأ صديقها وأخفض صوته.

«هل لديك... أنت تعرف ما أعنيه؟».

«ليـــس اليوم،» أجابه دان، وهو يبعده قبل أن يقترب أحد من رواد المكتبة. «حافظ على المسافة الخاصة بك من فضلك يا سيدي...».

«لكنك قلت...». واصل الصديق كلامه وهو يحوم حوله مثل الذبابة.

«تعال لرؤيتي لاحقاً، حسناً؟ في وقت الغداء».

ابتعـــد الصديق، فتنهد دان. لقد افترض أنها لم تكن أفضل فكرة في العالم أن يـــدأ ببيـــع المخدرات للطلاب. أو على الأقل، لهـــذا الطالب، الذي تعمل

صديقته على تسجيل الأول في كل شيء. لقد كان متأكداً أنه لم يسبق أن ضبط بواب مكتبة وهو يبيع المخدرات، وكأنها المرة الأولى التي استخدم فيها خزائن المكتبة لتخبئة بضاعته.

أحبّ أن يزعج الأكاديميين الذين يقفون في الطابور، إنه يستطيع التعرف إليهم من مسافة بعيدة، فهم يبدون شديدي الانشغال بأفكارهم إلى حدّ أنهم لا ينتبهون لوجوده، لقد كانوا في غاية الوقاحة، لأنهم لم يتخيلوا ولم يتقبلوا أن يحول أي شيء بينهم وبين ما يودون القيام به، وهذا ما يجعلهم مرشحين ممتازين ليزعجهم. لقد وقع اختياره اليوم على رجل غريب المظهر يضع نظارة، وبدا مستعجلاً، فسأله عن بطاقة اللقاحات، والبطاقة الخاصة به لدخول المكتبة، ولم ينوِ رؤية أي منهما، لقد قال له إنه يظن أن نظارته تحمل الجراثيم، وطلب منه أن يمسحها بمنديل مُعقّم. قام بكل هذا ليتسلى، وهو الذي لم يكن مطلوباً منه سوى الوقوف والنظر إلى الرواد الذين يمرون من أمامه، ولا يعيرونه أي انتباه، وكأنه ليس موجوداً.

بعد الموجة الجارفة الأولى من الرواد حل الهدوء. بحلول التاسعة والدقيقة الخامسة والأربعين، لم يعد هناك أي شخص. عاد إلى مقر البوابين الخاص به ليتأكد إلى أين وصلت العربة على التطبيق. لقد أصبح الآن بروتوكولاً لأي شخص يذهب في رحلة عمل خارج المكتبة أن يكون قابلاً للتتبع، وهو ما يناسب دان تماماً، لأنه سيكون قادراً على التأكد من أنه عاد إلى الوضعية الطبيعية عندما تعود العربة إلى موقف السيارات. وفقاً للتطبيق، كان البوابون عالقين في حركة المرور خارج وسط المدينة مباشرةً، على الطريق الذي يربط البلدة بالمدينة، أمام جدار السجن مباشرةً. تفحص لقطات كاميرات المراقبة على شاشته الرئيسية، ليرى ما يراه البوابون الآخرون عندما يتصلون بالتطبيق. في هذه النسخة التي أعدها، كانت المكتبة أكثر ازدحاماً قليلاً من المعتاد، وكان دان، يرحّب بسعادة بكل رواد المكتبة، يمسح بواسطة جهازه تصاريح المرور

والبطاقات الخاصة بهم، ولا يعترض طريق أي أحد أو يزعجه من دون سبب. وبما أنه كان بواباً لطيفاً ومثالياً، كان ترحيبه بالرواد يُسمع بصوت عالٍ وواضح في التسجيل الصوتي، الذي التقطته كاميرا حزام البواب، بصفته أفضل نسخة يمكن أن يكون عليها البواب. بعد ذلك، رأى نفسه يبتعد عن مدخل كاميرا المراقبة ويدخل المكان الذي كان فيه الآن، جالساً خلف مكتبه، حيث كان يراقب الشاشات في الوقت نفسه ويقرأ باجتهاد كتيب الأمان، إنه بواب ملتزم تماماً بالصعود في مراتب عالم البوابين.

جلس براحة، وبدا التركيز على تعابير وجهه وهو ينظر إلى لقطات كاميرات المراقبة التي التقطها قبل بضعة أسابيع. لقد تذكّر سبب وجود هذا التعبير على وجهه في المقام الأول، وكان ذلك ببساطة لأنه اكتشف أن القاعدة 34 في دليل الأمن تنص على أنه لا يجوز لحراس الأمن الدخول في علاقة عاطفية أو جنسية مع أي شخص أو أشخاص يكون مسؤولاً عن سلامتهم. وهي القاعدة التي كسرها بالفعل، ما أثار دهشته كثيراً.

عندما كان حديث العهد هنا، بعد خروجه من السجن، شعر أنه محظوظ إذا نظر إليه أحدهم أو حتى ابتسم له. لم تبدُ عاملات المكتبة كائنات ذات رغبات جنسية، أو على الأقل لم يرغبن بالاعتراف بأي شي له علاقة بالجنس، مع أن الجنس كان حقاً من حقوقهن وامتيازاً يرافق أنوثتهن. قال له كبير البوابين: «هذا المكان مخصص للكتب وليس للناس، وهو يعتبرون أنفسهم ثانويين مقارنة بالمواد». ولكن بعد أن مضى أسبوع على عمله في المكتبة، التقى بها في الطابق السفلي. لقد عرف منذ اللحظة التي رآها تتجه نحوه، أنها ليست امرأة تحتاج إلى إنقاذ من أي شيء. وفي كتيبه الشخصي، كان هذا يعني أنه حر في فعل ما يريد.

لقد تأخرت هذا الصباح عن موعد وصولها المعتاد. وعندما وصلت أخيراً، كانت تطوق رقبتها بوشاح أبيض، كان مشدوداً وكأنه يريد أن يبقي على رأسها مستقيماً، لقد ألقت نظرة عرضية إليه، بما يفيد أنها رأته، قبل أن تتابع طريقها

إلى المكان الذي تقصده كل يوم.

لـــم يخطر في باله أن يســـألها عن المكان الذي تعمـــل فيه في هذا المبنى الضخم، حتى أنه لم يسألها عن اسمها، لقد أحبّ كل ما يحيط بالأمر من حياد؛ فهو لم يتحدث عنها بكلمة واحدة أمام أي شخص، وهذا ما جعله محتاراً، بدا له الأمر برمته وكأنه رواية من نسج خياله، رواية تضاف إلى مثيلاتها الموجودة على الرفوف.

توجّه إلى صالة المطالعة الشمالية ليرى إن كانت هناك، وعندها حدق إليه موظف الأرشـــيف في مكتب الإصدارات، لأنه كان يقف على بعد مسافة معينة من الباب لم تتح له الإغلاق فظل يفتح ويغلق مراراً وتكراراً.

همس له الموظف: «بالله عليك، ما خطبك، أليس لديك ما تقوم به؟».

أولى صالة المطالعة الشـــمالية ظهره، وســـار على الســـجادة الحمراء نحو مكاتـــب أمنـــاء المكتبة. لن يحين موعد جولة أخرى قبـــل موعد الغداء، ولكن اليـــوم كان الجهـــاز الخاص، الذي يُطلق عليه اســـم الراهبة، ملكه وحده، وكان حراً في التجول حيث يحلو له في المكتبة، من دون أن يعرف أحد أين هو. كان رئيســـه يشاهد لقطات كاميرات المراقبة التي تعود لأيام سابقة والتي جمعها من لقطات هادئة لتظهر يوم عمل مثالي لدان، في الوقت الذي يمضي فيه في طريقه في يوم بعيد كل البعد عن المثالية.

دخـــل إلى الممرات المظلمة، متحركاً بصمت بعيداً عن المكاتب العامة، وهي أماكن لم يعرف عنها أحد. نظر إلى الداخل فرأى كل رأس منحنياً باجتهاد فـــوق المكتب فـــي حالة تركيز؛ لا يبدو أن أحداً يتلـــكأ، كان الجميع مركّزين، مـــن حيث ينظر إليهم بدوا لـــه وكأنهم تماثيل عرض الملابس موضوعة بطريقة خاصـــة. تلمـــس الجهاز الصغير في جيبه والذي يعرف تماماً مدى قوته، فهو لا يحتاج ســـوى لتمريره أمام جهاز الاستشـــعار، حتى تقفل كل الأبواب ويحتجز الجميع في مكاتبهم.

وفقاً لما قاله كبير البوابين، أصبح حبس الأشخاص الآن أكثر جدوى من السماح لهم بالخروج، أصبحت الكسوة الجديدة التي ركبت الآن مقاومة للحريق والقنابل وحتى مقاومة للتسونامي، إذا وصل الأمر إلى ذلك (وهو ما يمكن أن يحدث، كما قال كبير البوابين، في بلدة ساحلية، وإن كانت المكتبة تقع أعلى التل). وقد أصبحوا جميعاً أكثر حذراً الآن، بالطبع، بعد الحريق؛ عندما التهمت ألسنة اللهب نصف السقف، واحترق عدد كبير من الكتب النادرة والمذكرات المكتوبة بخط اليد لأفضل المؤلفين المحبوبين في البلد؛ وقتها تحولت المذكرات إلى عرض مثير للإعجاب للألعاب النارية فوق البلدة.

قال كبير البوابين: «لم يعد أي شيء قادراً على هدم هذا المبنى، ولا حتى كارثة نووية».

كان دان يتساءل أحياناً عما إذا كان أي شخص في هذه المكاتب سيلاحظ إن أقفل عليهم. لقد أمضى وقتاً طويلاً غاضباً بشدة بسبب سجنه - قضى فترة طويلة دون حراك في زنزانة واحدة - ومع ذلك، بدا الناس هنا على ما يرام مع الحبس. لقد كان من الطقوس اليومية لهذا المبنى: الجلوس، وعدم التحرك؛ أي الانهماك بشيء لا يهم العالم الخارجي حقاً. وحتى عندما يرن الجرس الأخير معلناً أن موعد الإغلاق قد حان، يرى بعض الرواد مترددين في حزم أمتعتهم والمغادرة؛ وكأن الجرس أفسد عليهم متعة إتمام عملهم لهذا اليوم

عاد باتجاه القسم المركزي من المبنى، سار عبر السجاد الأحمر عائداً إلى مكتبه، وهو يشعر بأن الجهاز الخاص في جيبه، والذي يطلق عليه اسم الراهبة، أصبح أكبر فأكبر.

قال بحماسة وهو يمد يده نحوها: «هذه أنتِ». لم يتوقع أن تأتي إليه في وقت مبكر جداً، لكنه افترض أنه بعد أن وضع نسخته الخاصة من لقطات الكاميرات على التطبيق، يمكنهما القيام بما يريدانه في أي مكان، بما في ذلك

هذا المكان تحديداً، هذا ما فكّر به بسرعة.

«ليس الآن»، قالت وهي تتراجع وتنظر إليه بغرابة. لطالما فعلت ذلك، وكأنه كائن غريب خرج للتو من البحر، ويتحدث لغة لم يسبق لأحد أن سمعها. مع ذلك، قبل عدة أيام، بدا الأمر مختلفاً، عندما ساعدها في نقل آخر متعلقات والدتها إلى الأرشيف. وقتها عرف للمرة الأولى أن والدتها هي إيلينا أوديغ، صاحبة التمثال النصفي الذي ينقله للتو. وضع التمثال النصفي على العربة، التي دفعاها معاً، وكادت أصابعهما أن تتلامس، نزلا إلى الممر الأزرق في طابق الأرشيف، لقد أصدرت العجلات صريراً، لم يرغب أن يتوقف الصرير، لأن ذلك سيعني انتهاء المهمة. لقد كان وجود مثل هذه الفتاة يجعل صوت صرير العجلات، والأرضية المطلية بمادة شمعية وحتى الأرشيف بحدّ ذاته، شيئاً جذاباً.

أغلق أبواب الأرشيف بواسطة جهازه الخاص، الذي يطلق عليه اسم الراهبة، نقر عليه مرتين، ليتأكد من أنه أقفل بشكل جيد. عندما استدار، رآها جالسة على العربة، أراد أن يضحك؛ لم يتوقع ما حدث، فعانى مع ملابسه قبل أن يتاح له التخلص منها، عرف أن الكاميرات سجلت كل ما قاما به، لذلك توجّه بعد ذلك إلى غرفة التحكم ليتخلص من الأدلة، أزال شريط التسجيل، واحتفظ به لنفسه، ووضع شريطاً آخر مكانه. لكن عندما جلس في وقت لاحق لمشاهدته وفك حزامه تحسباً، شعر بخيبة الأمل عندما لاحظ برودتها عندما كانا يفعلان ذلك، لقد كانت تصدر الأصوات التي يفترض بها أن تصدر عنها في مثل هذا الوضع، لكن تعابير وجهها أوضحت شيئاً آخر، عندها شعر بنكوص، فما كان منه إلا أن أعاد شبك حزامه.

مع أن ذلك حصل مرة أخرى، إلا أنه حرص أن يكون خارج نطاق الكاميرات، لأنه في المقام الأول لم يرد أن يرى فشله عندما ينظر إلى عينيها الباردتين، وهو الذي أراد أن يتمسك بخيال رغبتها فيه، بدلاً من الواقع.

كانت تحدق إليه الآن، وقد طوقت رقبتها بذلك الوشاح الأبيض، وكأنها

تتوقع منه أن يبادر. ومرة أخرى أربكته إشاراتها. لماذا جعلت الأمر صعباً عليه؟ انحنى محاولاً تقبيلها، وهو الشيء الذي لم يسبق له أن قام به، ولكنها تراجعت وأشارت إلى الكاميرا التي تعلو رأسيهما.

غمزها وهو يقول: «لا تقلقي بشأنها، لقد تدبرت أمرها».

أصبحت أكثر قلقاً من تسـجيلات كاميرات المراقبة، ولم تثق أنه تخلّص منهـا. فـي آخر مرة تحدثا فيها، قالت إنها لن تكرر الأمر معه مرة أخرى إلا إذا تأكدت من عدم وجود سجل لذلك، في أي مكان في العالم. وقالت له: «الأشياء التي تمحى يمكن أن تُسترجع. بعض الأمور لا يجب أن تُسجل في أي مكان أو يعلم بها أي إنسان، لا يجب أن نُسجل ما نقوم به سوى في ذاكرتينا».

هذا عندما خطرت له فكرة استبدال اللقطات بدلاً من تدميرها.

بدا أنها استسلمت أخيراً، وتحركت نحوه، ووضعت يدها في جيبه، وبحثت عن شيء، وعندما قبضت عليه، أطلق أنيناً، فكتمه عندما مرت كولين ورمقتهما بنظرة غريبة.

قالت وهي ترخي قبضته: «حافظ عليه هكذا لوقت لاحق».

قـال: «لا تكوني سـخيفة، لننزل إلى الأرشـيف، أو ندخل أحد المكاتب الفارغـة، أو المخـزن، أو أي مكان آخر، أنا اليوم وحـدي، ولا أحد يهتم أين أكون، ولا أحد يسـتطيع أن يرانا، لقـد فصلت كاميرا حزام البواب، أنهم يرون ويسمعون شيئاً مختلفاً الآن...».

أجابـت بحزم: «لا يا دان، لديّ عمـل ويجب عليك الانتظار». بعد ذلك، لاحظ شيئاً وهي تبتعد عندما ارتفعت بلوزتها الحمراء. هناك بقعة أسفل ظهرها، أدرك أنها بسبب ما قاما به بسرعة الأسبوع الماضي أمام الرفوف. لم تشتكِ وقتها، لكن البقعة بدت سيئة، شعر وقتها أنه كان قاسياً معها وربما أنانياً، ربما عليه أن يسألها إن كان يفترض به أن يكون أكثر هدوءاً، وربما يجدر بهما أن يجدا مكاناً مناسباً للقيام بهذا الأمر بالشكل الصحيح. شعر أنه ربما ذهب بعيداً في ما يفكر

فيه وهو الذي يعرف أنه بالرغم من اســتمتاعه، كان مجرد تجربة بالنســبة إليها، شخص يضفي شيئاً من التسلية على أيامها المملة. وما زاد الطين بلّة أنها عندما التفتــت لتنظــر إليه الآن وهي تنعطف عند الزاوية، بدت وكأنها تنظر من خلاله، كما لو كانت تبحث عن شخص آخر، شخص أفضل، ليظهر في مكانه.

لــم يــدرك الهدف مما حصل حتى وصل إلى مكتب البوابين: لقد سُــرق الجهاز الذي يطلق عليه اسم الراهبة من جيبه.

آنّا ونان

10:00 صباحاً

دخلت نان إلى المكتب الذي تتقاسمه هي وآنّا مع ثلاث زميلات. لا تزال ترتجف بعد لقائها مع دان، مصدومة من جرأتها، بخصوص ما قامت به يدها في جيب دان قبل أن تسحب جهازه الخاص بمهارة. بدت مومساً خبيرة تعرف يداها ما تقومان به في سراويل الرجال. بذلت جهداً كبيراً لإخفاء رعشة يدها، فأبقتها داخل جيبها تتحسّس بطاقة جهاز الأمن، لقد كان هذا دليلاً ملموساً على الشخص الجديد الذي أصبحت عليه.

لكنه كان أيضاً دليلاً على مدى إفسادها للتوقيت، لأنها حصلت على الجهاز في وقت أبكر بكثير مما خططتا له، وهذا ما سيجعله يشعر بأن هناك خطباً ما. إذا كانتا تريدان أن تنفذا ما خططتا له بأمان، فيجب عليهما أن تنفذاه الآن، على وجه السرعة؛ لم يكن هناك وقت لتضيعاه. بما أن دان هو البواب المناوب الوحيد اليوم، من غير المرجّح أن ينبّه فريق الأمن إلى أنه فقد جهازه بسرعة، لأن مثل هذا الإهمال يحتمل أن يؤدي إلى طرده. ولكن عندما يُبلّغ فريق الأمن أخيراً - على افتراض أنه سيكون قادراً على التواصل معهم وهم يؤدون العرض في المدينة - فسيؤدي ذلك إلى إغلاق المكتبة بشكل فوري وكامل، وحبس الجميع في الداخل، حتى تعثر قوات الأمن على الجهاز المفقود.

اعتقدت أن دان لن يقدم على هذه الخطوة قبل أن يستنفد خياراته الأخرى، مع الأخذ في الاعتبار أن ذلك يعني أنهم سيكتشفون خطأه قريباً. وإذا كان الأمر

كذلك، فربما لا يزال أمامهما ساعة؛ بينما كان يحاول تجريب خياراته.

لم تنظر آنّا إلى الأعلى عندما دخلت المكتب. سيطرت نان على نفسها وشغّلت حاسوبها، وأرسلت بريداً إلكترونياً سريعاً إلى أختها باستخدام الرموز الخاصة بهما.

قرأت البريد الإلكتروني: «يحتاج كتيّب القرن الرابع عشر إلى تعديل».

وبعد ذلك نظرت إليها، مذهولة إلى حدٍّ ما، قبل أن تعود إلى لوحة المفاتيح الخاصة بها وترد عليها بإجابة.

ردّت عليها: «متى تريدين التعديل؟».

كتبت نان: «في أسرع وقت ممكن». وهي تتجنب النظر إلى أختها عندما سمعت النغمة المألوفة التي تشير إلى وصول رسالة إلى صندوق الوارد.

نهضت آنّا بسرعة، ووضعت قناعها الواقي والقفاز، وشقت طريقها إلى عربة الكتب في الزاوية، واستدارت بها لكي تمر أمام مكتب نان، فمدّت الأخيرة يدها إلى الحقيبة السوداء أسفل المكتب، وأخرجت كتاباً كبيراً وثقيلاً من أعماقها. واصلت زميلاتهما في الغرفة، وهن ثلاث موظفات أرشيف: سمر، وليلي، وبيل عملهن، وهن يحنين رؤوسهن فوق مكاتبهن. حتى الآن لم يلاحظن وجودهما. كانت هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور في هذا المكان؛ كان التوأم غير مرئي بالنسبة إليهن إلى حدٍ ما. فازدواجهما، بدلاً من أن يجعلهما أكثر وضوحاً، غالباً ما كان له تأثير عكسي على الناس. لقد جعلهما أقل من مجرد شخص واحد بطريقة أو بأخرى، وكأن كل واحدة منهما ألغت الأخرى. اعتقدت نان أن زميلاتهما لم يولينهما كثيراً من الاهتمام لدرجة أنه كان بإمكانها بسهولة سحب المسدس من تحت مكتبها هناك وتسليمه إلى آنّا. فكرتهما بوضعه داخل نسخة مجوفة من إحدى الطبعات الأولى للكتاب المقدس، عندما لم يكن أحد يراقبهما، ولا حتى شاشة المراقبة، بدت غير ضرورية إلى حدٍّ ما.

في غضون ذلك وبينما كانت نان تسحب المسدس سلمت آنّا الجهاز

الخاص بدان، فوضعته في جيبها، ووضعت الكتاب المقدس في عربة الكتب الخاصة بها، وبدأت بدفعها خارج الغرفة، ولكن ليس قبل إرسال الرسالة الإلكترونية الأخيرة إلى أختها. كان وجه آنّا محجوباً جزئياً بقناعها، وكان من الصعب قراءة تعابير وجهها، لكن نان لاحظت تجمع العرق على جبين أختها؛ بدت أصابعها، التي كانت رشيقة ذات يوم، ثقيلة وهي تنقر على لوحة المفاتيح، وتتنهد وهي تكتب الحروف الخاطئة، وتحذفها، وتبدأ من جديد، مراراً وتكراراً.

عندما غادرت آنّا الغرفة، قرأت نان البريد الإلكتروني: «يجب أن نعود إلى النسخة الأصلية». مكتبة سُر مَن قرأ

النسخة الأصلية. حاولت نان أن تتذكر ما يعنيه الرمز الآن، لأنها شعرت بالتشوش الذهني مرة أخرى، وظهرت تلك البقع البيضاء أمامها. هل قالت آنّا شيئاً عن إبقاء نان لسمر، وليلي، وبيل على مكاتبهن بمجرد مغادرتها الغرفة، ومنعهن من التجوال؟ هل كان ذلك النسخة الأصلية، الخطة الأصلية؟ أم كان هناك شيء آخر يفترض بها أن تفعله؟ هل كان لديها الوقت للذهاب والتحقق مرة أخرى مع آنّا، مع المخاطرة بمغادرة هؤلاء الثلاث الغرفة؟ قررت أنه ربما كان من الأفضل أن تبقي الأمور بسيطة في الوقت الحالي، وتدع أختها تعتني بالباقي، على أمل أن تتمكن آنّا، بطريقة ما، من إعادة الأمر برمته إلى المسار الصحيح. لقد كان هذا شيئاً، تفتخر آنّا بقدرتها على القيام به، فبما أنها تكبرها باثنتي عشرة دقيقة فهذا يجعلها أكثر من قادرة على تنظيف أي فوضى تتسبب بها أختها الصغرى.

لا يعني ذلك أنه كان هناك أي خطر حقيقي من ذهاب زميلاتهما إلى أي مكان. لم تكن سمر وليلي وبيل يغادرن الغرفة إلا عندما تشير الساعة إلى الحادية عشرة وخمس عشرة دقيقة. في الحقيقة، لم تكن أسماؤهن تناسبهن. كانت سمر مثل عاصفة رعدية، وكانت عيناها الداكنتان تُحجبان خلف نظارتها السميكة للغاية؛ أما ليلي فتطلق رائحة كريهة من جسدها كلما تحركت في كرسيها؛

وكانت بيل شـاحبة محمرّة اللون، وكان جلدها يكشـف عن الدم الداكن الثقيل الذي يكمن تحته. وكانت نان تميل إلى أن تكون على هامش محادثاتهن، لكنها كانت تعرف حركاتهن، من الداخل إلى الخارج، الأمر الذي كان مفيداً في يوم مثل هذا اليوم.

مع ذلك، كان هناك اختلاف طفيف في الروتين هذه الأيام. كانت بيل حاملاً فـي شـهرها الثامن، وكان بطنها منتفخاً فوق حافـة بنطالها. وهي لا تكف عن الذهاب إلى المرحاض، خشية أن يسيل سائلها الأمينوسي. قالت إنها تشعر أن الطفل سيولد مبكراً، كما لو أنها تؤكد على قواها الأمومية الخارقة، لقد تباهت بحملها منذ البداية، وكأنها تُلمّح إلى أن الأخريات في الغرفة لن ينجحن بالحمل مثلها، يبدو أن سمر وليلي شكلتا ثنائياً انشق عن المجموعة التي كانت تضم بيل، وكانتا تنتقلان بين مكتبيهما، لتتبادلا الأخبار بآخر مآثرهما الجنسـية وتتباهيان بأنهمـا لا تمتلـكان أطفالاً وما يترافق مع وجودهم من تعب وغم ووجع رأس. وكالعادة تركت نان وآنّا لأمورهما الخاصة، حيث افترض الجميع أنهما شـكلتا تحالفهما الخاص منذ فترة طويلة ولا ترغبان في أن تكونا في دائرة مع أحد آخر.

فجـأة أعلنت بيل بأنها تشـعر بسـائل ينقط من جانـب فخذها، فنهضت وتوجّهـت صـوب الباب. فلم يكن أمام نان من خيار سـوى اللحاق بها مع أن الأمر بدا غريباً.

«ليس هناك من داعٍ لمرافقتي». صرخت بيل في الوقت الذي تبعتها فيه نان علـى الدرج اللولبي الخـاص بالموظفين من مكتبهن إلى مراحيض الموظفين. «أنا أتحقق فقط. يمكن أن تكون أي شـيء، ربما تكون إفرازات مهبلية، وليس لها علاقة بالسائل الأمينوسي، وربما ببساطة بُلت على نفسي».

قالـت نان: «لقد قـرأت عن أطفال يولدون في المراحيض عندما لا تتوقع الأمهـات ذلـك على الإطلاق. ربمـا تحتاجين إلى مسـاعدتي»، وهي تحاول التظاهر بالقلق، ولكنها لم تكن قادرة على تخيل نوع المساعدة التي يمكنها أن

تقدمها حقاً في موقف كهذا. أرعبتها فكرة وجود شـيء ما بين سـاقي بيل، وأن تكون هي المسؤولة عن مجيئه الآمن إلى العالم.

صاحت بيل: «وماذا يمكنك أن تفعلي؟». مرددة أفكار نان من داخل الحجرة. «أنا بخير، إنها مجرد إفرازات، إنه إنذار كاذب».

سارت نان شاحبة بخطوات غير متوازنة نحو المرآة، وذهلت من حجم انتفاخ بطن بيل الذي كانت تخفيه تحت سترتها الرقيقة، وتساءلت كيف استطاعت والدتها أن تحمل بتوأم؟ وما الذي شعرت به هي وآنّا أثناء تكوّنهما في هذا المكان المظلم والضيق، وكلّ منهما متمسكة بالأخرى؟ هل كانتا تدركان أي شيء؟ هل كانتا تستطيعان التفكير؟ في بعض الأحيان تتمنى أن تعود إلى حالة الجهل تلك، وتنسى أنها أتت إلى هذه الحياة. إن الطفل الذي تحمله بيل لا يعرف أي شيء عن العالم خارج رحم أمه، وعن ذلك الشيء الذي يسمى حياة، ويكمن على الجانب الآخر.

كانت والدتهما تكرر دائماً: «ليس هناك ما هو أوثق من الرابط الذي يجمعنا نحن الثلاث، أليس كذلك؟». وبعد ذلك تحتضنهما، وتحاول أن تستعيد ما كانت تشعر به عندما كُنّ كياناً واحداً «حمداً لله أن ليس هنا رجل مزعج يدخل بيننا وينسب لنفسه الفضل». لقد شعرت دائماً بالفخر لأنها ربتهما بمفردها، ولم تسمح لرجل بلمسهما. لم يكن والدهما أكثر من رسالة تمهيدية لطيفة في ملف.

شعرت نان فجأة بأنها مضطرة إلى وضع يدها على بطنها المسطح والناعم. ضبطتها بيل وهي تفعل ذلك.

قالت بيل وهي تضع أحمر الشفاه بنفسجي اللون على شفتيها: «ربما تحملين ذات يوم، ولكنك لا تعرفين متى». كان وضع أحمر الشفاه أحد طقوس بيل اليومية، ولم تعرف نان لأجل من تتبرج. لكن أحمر الشفاه ما كان يبقى على شفتيها طول الصباح، فقد كان ينتقل إلى أكواب الفلين، وأسنان بيل وأصابعها. بدا أن أحمر الشفاه ينفر من شفتيها.

«لا أعتقد أنني أرغب بذلك...». وبعد ذلك قالت: «هل أستطيع لمسه؟».

أومأت بيل برأسها، فما كان من نان إلى أن لمست بطنها المنتفخ، ومسحت بيدها عليه، فتفاجأت كم هو قاسٍ. «لم يبدُ أنه يحوي طفلاً بقدر ما بدا أنه قنبلة».

قالت بيل: «في البداية شعرت بشيء يشبه بالرفرفة، وتحول الآن إلى حركة عنيفــة قليلاً، وكأن الطفل يصارع مــن أجل أن يخرج، يمكنكِ أن تري حركته، انتظري لحظة».

رفعت بيل قميصها، فبدا لها البطن كأنه عين كبيرة تحدق إليها. وفجأة تحرك البطن الذي يشبه البيضة إلى جانبه، وكأنه يرتجف.

ســألتها: «هل رأيت هذا؟». وأردفت: «أعتقد أنه حرّك قبضته، إنه يســتعد للخروج».

بدورها ســألتها نان: «كيف تتعاملين مــع الأمر؟ أقصد كيف تتعاملين مع كائن حي موجود في داخلك وعندما يخرج ستتحمّلين مسؤوليته إلى الأبد».

عندهــا نظرت إليهــا بيل نظرة عجزت نان عــن تحديدها إن كانت نظرة اشمئزاز أو شفقة.

«عندما تجدين نفسك في مثل هذا الوضع، أعتقد أنه لا يعود لديك خيار». بعد ذلك، نظرت بعيداً وكأنها تُفكّر بجدية بما قالته نان؛ ســتتحملين مسؤوليته. «أعني ســيتغير كل شــيء، ولكننا رُبينا لنعتقد أن هذه وظيفتنا ودورنا في الحياة، أليس كذلك؟ ولكن الأمور لم تعد كما كانت... على الأقل أصبح الآباء يأخذون إجازة أبوة هذه الأيام، لذا، لن يفوتني الكثير».

بالطبع، لم تكن إيلينا تعاني من هذا الأمر في أيامها، لكنها رحّبت بحقيقة أن سياســة الحكومة أصبحت الآن تُكرّم الأمهات العازبات من خلال منحهن مربية أطفال مجانية، عندما لا يكون هناك شــريك يســاعدهن. في هذه الأيام، يحق للأم، أي أم، أن تعمل بقدر ما تريد، ويحق للشــريك أو الزوج أن يجلب لها الطفل لكي يرضع من ثديها بقدر ما يحتاج.

منذ ثلاث سنوات أحدثت رئيسة الحكومة تغييراً جذرياً، وذلك عندما أنجبت طفلاً: كانت القصة الرسمية التي أعلنت عنها أنها بصفتها رئيسة للحكومة يفترض بها أن تكون قدوة للنساء العاملات والمرضعات، وتظهر لهن أن الأمومة لا تعيق مسيرتهن المهنية بل تدفع بها قدماً إلى الأمام، فهن سيتحررن بشكل كامل من أدوارهن المنزلية، طيلة سنتين كاملتين، وهما اللتان تسبقان إرسال الطفل إلى الحضانة، بينما يبقى شركاؤهن في المنزل. لكن القصة غير الرسمية والتي سمعتها نان من رئيسة المكتبة تفيد أن رئيسة الحكومة لم تكن ترغب بطفل، ولكنها في إحدى الحفلات أفرطت في الشرب، ونسيت أن تأخذ حبوب منع الحمل، وعندما أنجبت، وتبيّن لها أن زوجها، وهو دبلوماسي، يتوقع منها البقاء في المنزل لفترة لا تقل عن ستة أشهر. قالت: اللعنة، وسعت بجد إلى جعل إجازة الأبوة سياسة وطنية وإجازة إجبارية، لكي لا تبدو شاذة عن القاعدة.

فجأة انتفخت عينا بيل، وبدت على وشك البكاء. الآن سمعت نان عطسة، أو بالأحرى ثلاث عطسات متتالية، وهذا يعني أن الساحة خالية، وأن آنّا تعرف أن بيل بدّلت مكانها. لقد كانت العطسات مرتفعة، وهذا ما جعل نان تواجه معضلة.

قالت بيل، وهي تتوجه نحو باب المرحاض: «من هذه بحق الجحيم التي تعطس بهذه الطريقة؟ ألم تعرف أنه لا يفترض بها أن تأتي إلى العمل، وهي تحمل هذه الجراثيم؟...». توجّهت بيل نحو الردهة، لتبحث عن المذنبة المريضة، في غضون ذلك ألقت نان نظرة خاطفة على انعكاس صورة نان في المرآة.

قالت نان: «حسناً، حان وقت العودة إلى العمل». وأمسكت بذراع بيل، وسحبتها نحو الباب الذي يؤدي إلى المكتب.

صاحت بيل: «مهلاً، يُفترض بي أن أتحرك ببطء بالنظر إلى حالتي...».

قالت نان: «صحيح، كذلك لا يفترض بك أن تتجولي في أرجاء المبنى، فأنت بحاجة إلى الراحة، هيّا بنا نعد».

عندما عادتا، كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف تقريباً، وهو الوقت الــذي أطلقت فيه ســمر تنهيدات طويلة، بعــد أن تبين لها أن عملها صعب ولا يمكن إنجازه. بعد سبع ثوانٍ بدأت ليلي بالنهوض عن كرسيها، وقالت إنها تريد أن تُغير مســار حياتها المهنية. أما بيل فعلّقت بأن كرســيها غير مريح، وأن أحداً لا يعرف مقدار الضغط الذي يمارســه على حوضها ليستوعب الحياة الجديدة التي تنمو في داخله.

كانــت هــذه هي إيقاعات يوم عمل نان. لقد كانت تشــعر بالطمأنينة لأنها تعرف شيئاً ثابتاً ولم يتغير. إنها تستطيع تذكّر هذه التفاصيل، وأنها تتكرر، وهذا ما جعلها تشعر بالسيطرة على كل دقيقة من يومها. أما أختها فكانت تكره التوقعات، وقالت إنها تعتبرها أمراً معيقاً. الآن تشــعر نان بخليط من المشاعر، فهي ترغب في تشجيعهن على القيام بأمر مختلف، وتحذيرهن من أن التوقعات أمر خطير، وأن القدرة على التوقع تعني أنهن معروفات ومرئيات وأنهن معرّضات للضعف.

* * *

شعرت آنّا بالانزعاج القديم من شقيقتها يتصاعد في حلقها مثل الحموضة وهي تدفع بالعربة عبر الممر. وتســاءلت إن كانت نان قد تعمدت إدارة الجزء الأول من الخطة بشــكل خاطئ، وكان هذا ســيثير غضبها في أســوأ توقيت. لقد كان قلبها ينبض بشــدة في صدرها، وكانت الاحتمالات تتســارع في ذهنها لتغطية كل شيء، في حال رأت دان يتجه نحوها عبر الممر، ويسألها عن جهازه الخاص. كان هناك سبب وجيه وراء قرارهما ألا يسرقا جهاز دان إلا بعد إنهائه لســيجارته السرية عند الساعة الحادية عشــرة والنصف، بعد انتهاء الجميع من اســتراحة القهوة. بعد ذلك، كانتا تخططان لإبلاغه بحدوث ســرقة في الداخل، وهــذا يعني أن عليه إخراج كل رواد المكتبة من المناطق العامة على الفور، من أجل بدء عملية البحث، وجمع الباحثين المتبقين في الأرشــيف. كانتا تتوقعان أن يكون في ذلك الوقت من اليوم، مشــتت العقل بطيء الاســتجابة، وينفذ أي

اقتراح يقدمانه له، في ظل هذه الفوضى، وبمجرد أن يخرج الجميع، ستطلبان منه أن يسلمهما جهازه، قبل أن تغلقا عليه وعلى الجميع، حتى تتمكنا من التوجّه إلى الأرشيف بسلام.

بالطبع، ناقشت نان رافضة ذلك، قائلة إنهما لا تحتاجان إلى المبنى بأكمله من أجل مواجهة إبين، لكن آنّا درست كتيب الأمن الجديد بعناية، وأدركت أنه إذا رصدت أجهزة الاستشعار الجديدة أي نوع من التهديد الإرهابي، فعندها يُسمح للموظفين بإطلاق إنذار صامت، من شأنه أن يضخ نوعاً من الغاز المنوّم في المناطق العامة، وهو مادة أفيونية قوية تهدف إلى تعطيل الجميع - الإرهابيين والرواد على حد سواء - حتى وصول المساعدة. كلما زاد عدد الأشخاص في المبنى، زادت خطورة أن يشعر شخص ما بوجود شيء ما، فيطلق الغاز، ويوقفهما قبل أن تصلا إلى إبين. ولكن الأسوأ من ذلك هو أن آنّا قرأت عن خلل حدث مؤخراً في هذا النظام أثناء هجوم إرهابي على قاعة الحفلات الموسيقية الرئيسية في الدولة المجاورة، حيث أصيب عدد كبير من الضحايا والجناة بتحسسات مميتة تجاه الغاز، وماتوا أثناء عملية الإنقاذ. شعرت آنّا بأنها لا تستطيع تبرير تعريض أي شخص آخر للخطر، لكن لم يبدُ أن نان قلقة للغاية بشأن هذا الأمر، وشعرت أن المهمة تستحق المُخاطرة؛ إذا كان هناك شيء، كما قالت لأختها، فمن المؤكد أنه سيكون من الأفضل أن تموت بدلاً من أن تستيقظ من سبات مهين تماماً. ذات ليلة همست آنّا لأختها في السرير «لكن ماذا لو هرب وخرج إلى المبنى الرئيسي، ورآه شخص ما أو رآنا، فسوف تفشل خطتنا. من المؤكد أنه من الأفضل ألا يكون هناك أحد لمساعدته». تساءلت آنّا عما إذا كان هناك جزء منها يريد إفساح المجال لهذه الفترة الفاصلة، وربما أراد خطة معقدة للغاية بحيث يتبين في النهاية أنها غير قابلة للإدارة. ربما كانت تحب فكرة إخافة إبين أكثر من فكرة قتله؛ وكانت قلقة من أن الأمر كان عكس ذلك بالنسبة إلى نان.

قالت نان: «سأتأكد من أنه لن يستطيع الهرب». وهي تنظر بعيداً إلى الأماكن

التي لا تستطيع آنّا الوصول إليها. في بعض الأحيان كانت تلوّح أمام عيني نان لتعيدها إلى الواقع، لتجد ببساطة أنها لا تستطيع اكتشاف الغشاء الرقيق والشفاف الذي يفصل أختها عن العالم.

لقد وُلدت أختها بخلافها ملفوفة بكيس وكأنها في شرنقة، على حد وصف والدتهما عندما كانت تتحدث عن ولادتهما، لذلك، كثيراً ما تساءلت، عندما دخلت نان في إحدى نوبات ذهولها بهذه الطريقة، إن كان دخولها المحجوب إلى العالم لا يزال يؤثر في الطريقة التي أصبحت ترى بها الأشياء الآن؛ هل شعرت بالأشياء بشكل مختلف لأنها دخلت العالم مغلفة بشيء مصمم لحمايتها من الأذى؟ من ناحية أخرى، يبدو أن آنّا قد ركلت هذه الشرنقة في طريقها للخروج، وكان تدفق الماء المفاجئ بمثابة شهادة على حقيقة أنها لم تكن بحاجة إلى الحماية من أي شيء أو أي شخص.

الآن تخيلت آنّا كيف سينتهي الأمر؛ رأت الأمر وكأنه مؤامرة يمكن أن تكتبها والدتهما، وربما تفخر بها. بغض النظر عما حدث، فقد شعرت بشكل غريزي أن من الأفضل ألا يشهده أي شخص غيرهما، وألا يتم التقاط أي شيء منه على كاميرات المراقبة؛ وهذا يعني أن هناك دائماً احتمالاً أن تتمكنا في النهاية من تحريف القصة للإشارة إلى أنه كان يمثل تهديداً لهما، خاصة إذا لم يعد موجوداً ليقدم جانبه من القصة، وهي الفكرة التي جعلتها ترتجف.

اقتربت آنّا من الممر الخاص بفريق الإدارة، وهي تدفع عربتها، وهي تتوقف بصمت عند كل باب من أبواب المكتب لتقفله بحرفية بواسطة جهاز الأمن. في الوقت الحالي، كان من الأكثر أماناً إبقاء فريق الإدارة معلقاً، وتعطيل شبكات الواي فاي وشبكة الهاتف الداخلية. تردد إبهامها قبل أن تضغط الزر الذي يُعطّل شبكات الهاتف في المبنى بأكمله، لكنها اعتبرت أن من الأفضل التريث الآن؛ فآخر ما تريدانه الآن هو أن تتوجه كولين الساخطة من مكتب الاستفسارات إلى قسم تكنولوجيا المعلومات في مكاتب الإدارة لمعرفة سبب تعطل هاتف مكتبها.

أظهر الجهاز ضوءاً أحمر، يشـير إلى أن شـبكات الهاتف الخاصة بفريق الإدارة معطلة الآن. لم ينهض أحد داخل المكاتب. ولم يلحظ أحد شـيئاً. من خلال تحرياتها كانوا مشـغولين بالاجتماعات في الصباح على أي حال، وكان لديهم آلات صنع القهوة الخاصة بهم، ولم يكلفوا أنفسـهم عناء الاختلاط مع الموظفين الآخرين في المقصف.

مع ذلك، وعلى الرغم من هذه الكماليات الصغيرة، لم يكن لديهم المفاتيح الخاصـة بمكاتبهـم، وكان البوابـون وحدهم قادرين على قفـل هذه الأبواب وفتحها. وتذكّرت قول دان: «إذا حدث أي شـيء سيئ، فيمكنك دائماً الاعتماد على بعض الحُمق للتظاهر بأنك بطل، ما يجعل كل شـيء أسـوأ للجميع. من الأفضـل الإغـلاق والتعطيل إذا لم يكن لديك ثقة بالالتـزام بالخطة». مع كل نقرة، تذكرت آنّا كلمات دان. لقد شـعرت الآن أنها قريبة منه، وهي تؤدي هذه الأفعال، بطريقته تماماً، ثم شقت طريقها نحو المدخل الرئيسي.

إذا تمكنت من تحديد موقع دان، فمن المحتمل جداً أن تظلا تعملان وفق الخطـة. ربمـا يمكنها حتى أن تقنع دان بأنها أخذت جهازه لأنه تبيّن لها فقدان مخطوطة، وكان عليها إخلاء قاعتي المطالعة الشمالية والجنوبية بسرعة. لم تكن واثقـة مـن مقدار الوقت المتاح لها قبل أن يحـاول أول عضو في فريق الإدارة الخروج لاستخدام المرحاض، ويلاحظ وجود مشكلة. لن يصاب بالذعر على الفـور – فهـذا عادة ما كان يحدث بين الفينة والأخرى مع الأبواب الإلكترونية هذه – ولكن إذا لم تُحل المشـكلة فـي غضون خمس دقائق المتعارف عليها، فسينتشـر الذعر. صحيح أن من سيلاحظ المشكلة لن يستطيع الخروج، ولكن أحد الرواد الذين يتوجهون إلى المرحاض سيلاحظ ذلك ويُطلق الإنذار.

وصلت إلى مقر البوابين لتجده فارغاً، وشـعرت بقليل من الذعر يسـري في أصابعها وأسفل ظهرها. ماذا لو نبّه السلطات بالفعل؟ هل سيفعل ذلك قبل مواجهتها؟ أسرعت على شريط السجادة الحمراء باتجاه المدخل الرئيسي. كان

هناك بالطبع خيار إغلاق تلك الأبواب الآن، وإيجاد طريقة أخرى لإخلاء صالة القـــراءة؛ ولكـــن إذا كان دان يتجول في المبنى ويبحث عنهما، فســـيكون عبثاً. تذكّـــرت ذلـــك التحديق الخاوي في عينيّ نــــان، وبالطريقة التي بدت بها عندما تدرّبتا على حمل المســـدس. هل ســـتطلق النار على دان، وتقتله هنا والآن؟ لم تكن آنّا متأكدة من أنها مخاطرة كانت مستعدة لتحمّلها.

أخيـــراً، رأتـــه عندما اقتربت من البوابة الأمامية. وقف على بعد بضع أقدام من المدخل، وهو يدخّن سيجارة. توقفت فجأة في مكانها، لعلمها أن أي حركة الآن ستفضحها، ولم يكن لديها أي فكرة عما ستقوله له عندما يلاحظها. حاولت أن تتخيّل نفســـها وهي تخبره عن الســـرقة بذلك الصوت المذعور الذي تدربّت عليه، ومع ذلك شـــعرت بفمها جافاً ورخواً، وكأنها عاجزة عن نطق أي كلمة. لقد قررتا أن المخطوطة المفقودة هي أفضل رهان لهما، لأنه وفقاً للقاعدة 532 من الكتيّب، من الضروري إخراج جميع الزوار من المبنى، وإبقاؤهم في موقف الســـيارات تحت مراقبة البواب، والبحث في مقتنياتهم في الخارج، بينما يقوم باقـــي أفـــراد الأمن بتفتيش المبنى بحثاً عن الأدلة. لم يكن بمقدور دان ســـوى القيـــام بأحـــد هذين الأمرين، لأنه البواب الوحيـــد المناوب، ويمكنها هي ونان القيام بالأمر الآخر، إذا كان مشـــتتاً كحاله دائماً، ربما لن يدرك أنه مُحتجز مثل الباقين خارج المكتب.

لقـــد فُقـــدت مخطوطة؛ هذا ما رددته مرة أخـــرى. كانت متأكدة من أنه لن يســـألها: أي مخطوطة فُقدت؟ تقدمت وهي تشعر بالقلق، وخاطبت نفسها، لقد حان الوقت، وسيتحرك كل شيء، ولن تكون هناك عودة إلى الوراء.

وجدت نفســـها عاجزة عن التحرك. لقد رفض جســـدها أن يُنفذ ما فكّر فيه عقلها. بطريقة ما، شعرت آنّا بالأسف على دان، فهو أخذ استراحته من دون أن يعـــرف مكان جهازه. تذكّرت كيف فتح لهـــا قلبه، تلك المرة عندما همّا بتبادل القبـــل، وكيف شـــعر أنه مقدّر له أن يكرر الأنمـــاط القديمة مراراً وتكراراً. قال:

«عندما يفترض الجميع أنك ستعيد اقتراف ما ارتكبته، فمن السهل أن تقترفه، سواء أردت ذلك أم لم ترد». لم يسبق لها أن شعرت بالانجذاب إليه بقدر ما تشعر الآن. لقد بدا حزنه جلياً من خلال عينيه الزرقاوين الداكنتين، وهذا ما كانت تفكّر فيه الآن، في هذه اللحظة المناسبة تماماً، وهي تنظر إليه عبر الباب. إن توريطه أكثر في هذا سيجره معهما إلى الأسفل، وهذا ما سيقود إلى كتابة نهاية قصته، تلك التي توقّعها منه الجميع، عندها أخبرته، عن اقتناع، أنه هو وحده مؤلف تاريخه، وأنه حر في تغيير القصة في أي وقت.

عندما رفع دان رأسه ورآها، نظر إليها مباشرة، وبدا الارتياح على وجهه، ربما ظن أنها جاءت لتعيد إليه جهازه الخاص. أغلقت البوابة الثقيلة، وبينما كانت تغادر أملت أن يدرك أن ما فعلته هو لأجله، لأنها أرادت أن تبقيه في الجانب الذي يحميه القانون.

ربما كان من المقدّر أن تُغلق هذه البوابة بينهما دائماً.

إيبن

10:15 صباحاً

وجدت أصابع إيبن المغطاة بالقفاز طريقها إلى سـنة كاملة من حياة إيلينا مغطى بغلاف ناعم وكأنه عصا من الحلوى.

كانت إيلينا في الحادية عشرة من عمرها، وكان خط يدها مقيتاً، حيث يترك كل مقطع قليلاً من الحبر في أعقابه، وقد أثار ذلك إعجابه وأزعجه في الوقت نفسه، عندما رأى دليلاً ملموساً على وجودها على الصفحة. كان قد انتهى للتو من قراءة سرد ممل للغاية لمباراة كريكيت في مدرسة فوكس سبرينغ الابتدائية، حيث ذكرت إيلينا بشكل عشوائي أعضاء الفريق (إدي، وليسا، وجويني، وجون). بعد ذلك، كانت هناك ذكرى غامضة للعبة أخرى لعبتها في غرفة المعاطف.

توقف لثانية واحدة. ما كان هذا؟ قبلة؟ وتساءل: هل يمكن اعتبار هذا بداية ثورة إيلينا على الرجال. ثم مرة أخرى، كان الرابط ضعيفاً جداً. قرر أن يأخذ علماً بذلك على أي حال. إذا لم يجد شيئاً آخر، فسيتعين عليه ببساطة تحقيق أقصى استفادة من هذه الحكاية. ربما يخصص لها فصلاً كاملاً: «الصحوة الجنسية في خزائن فوكس سبرينغ».

ألقى المذكرات مرة أخرى على الكدسـة. لم يسـتطع إلا أن يشـعر بعدم الارتيـاح تجاه الخوض في ذكريات فتـاة صغيرة في مثل عمره. كان يعرف أنه في أعماقه لم يكن مهتماً باليوميات القديمة، كان مهتماً فقط بالقراءة عن تأثيره المدمّر، حسب ما يعتقد في حالتها الذهنية، ولكن عندما نظر إلى كاميرا المراقبة،

تســـاءل كيف سيبدو إذا تجاهل هذه الأشياء، التدوينات المبكرة. مثل الشخص الذي يقرأ فقط الأقسام الأكثر رعباً وحزناً من مذكرات البؤس، بطريقة ما، ليُشعر نفســـه بالتحسن تجاه حياته الخاصة. لا، كان عليه أن يفعل ذلك بشكل صحيح إذا أراد أن يُبرّئ نفسه. ثم مرة أخرى عرف أنه لا يمكن أن يحصل على خلاصه إلا إذا عادت من بين الأموات. تمتم مخاطباً التمثال النصفي لإيلينا: «صدقيني، هذا آخر ما تحتاج إليه هذه البلاد».

منذ أن عرف العالم عن الدافع وراء انتحار إيلينا، وبما أنه حُمّل المسؤولية باعتباره القشـــة التي قصمت ظهر البعير (الظهـــر، والرقبة، وعظمة الفخذ)، بدا الأمر وكأن حياتيهما كانتا متشـــابكتين. لقد كان اقتراحاً آخر من فرانكتون (في محاولة للتراجع عن الاقتراح غير المفيد الذي أدى إلى الفشل الذريع في المقام الأول) يمكـــن لإبيـــن أن يقبل هذه الصلة غير المريحـــة بالمؤلفة الميتة، ويقبل إن كانت المســـؤولية ســـتلقى على عاتقه، وبذلك تصبح هذه الصلة نقطة تحول بالنسبة إليه. ولكن إبين كان يأمل أن يعثر على سر في يوميات إيلينا، وأن يستطيع أن يرى أخيراً، حقيقة التأثير الذي تركه فيها، ربما يســـتطيع أن يبرئ نفســـه، من خلال تفسير الطريقة التي رأته فيها بشكل مختلف.

قال وهو ينهض الآن متوجهاً نحو التمثال النصفي: «ربما أستطيع الحصول علـــى الكلمة الأخيرة التـــي دوّنتها ودفعتها إلى الانتحار. ما هو الســـبب الذي حملـــك على الانتحار؟ هل كنت تظنين أنك ســـتُخلدين إن متّ قبل أوانك؟». مرر أصابعه على وجهها، وعلى جســـر أنفها، وحاول مقاومة إغراء فقء عينيها اللامعتين، ولكنه تذكّر كاميرات المراقبة الموجودة في زوايا الغرفة الأربع، والتي تراقب حركاته وسكناته. تخيّل البواب وموظفة الأرشيف وهما جالسان يراقبانه وهو يخاطب كتلة البروز تلك.

إن تذكره الأشخاص الذين يستطيعون رؤية ما يحدث في هذه الغرفة، جعل مثانتـــه تنبـــض. لا يعني ذلك أنه كان يحتـــاج حقاً دخول المرحاض - ليس بعد

- ولكنــه كان يعــرف أنه قد يحتاج التوجّه إليه عما قريب، وإذا لم يســتعد لهذا الاحتمــال فقــد يحدث ما لا تُحمد عقباه. حاول التفكير في الأمر؛ هل عليه أن يضغط على زر الطوارئ الأحمر قبل وقت قصير من شــعوره بالحاجة الملحّة؟ كم سيمضي من الوقت قبل أن يأتي البواب ويفتح له الباب؟ وإذا وصل البواب بســرعة، ربما سيواجه صعوبة في التبوّل؟ وربما سيحتاج إلى زيارة الحمام مرة أخرى، وهذا ما ســيجعل البواب يظن أنه يعاني من مشــكلة. لقد فكّر، وســار، وانتظر، وحاول تشتيت انتباهه من خلال قراءة عدة تدوينات في يوميات إيلينا.

ثــم فكّــر: من الأفضل توخّي الحذر، بدلاً من التبول في بنطالك وأنت في المكتبــة الوطنية. ضغــط على زر الطوارئ، وعاد إلى مقعــده، وهو يعرف أن لديه بعض الوقت. ســتمر عشــر دقائق قبل أن يجد نفســه مضطراً للتوجه إلى الحمام، وفي ذلك الوقت افترض أنه ســيكون هناك بالتأكيد شخص ما للسماح له بالخروج. لكن كان من الصعب التركيز في ظل كل هذه الشــكوك. قرأ عدداً قليلاً من التدوينات الإضافية. ولكن ما شــتت انتباهه هو قراءة ما كتبته بشــأن حصولها على تقييمات منخفضة في مدرسة فوكس سبيرنغ الابتدائية، وما كتبته عــن طمثهــا الأول وما رافقه من إرباك، وموت والدها المفاجئ في أحد فصول الصيف المثالية.

لقد استغرق وقته وهو يقرأ هذه التدوينة. إن وفاة أحد الوالدين هو حدث مهم في حياة أي كاتب، وهو حدث يجب تناوله بتعمق في السيرة الذاتية. تبيّن له أن والدها توفي في حادث بحري، عندما كانوا يمضون عطلة في أحد البلدان الآسيوية. شاهدت إيلينا الحادث وهي تقود دراجتها على الشاطئ، وكانت وقتها في الحادية عشرة من العمر. رأت قاربين يتجهان نحو زورق، كان أحد الملاحين يعرف قواعد البحر، وأنه يجدر به أن ينعطف إلى جهة اليمين، لكن الملاح الآخر لم يعرف ذلك، واصطدم مباشرة بالزورق. انحرف الزورق، ولكن سارية القارب تحطمت وسقطت على رأس والدها، فانقسمت جمجمته إلى قسمين فوراً.

وصفت إيلينا غرابة المشهد، فقد كانت منقلبة رأساً على عقب عندما اقترب أحد القاربين من الآخر، وهي تحاول أن تعيد دراجتها إلى وضعها الطبيعي بإحدى يديها، وكان الدم يندفع إلى رأسها، وهذا ما أشعرها بالدوار؛ وتداخلت ألوان العالم في عينيها. قالت إنها لم تستطع التوقف عن الضحك، عندما عادت لتقف بشكل طبيعي، عندما عادت رؤيتها للعالم طبيعية، وعاد البحر والرمال إلى مكانهما الطبيعي، رأت شخصاً نحيلاً، لم يكن تعرف أنه والدها، ينقذف إلى البحر، ويغيّر لونه إلى الأبد.

هذا ما جعل الشاطئ وكأنه ينحسر عنها، وفقدت توازنها عندما أدركت أنها ما عادت تستطيع الاعتماد على الأب الذي كانت تفتخر به. بدا حينها أن سعادتي وأشعة الشمس والراحة قد نفدت جميعاً كما ينفد الرمل في الساعة الرملية هذا ما كتبته إيلينا الصغيرة. وكأنني انتقلت لأجد نفسي في عالم آخر، بمجرد أن وقفت وجدت الشاطئ بكل ما فيه وحتى أنا أصبحنا داخل زجاجة، تسقط إلى قاع سحيق، ولن تعود مجدّداً إلى السطح.

نظر إبين إلى الأعلى، وفكّر في وفاة والده قبل خمس سنوات، والتصلّب الذي أصابه وهو يجلس في كرسي ويتشمس بينما كان ووالدته يغسلان الأطباق ويجففانها في المطبخ. لم يكن هناك أي شيء شاعري، كانا يتجنبانه، لأنه كان في واحدة من حالاته المزاجية. فقالت له والدته، دعه ينم، وتوجّها إلى غرفة الجلوس لمشاهدة التلفاز، حيث ناما لساعة وربما لوقت أطول، عندما استفاقا كان الظلام يخيّم على المنزل، فعرفا بطريقة ما أن أمراً فظيعاً قد حدث، شيئاً كانا يستطيعان تجنبه.

لم يستطع أن ينسب أي أهمية خاصة للطريقة التي مات بها والده، بعكس ما فعلت إيلينا. لم يكن هناك شيء شاعري في خسارته كما حصل معها؛ لقد اقتلع سندها بكل ما للكلمة من معنى، فأصبحت بلا مرسى. حتى الآن وبعد وفاتها، لا يزال يشعر بالغيرة منها، لأنها استطاعت التعامل مع مأساتها العائلية

بطريقة أفضل منه. حاول أن يصرف عن نفسه هذا الشعور، من خلال تدوين ملاحظة ليرى أثر فقدانها والدها في أعمالها.

لكنه وجد صعوبة في التركيز وهو قلق بشأن مثانته. أغلق اليوميات، وضغط على الزر الأحمر، قبل أن يضغط عليه بشكل محموم مرتين وثلاث مرات. بعد الضغطة الثالثة نظر إلى الكاميرا متوسلاً، ثم نظر إليها يائساً ثم توجّه إلى الباب وطرق عليه بالطريقة التقليدية مرة تلو الأخرى.

ظل واقفاً بالقرب من الباب، ومع كل دقيقة تمر كان الأمل يراوده قبل أن يغادره مجدّداً، ومع ذلك ظل متمسكاً به، لأنه موجود، فلا يزال فتح الباب ممكناً، ثقته بذلك جعلته هادئاً ومحافظاً على تركيزه. إنه يعرف أن عليه البقاء مركزاً، وإلا سيدخل في نوبة هلع.

تذكّر نوبة الهلع الأخيرة التي مرّ بها في الأسبوع الذي ماتت فيه إيلينا. كان يسير في البلدة مطمئناً بعد أن أجرى مكالمة مع والدته، ثم لاحظ-أو هذا ما خُيّل له- أن كل زوجٍ من العيون في الطريق يُحدق إليه. كانت العيون كثيرة، وقد شكل بريقها ولمعانها موجة تتجه نحوه وتدفعه إلى الأسفل. فقد قدرته على التحرك، وأصبح تنفسه صعباً، فانزلق بجانب عمود الإنارة وأراد أن يحتمي به، عندما بدا بالفعل أن كل من في الشارع ينظرون إليه، وبدا له أن النوارس تحاصره وتعترض طريقه.

بعد أن قام المسعفون بفحصه، ظهر البروفيسور نيكولاس من مكان ما مثل شبح، وهو يحاول أن يواسيه بمقولة تعود إلى قرنين من الزمن. «ماذا قال إبين الشاعر؟ ليس لدى الكاتب أي تعليق أو حكم ليدلي به على طرق العالم، أو شيء من هذا القبيل.»

كان إبين قد أغمض عينيه وأراد من نيكولاس أن يرحل بعيداً. «متواضع للغاية، كما ترى، أيها الشاعر إبين العجوز،» تابع نيكولاس، متتبعاً خطوات إبين غير المستقرة وهو يعود نحو الواجهة البحرية. «لقد رأى زيف الأدب حتى عندما

كان يكتبه. كان يعرف أنه لا يستطيع أن يغيّر شيئاً حقاً، مجرد مجموعة عشوائية من الكلمات على الصفحة. حسناً، من ناحية أخرى، لم يعتقد أن إيلينا أودينغ كانت قادرة على الحصول على تلك الرؤية الخاصة. لقد أشارت إلى ما كان يفكر فيه الجميع، ولم يعتقد أن رواياتها كانت بالأهمية التي تعتقد أنها عليها.

توقف إبين. هل قال مثل هذا الشيء؟ لقد بدا الأمر سخيفاً للغاية الآن، وهو الذي لم يكتب كلمة خيالية في حياته شعر بأنه يحق له التعبير عن مثل هذه الآراء، وكأنه ناطق باسم الجماهير. حقيقة أن نيكولاس اتفق معه لم تبعث في نفسه الاطمئنان بأي شكل من الأشكال؛ لأن إبين رأى الآن أنه كان يتحدث نيابة عن مجموعة من الناس لم يكن يحبهم.

«أعني، هل سبق لتلك المرأة أن عملت يوماً واحداً في حياتها؟ كان يجدر بها أن تحاول العمل في وظيفة حقيقية مثل الشاعر إبين». ليس هناك شيء اسمه عمل بالكتابة بدوام كامل، من يستطيع أن يخصص كامل يومه للكتابة؟ هذا محض جنون.. لقد عمل إبينيز في عدة وظائف: كان مدرّساً، ولكن عمله الأهم تمثل في تجليد الكتب. لقد جمع أعظم كتب أمتنا العظيمة. استخدم يده لصالح الآخرين، وسيكون من الجيد أن تتذكر ذلك يا بني، من واجبنا جميعاً أن نرتقي إلى ما ترمز إليه أسماؤنا من دلالات.

شعر إبين بشيء من الراحة، عندما فكّر أن اسمه له أهمية تاريخية، وإن لم يحقق شخصياً أي شيء يستحق أن يذكره التاريخ. لقد سُمي على اسم أحد أسلافه الذين ماتوا منذ وقت طويل، وهو الذي سمعت والدته جدتها وهي تتحدث عنه؛ قالت وهي تنظر إليه بأمل وهو طفل يبلغ من العمر خمس سنوات، إنه الشخص الوحيد في عائلتنا الذي ترك بصمة في هذا العالم حتى الآن. ولا يعني ذلك أنه كان هناك دليل أيضاً على وجود إبين الشاعر؛ ناهيك عما يُسمّى بالشعر الذي ترك فيه بصمته. مع ذلك، تحدث نيكولاس عنه وكأن الجميع يجب أن يعرفوا من هو. بحث إبين أكثر من مرة عن الاسم في محركات

البحث بالمكتبة، ولم يجد شيئاً. جرّب العديد من الاختلافات في الاسم - إبين العظيم، إبين الشاعر، إبينزر توماس، توماس، إبينزر: لا شيء. طلب الاطلاع على المجموعات الخاصة مؤخراً، فقط ليتم إخباره أنها ليست في حالة تسمح بالتعامل معها بخشونة، ولكن حتى بمسح النسخ الرقمية لم يتمكن من العثور على أي أثر له.

إذا كان موجوداً في أي وقت مضى (وهو الأمر الذي يبدو أن جميع أمناء المحفوظات المتخصصين يشكّكون فيه كثيراً) فربما يكون عمله قد فُقد في الحريق الأخير، كما أخبروه. غادر إبين يائساً، معتقداً أن جدته ربما بالغت إلى حد كبير في أهمية قريبهم المفقود منذ زمن طويل، وهو الرجل الذي لم يكن موجوداً إلا في أدمغة الثمانينيين مثل البروفيسور نيكولاس، يسكنها مثل ورم.

في هذه الأثناء، ارتفع مستوى الذعر لدى إبين مع ارتفاع مستوى البول في مثانته. لقد تصور الخلاص الذي ستوفره له مراحيض المكتبة، وأقسم أنه لن يعتبرها أمراً مسلّماً به مرة أخرى - تلك المباول الرائعة التي كانت دائماً موجودة لتفرغ فيها ما يشعرك بالتعب، وتلك الأشياء المفيدة الأخرى من حولها والتي يمكن للمرء أن يتمسك بها عندما يشعر بنوبة الهلع – المغاسل، والقضبان، وحتى مجففات الأيدي – كلها شهادة رائعة على الواقع الملموس للعالم، وفائدته. بعد أن شعر بأن تنفسه أصبح أكثر صعوبة الآن، شعر أيضاً وكأنه بحاجة إلى طمأنينة مرآة الحمام ليقنع نفسه أنه رغم كل الصعاب، وعلى عكس سلفه الشاعر، لا يزال موجوداً.

قال بصوتٍ عالٍ: «أنا شخص حقيقي». ثم، قال وهو يئن ويشعر بشيء من الأمل: «أستطيع التحمل، أستطيع التحمل، أستطيع التحمل».

إن بروستاته تمر الآن بوقت عصيب، إن المأساة المؤسفة التي حلت بوالد إيلينا، أشعرته بأن الماء كتلة لا يمكن السيطرة عليها، بحث في غرفة الأرشيف بسرعة عن حمام بديل، حاول أن يُفكر بجسده من الناحية التشريحية باعتباره

وعاءً يحتاج إلى تفريغ، وأقنع نفسه أن كل وعاء يحتاج أن يُفرغ في وعاء آخر. ألم تكن الحياة بحدّ ذاتها تقوم على نقل الأشـياء من مكان إلى آخر؟ ألم تكن كل هذه الكتب في أماكن أخرى ذات مرة؟ كل ما عليه هو نقل بوله من جسده إلى شيء آخر يستطيع أن يمتصه أو يخفيه. إنه موجود في غرفة أرشيف عديمة النوافذ، وهي تقع تحت مسـتوى الأرض، لا يوجد شـيء ليفرغ فيه مثانته، لا صندوق ولا سلة، كما أن موزع المعقم ممتلئ، حتى وإن أفرغه فالوعاء شفاف، سيشعر بالعار الشديد عندما يرى الناس ما فعله.

بدا كل شيء وقعت عليه عيناه مسطحاً وأفقياً بشكل لا يُصدق. لم يستطيع أن يبـول علـى الرف، أضف إلـى ذلك، إذا التقطت كاميـرات المراقبة صورة لأعضائه الحساسة، يُرجّح أن يُمنع من دخول مبنى المكتبة الوطنية طيلة حياته.

وبما أن إبين لم يكن أمامه خيار آخر، جلس سـاكناً إلى المكتب وتظاهر بأنه يقرأ عن جنازة والد إيلينا، بينما كان البول السـاخن يتدفق منه بشـكلٍ مخزٍ إلى سرواله، وبنطاله المخملي داكن اللون.

دان

10:30 صباحاً

لقد كان محتجزاً خارج المبنى، ومخدراً من دون أن يشعر بفقدان التوازن. بدت له الزخارف الخشبية وكأنها تشكل ملايين الوجوه الوحشية التي تنظر إليه وتستهزئ به.

لـــم يعد يســتطيع التفكيــر بوضوح، لا يعني أنـــه كان يحتاج إلى وضوح التفكير، ففي مثل الوقت من اليوم، كان متعوداً على المشي بشكل مستقيم، مثل الزومبــي، نحو النقاط الخاصـــة التي يفترض به تفقدها، وتمرير جهازه الخاص أمام المستشعرات، وأداء عمله بشكل روتيني، في الوقت الذي يهيم عقله بأمور أخرى. لكنه اليوم وبما أنه يقف أمام باب مقفل، ولا يحمل جهازه الخاص، كان بحاجـــة إلى التفكير بوضوح وتركيـــز. لقد تذكر مراراً صورتها، وهي تقف أمام البوابة وقد اعتلت وجهها نظرة غريبة، وهي تغلقها.

هل سبق له أن سمح لها بالقيام بهذا؟ هل نسي أنهما ناقشا الأمر؟ بدأ يشعر بشيء من الانزعاج منها الآن. ظن أنها بمجرد أن تعرف أن الكاميرات لا تعمل، ستكون مستعدة للقيام بالأمر في أي مكان وفي كل مكان، ولكن لسبب ما، ها هـــي تجعله ينتظر أكثر من المعتـــاد، ربما تلعب معه ألعاباً لا علم له بها، وربما تجرّب عليه تحدياً غريباً، وربما تريد أن تعرف إن كان سيبحث عنها، ويتوسلها أن تعيد له الجهاز. أيقظته هذه الفكرة على الفور، مع أن الثقل الذي يشعر به في جســـده بســـبب المخدر، جعله يشعر بشيء من القلق، من أنه سيستطيع ممارسة

الجنس معها عندما يحين الوقت.

وبّخ نفسـه لأنه دخّن سيجارته الصباحية في وقت أبكر من المعتاد، ولأنه لم يُفكّر كثيراً بجهازه الخاص المسـروق، ظناً منه أنها سـتأتي وتجده عاجلاً أم آجلاً. أشـعره التدخين في هذه الزاوية المكشوفة من المكتبة بشيء من الإثارة، خصوصاً عندما تفقّد التسـجيلات المزيفة التي تُعرض على التطبيق وتُظهر دان قبل عدة أسابيع وهو يُوبّخ بعض طلاب الدراسات العليا لأنهم يقومون بما يقوم هو به الآن. استمع لصوته الذي يبث عبر التطبيق بصفته بثاً حياً، وشعر بالإعجاب بنفسه وهو ينفث الدخان الأزرق حوله.

ربما يكون كبير البوابين والبوابان اللذان يرافقانه، ينصبون شاشة في غرفة الاجتماعات في المدينة، تخيّله يشير إلى نسخته التي أعدها عن نفسه، ويوضح بـكل صلـف كيف تتيح كاميرا البواب الخاصة به ترك بواب واحد بمفرده طول اليوم، ويخبرهم أنه لا يستطيع رؤيته عبر كاميرات المراقبة، بل يمكنه رؤية كل تحركاتها وسماع ما يقوله من خلال كاميرا حزام البواب. سوف ينقر كبير البوابين على كل الكاميرات، وسيعرض اليوم المثالي على الشاشة في المؤسسة الوطنية التي تموله. إنها خدعة من الماضي، تتنكر في شكل مثالي للمستقبل.

كانت سـيجارته المخـدرة فكرة جيدة من ابتداع دماغ مسـجون متعطش للتدخيـن، لقـد خلط قليلاً من القنب مع التوابل، وهو مزيج لم يجربه من قبل. شعر بذلك الحريق المألوف في مؤخرة حلقه، قبل أن ينطلق الدخان. حاول ألا يفكّر في ما يحدث في جسـده عندما يستنشق، وما هي الاحتجاجات التي تأتي بالتأكيد من داخل جسـد سليم. خرج العديد من السجناء الآخرين ولم يلمسوا أي عقار منذ ذلك الحين. لكن الشيء الوحيد الذي أدخل دان السجن هو معرفته أنه سـيكون قادراً على التدخين مرة أخرى. من الذي يتمتع بكامل قواه العقلية سيختار العيش من دون هذه النعمة؟

بمجرد أن أدرك أنها لن تعود لفتح البوابة، ازدادت شكوكه، وجعلت دماغه

المخدر ينشط إلى أقصى حدّ. بدا أن حجم المكتبة نفسها يتضاعف أمامه، ونظر إلى نفسه، متسائلاً إن كان هو من تقلّص حجمه إلى النصف وليس المكتبة هي التي تضاعف حجمها. هل وضعت شـيئاً في قهوته هذا الصباح لتجعله أصغر حجماً؟ هل سـيصبح في النهاية صغيراً جداً بحيث تدوسـه وتسـحقه في ثنايا السجادة الحمراء مثل الحشرة؟

خيّم الحزن على عينيه وحاول إبعاد الفكرة. إن عدم امتلاكه الجهاز يعني أنه لا يعرف ماذا يفعل بيديه، اللتين بدتا له كائناً في غاية الغرابة، تانك المفلطحتين المكونة كل واحدة منهما من خمس أصابع في نهاية كل ذراع. ما الغاية منهما؟ وانتهى به الأمر بتحريكهما حول جسـده للتأكد من أنه لا يزال يرتدي ملابسـه، لأن ريحاً جاءت من مكان ما وأقنعه بردها للحظة بأنه أهمل تماماً ارتداء ملابسه هذا الصباح.

جلس على درجات المكتبة، وأولى ظهره لها نحو البحر، الذي بدا له مكاناً أكثر تسـامحاً من المبنى الذي يقع خلفه ولا يمكن اختراقه. أطلت الشمس من خلف السحب، فجعلت الأمواج فضية، وحوّلتها، على ما يبدو، إلى صفائح من الألومنيوم. خاطب نفسه: أستطيع أن أمشي بعيداً على تلك الألواح، وأترك كل هـذا خلفي. أغمض عينيه، وأصبح مرتاحاً تماماً لفكرة أن هناك طريقاً للخروج مـن الفوضـى التي أحدثها. كان عليه بكل بسـاطة أن يبتعد من هنا، وينزل إلى الشـاطئ، ويسـير بعيداً على تلك الأغطية الصلبة إلى أي مكان على الجانب الآخر. لبرهة، بدا له الأمر وكأنه ممكن. تخيّل أنها تنتظره على الجانب الآخر، وهـي تتمدد على صخرة مثل حوريـة، وتُهنئه على حل اللغز، وعلى إدراكه أن علاقتهما لا تنتمي إلى هناك، إلى المبنى المحدود، بل تنتمي إلى هنا حيث الهواء الطلق، حيث يمكنهما أخيراً أن يجتمعا معاً بشكل صحيح.

عندما فتح عينيه مرة أخرى، اختفى هذا الشعور. وبهذه الطريقة، عاد يشعر بأنه ذلك الشـيء المكسـور الذي عرفه، فجأة لم يعد اتسـاع البحر مريحاً، بل

مخيف. بدا أنه على استعداد لالتهامه بالكامل. ارتفعت صرخة في حلقه، كتلة بحجم كرة الغولف، وحاول يائساً إبعاد الأفكار السيئة التي يعاني منها؛ تراءت له وجوه وسمع أصواتاً من وقت آخر في حياته، تلك التي أدّت إلى سجنه. أصوات صراخ الاتهامات عليه خارج المحكمة.

قال بصوت عالٍ: «لا، لا، لا، فكّر في شيء مضحك.»

كانت المشكلة أن وجوده بمفرده على هذه الدرجات خارج المبنى الشاهق الذي يكرهه لم يكن أمراً مضحكاً. إن حقيقة تعطيله الكاميرات لصالح امرأة مجهولة لم يعرفها إلا منذ شهر، لأنه كان يعتقد أنه آمن ليفعل ما يريد، لم تكن مضحكة. إن فكرة أن يكون بواباً حقيقياً وفي الوقت نفسه لا يكون بواباً حقيقياً لم تكن مضحكة، مشى على طول الممرات في الماضي الذي أصبح مستقبلاً، لم تكن مضحكة هي الأخرى. امتص كل المرح من داخله. أدرك كم كان شخصاً كاذباً، وكم كان سيئاً ولا يزال. كان يتحرك من مكان إلى آخر بزي المكتبة، وكأن ذلك يعني شيئاً، وكأنه يستطيع تصحيح أخطاء الماضي. عرض نسخة دان التي أراده العالم أن يكون؛ وهو يعرف داخلياً أنه لن يكون ذلك الشخص أبداً، حتى لو أراد ذلك. لقد تأخر الأمر على كل هذا. شُكِّل دان الحقيقي منذ وقت طويل، في اللحظة التي نسي فيها أن هناك أشخاصاً حقيقيين يمكن أن يتضرروا، أو حتى يُمحوا تماماً من الحياة، بسبب قراراته الطائشة.

فجأة، لم يكن هناك ما هو أكثر إلحاحاً من فتح البوابة مرة أخرى إلى حياته، ووظيفته، وروتينه، على الرغم من مدى كرهه لها. لأنه بعد أشهر من عدم حراسة أي شيء، واتباع قائمة مرجعية، حدث الآن شيء ما فجأة. شيء كان عليه أن يضع خطة له. كانت الأبواب تُغلق في وجهه بطريقة لم يسبق لها مثيل؛ وحتى لو كان هناك اتجاه محدد لدان على الكاميرا، فإن رواية دان في الوقت الحاضر لم تكن قد حدثت. لم تُكتب بعد. في تلك اللحظة المفعمة بالأمل، والقوة، بدا أن هذا يمنحه الأمل في أنه لا يزال يستطيع أن يكون شخصاً آخر؛ ربما كان ينتظر هذه

اللحظة طوال حياته، حيث تعمل نسـخـتان منه بشكل متزامن، حتى يكون أمامه فرصة ليختار نسـخـة منهما؛ لم يكن من الضروري أن يكون هو الشـخـص الذي تأثر بعاطفة المرأة العابرة لدرجة أنه تخلّى عن كل إحساس بالواجب واللياقة.

للمرة الأولى منذ أن بدأ عمله في المكتبة، أدرك أنه ربما أراد أن يكون دان الذي لم يسلك طريقه المعتاد بعد، الشخص الذي يريد ضمان سلامة كل شيء وكل شخص في الداخل.

آنّا ونان

مكتبة
t.me/soramnqraa

10:50صباحاً

«هذا إعلان أمني: يرجى من جميع الموظفين التوجّه إلى صالة القراءة الشمالية. سيجرى الآن تدريب أمني. يُرجى من جميع الموظفين مغادرة مكاتبهم على الفور؟».

نظرت نان إلى الأعلى، وتفاجأت بسماع صوت أختها عبر نظام الإعلان. لقد توقّعت أن تسمع دان يصدر إعلاناً، متعثراً في كلماته، محاولاً بذل قصارى جهده ليبدو رصيناً وبارداً للغاية. على جميع الموظفين والزوار مغادرة المبنى على الفور والتجمع في موقف سيارات المكتبة، كان هذا هو الإعلان الذي توقعت سماعه، حيث تخيّلته يضع الكتيّب أمامه مباشرة ليرى الصياغة التي يحتاج إلى استخدامها، في حالة فقدان مخطوطة ما.

تنهدت سمر وليلي وبيل في انسجام تام؛ جوقة من الصمت. لم يأخذن الأمر على محمل الجد عندما لم يسمعن صوت البواب، وبالكاد استوعبن أن إعلاناً قد صدر. كانت سمر، مسؤولة المعارض، تتحدث عبر الهاتف مع شخص من البلد المجاور حول إعارة مخطوطة من العصور الوسطى كانت في الواقع ملكهم في المقام الأول؛ وكانت ليلي، مسؤولة التصوير الفوتوغرافي، منحنيةً أمام صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود أمضت الصباح بطوله بمسحها ضوئياً؛ أما بيل مسؤولة المساواة والتنوع، فكانت تتصفح طلبات التوظيف بلامبالاة، محاولة تصفية جميع المرشحين الذكور، بناءً على طلب رئيسة المكتبة.

قالت نان وهي تحاول السيطرة على الرعشة في صوتها: «علينا أن نغادر».

قالت سمر وهي تحجب بيدها سماعة الهاتف وهي تشير إلى الهاتف بحدة: «يا إلهي، هذا الرجل أحمق! يعتقد أنني يجب أن أكون ممتنة لأنه يستعير مخطوطتنا».

عادت سمر إلى المكالمة، وتوجهت نحو زاوية الغرفة بينما واصلت مفاوضاتها. التفتت نان إلى المرأتين الأخريين.

«لقد سمعتما ما قالته آنّا، علينا أن نذهب الآن. بدا الأمر عاجلاً».

أجابت بيل وهي تُحدق إلى الشاشة: «إنهم يطلبون من الموظفين القيام بذلك فقط لتدريبهم. سيصدر هذا الإنذار عن رئيسة المكتبة أو أحد البوابين لو كان الأمر مهماً».

شعرت نان بانهيار جديد في تفكيرها، هل سبق لهما أن اتفقتا على هذا؟ ربما حصل ونسيت. نظرت إلى هاتف آنّا الذي تركته على مكتبها. ربما (هل اتفقتا على شيء آخر سوى: لا هواتف، لا صور شخصية، لا أثر نصي غير ضروري يمكن استخدامه لتوريطهما أكثر)، لم يكن لديها أي وسيلة لمعرفة أو تأكيد أن هذه هي الخطة التي يجب عليهما المضي قُدُماً فيها. من الآن فصاعداً، إذا لم يكن دان هو من يصدر هذا الإعلان، فهذا يعني أن خطأً فادحاً قد حصل. إما ذلك وإما أنه شعر بالندم، مما ورط نفسه فيه.

أضافت سمر، وهي تعود إلى مكتبها غاضبة: «رئيسة المكتبة ليست موجودة اليوم، إنها في العاصمة مع فريق الأمن».

قالت بيل وهي تقرأ شيئاً على شاشتها: «صحيح». وفركت بطنها كرد فعل على وخزة مؤلمة. «ما هي التدريبات الأمنية التي ستكون من دون فريق الأمن؟».

أضافت نان: «ربما هو جزء من العرض الأمني، ربما يوضحون لرئيس الدولة مدى فعالية كل تدريب، وكم هي حديثة تدريباتنا الأمنية».

«حسناً، إنها حديثة للغاية، وهذا كل ما نفعله على الإطلاق!» أضافت ليلي

دون أن ترفـع عينيهـا عن الصورة الفوتوغرافية التـي كانت تتفحصها الآن من خلال عدسة مكبرة كبيرة.

«انظري، لا أسمع أي شخص آخر يتحرك، على أية حال».

حدقت نان أمامها، ولاحظت مثلهن الصمت في الممرات، والنقص الواضح في الحركة. وتساءلت عما حدث للباقين، أولئك الذين يعترضون طريق آنّا.

قالت بيل: «حسـناً، أنا لن أتحرك من مكاني، لا يمكن للمرأة الحامل أن تتحرك في ظل خروج الجميع».

قالت نان وبدا في صوتها اسـتحياء: «يمكننا أن نسـتقل المصعد». نظرت إليهـا النسـاء الثلاث. فهي لا تتحدث عـادة ولا تُعبّر عن رأيها، وها هي تقترح خطة تكون أشبه بالأمر.

بعد أن استوعبت صدمة ما تفوهت به نان، قالت سمر: «في حالات الطوارئ يحظر استخدام المصاعد، ألم تسمعي ما سبق لهم أن أخبرونا به؟».

ردّت نان: «لكننا لسنا في حالة طوارئ، نحن في تدريب، وهناك فرق كبير بين الحالتين».

تحدتها بيل: «في لحظة تقولين إن الأمر مُلحّ، وفي لحظة أخرى تقولين إنه ليس كذلك، اثبتي على رأي».

قالـت ليلي: «فـي الواقع إنهم لا يريدون أن تكون كل مؤسسـة آمنة، بل يريدون أن يضعوا علامة في المربع والقول إن كل مؤسسـة أصبحت الآن آمنة من الناحية الفنية».

تابعـت نان قائلة: «لقد حدثت هجمات كثيرة مؤخراً». وشـعرت بالوقت ينزلـق مـن بين يديها، وبأن خطتهما تبتعد أكثـر فأكثر. «نحن لا نعرف متى قد نتعرض للهجوم»..

قالت سـمر: «نحن لسـنا من النوع الذي يهتم به الإرهابيون، ربما تكون تجربـة لكاميـرات البوابين. ربما يراقب حراس الأمن الأمر برمته من العاصمة،

ليروا كيف سنتصرف، فقط لمعرفة ما إذا كنا نستمع إلى ما يقولونه لنا. هذا كل ما في الأمر».

قالت بيل: «لا يمكنك الافتراض أن الإرهابيين لن يهاجمونا. فالإرهاب لم يعد انتقائياً بعد الآن. لقد أرهبوا البلد المجاور بالفعل؛ ربما يشعرون بالملل من ذلك...».

أجابت ليلي: «ولكن هذا هو المكان الذي توجد فيه القوة، إنه من غير المجدي استهدافنا، عندما لا تكون لدينا أي قوة على أي حال، معظم الناس في البلد المجاور لم يسمعوا حتى عن هذا المكان، ناهيك عن الاهتمام بتعرضه للهجوم...».

قالت ليلي: «نعم، لكن الإرهابيين قد يحصلون على شخص عشوائي لارتكاب الجريمة هنا، بحيث تنزعج بلادنا من الدولة المجاورة لأننا نعتقد أنهم هم المذنبون، فننقلب عليهم أيضاً، وربما حتى ننضم إلى القتال ضدهم».
تذكرت نان كم كانت بيل مهووسة دائماً بهذه الهجمات التعسفية، حيث كانت تخشى الذهاب إلى أي مكان أبعد من دائرة نصف قطرها ميلين لأنها مقتنعة بأنه حتى عاصمتهم كانت مكاناً خطيراً. لقد تغير كل شيء منذ أن حملت، بالطبع. أصبحت الآن جريئة بشكل غريب، وكأنها تعتقد أن الطفل يعفيها من التهديدات. إما ذلك وإما أنها لا تعرف أن جنينها قد يكون معرضاً لأي شيء.

«مهلاً، هل تعتقدين أننا بحاجة إلى بعض الإرهابيين هنا لكي ننزعج من الدولة المجاورة؟». هذا ما قالته سمر وهي تسرع الخطى والهاتف يرن في يدها «حاولي فقط التحدث إلى أحد أعضاء فريق إدارتهم، وستنزعجين أكثر من ذلك. هناك مسألة صغيرة تتمثل في خمسمائة عام من الاستعمار، وسرقة جميع مواردنا... لكن أوه لا، كنا جميعاً لا نزال نحاول التقبل حتى جاء الإرهابيون. أوه مرحبا، بيل... كيف حالك؟ آسف بشأن ذلك... إذاً، هل هناك أي حركة في معالجة هذا القرض؟».

كانت نان تتحرك الآن حول مكاتبهن مثل النسر، في الوقت الذي واصلن فيه محادثتهن، لم يبدُ عليهن أنهن لاحظن ذلك، تشير الساعات على شاشاتهن إلى الحادية عشــرة إلا خمس دقائق. لقد كان عقربان مستلقيان على الرقم أحد عشــر، يحجب أحدهما الآخر: ســيكونان توأماً متطابقاً لمدة دقيقة واحدة، مع أنهما مختلفا الطول. بدت لها جميع الساعات الآن بمثابة تذكير مدمّر بأن الزمن لا يتوقف، وكيف أن عقاربها ودقاتها وأجراســها، التي كانت تتظاهر بأنها تشير إلــى أنها تتقدم إلى الأمام، كانت مجرد نهايات غريبة. لقد مضت دقيقة أخرى، وساعة أخرى، ولن تعود مجدّداً مهما يحصل.

في بعض الأحيان، كانت نان تسأل نفسها إن كانت مستعدة لتوديع الأشهر القليلة الماضية، وهي التي اتحدت فيها مع شــقيقتها من أجل قضية مشــتركة، واتفقتا عليها للمرة الأولى في حياتهما، فلم يكن من السهل عليها الدخول إلى مرحلة زمنية جديدة بما فيها من أمور لم تنجز، ولم يُتفق عليها.

ســألت ســمر: «إذا كنا ســنقتل على يد الإرهابيين، فهل تعتقدين حقاً أن التدريبات الأمنية ســتحدث فرقاً كبيراً؟ فنحن نعرف أننا سنموت عندها، وليس لدينــا كثيــر من الأمور لنقوم بها حيال ذلــك. من يقول إننا إذا اتبعنا تعليماتهم، ونفّذنا كل ما طلبوه منا في حالة الطوارئ سننجو، من سيقول أصلاً إننا سنكون قادرين على تنفيذها، ما أريد قوله إذا واجهت أسداً في البرية...».

قالت ليلي: «أوه، لا تتحدثي عن الأسد».

ســبق لنان أن ســمعت سمر تدلي بهذه الحجة مرات لا تُعد ولا تُحصى. نظرت إلى الساعة. لقد مضى الزمن، وخلّفهم وراءه.

سألت بيل: «أسد؟ أي أسد؟».

قالت ســمر: «إذا كنتِ في البرية، وصادفت أســداً فجأة، فمن الطبيعي أن الطريقة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة هي الوقوف في مكانك. لتظهري للأسد أنكِ لا تخافين منه، عليك أن تستمري في مواجهته، حتى لو جاء إليك. يقولون

إنه يجب عليك أن تصفقي بيديك، وأن تنادي، وأن تلوّحي بذراعيك، وأن تفعلي أشـياء تجعلك تبدين أكبر، حتى يُفكر الأسـد مرتين قبل أن يهاجمك. ولكن ما أقوله، كيف يسـتطيع أي شـخص أن يكون هادئاً بما فيه الكفاية للقيام بذلك؟ من سيلوّح للأسد فعلاً؟ سوف تتبولين في سروالك وتهربين أليس كذلك؟».

أجابـت ليلـي: «صحيح، دعونا نتقبل حقيقة أن تسـعين بالمئة من الناس، سيعتمدون على ما تمليه عليهم الغريزة وسيطلقون سيقانهم للريح، ولكنك لن تسـتطيعي القيام بذلك، وأنت منتفخـة البطن على هذا النحو». ضحكت ليلي، وهي تلمس برفق بطن بيل.

شـعرت نان بالعرق يتجمع أسـفل بلوزتها، لقد كان الوقت بمثابة أسـد يقترب، وهو مستعد للانقضاض، كان عليها القيام بشيء ما لتبدو أكبر، لتصرف انتباههن بالتلويح، ربما وصلت آنّا الآن إلى قاعة المطالعة الشـمالية، التي نفد فيها صبر الرواد، وهم يتساءلون أين هم بقية الموظفين. تمنّت أن تستطيع أختها أن تتصرف بعفوية، وأن تؤجل الأمر بثقة.

قالت نان من حيث تقف: «انظرن، لقد اسـتدعينا، لذا أعتقد أننا يجب أن نذهب». كانت سـتمنحهن فرصة أخيرة قبل أن تضطر إلى القيام بشـيء جذري «هل يمكننا أن نذهب، من فضلكن؟».

قالـت بيل بتحدٍّ وهي تضع يدها علـى بطنها المنتفخ: «لن أذهب إلى أي مكان.»

وقالت سـمر: «وأنا يجب عليّ أن أجـد حلاً بخصوص مخطوطة القرون الوسطى».

قالت بيل: «لن أفوّت استراحة تناول القهوة من أجل ذلك. هناك كرواسون باللوز اليوم».

هذا كل ما قالته النسـاء. أولتها النسـاء الثلاث ظهورهن، وتوجهن لأخذ استراحة القهوة.

لم يعد أمام نان من خيار. لقد بذلت قصارى جهدها. وصلت إلى حقيبتها الموضوعة أسفل مكتبها. فتحتها وحدّقت إلى داخلها الأسود، ووصلت إلى الشيء الذي شعرت بأنه يلامس كاحلها طوال الصباح. رفعته وهي تشعر بشيء من الرعشة، ثم وقفت. ورفعته عالياً. ثم في غضون ذلك، استدارت سمر، لتلقي بظفر قضمته في سلة المهملات، فرأت ما الذي تحمله نان.

ربتت سمر كتف ليلي، التي بدورها وضعت يدها على ظهر بيل. أخيراً، أدركت بيل أنها لن تحظى باستراحة القهوة عمّا قريب.

لقد تجرأ الأسد ودخل مكتبهن.

* * *

تأخرت نان. وافترضت آنّا أنها ستكون موجودة قبل اثنتي عشرة دقيقة. لقد كانت تشير إلى نقطة ما.

لم يكن أمامها خيار سوى المضي قُدُماً عن إعلان التدريب الأمني، والتخلي عن سيناريو المخطوطة المفقودة. لقد قررت أن تدريباً بسيطاً هو أفضل طريقة لإخراجهم، بشكل نظيف، وفعّال، وسريع. بمجرد أن عطلت الصوت في غرف فريق الإدارة حتى لا يسمعوا الإعلان، لم يعد هناك وقت للعودة إلى المكتب، والشرح لنان أنها قررت ترك دان خارج الأمر. وبما أن نان لم تظهر، فلم يكن أمامها خيار سوى مخاطبة الجماعة الصغيرة في صالة المطالعة الشمالية وهي تنتظر أختها. بدت خطوتها هذه منطقية جداً؛ لم تردهم أن يشعروا بالملل، أو القلق، أو – الأسوأ من ذلك – أن يغادروا الصالة ليجدوا جميع أبواب صالة المطالعة مغلقة. ما دام الجميع يعتبرون أنفسهم أحراراً، فسيكون كل شيء على ما يرام، ولن يشعر أحد بالذعر. هذا هو بالضبط ما أرادته: حشد هادئ ومستريح، ولا يعرف أنه محتجز. وعندما رأت بعضهم يحاولون الوصول إلى هواتفهم بعد أن تسلّل الملل إليهم، أمسكت بالجهاز الخاص، وعطلت شبكة الهواتف الداخلية وإشارة الهواتف المحمولة، وهذا ضمن قطعها في شتى أنحاء المبنى.

وعندها رأتهم يحاولون تنشيط شاشاتهم من خلال إيقافها وإعادة تشغيلها لإعادة بث الحياة فيها، ولكن جهودهم كانت عديمة الفائدة.

صرخت، وقد أشعرتها السلطة التي منحتها لنفسها بشيء من الثقة: «حسناً، هل يمكنكم أن تهدأوا من فضلكم؟».

ظل بعضهم يتحدثون، وتشاور بعضهم الآخر بخصوص فقدان الإشارة، وكانوا بمجملهم من الرواد الأصغر سناً. وقد تحدث مؤرخان ذكران وهما يتكئان على التمثال الرخام لمؤسس المكتبة- السير جون- وهما يستمدان الشجاعة من تمثاله الرخامي الذي ينم عن رجولة فائضة. عندما كان السير جون حياً، كان مؤرخاً محترماً، وجامعاً للكتب بالإضافة إلى كونه طبيباً نسائياً، وصيدلانياً يعمل لصالح الملكة. أما بعد وفاته فلم يعد سوى تمثال رخامي يمكن الاتكاء عليه. لقد اتهمه أحد أحفاده بأنه جاك السفاح، ومنذ ذلك الحين نادى بعض الأشخاص بإزالة تمثاله من المكتبة، مع أنه من دون تبرعه بحوالى خمسة وعشرين ألف دولار -والتي نقلت وقتها بواسطة عربة يجرها حصان- ما كان بناء هذا المبنى ممكناً.

هذه المرة صرخت بصوت أعلى، وهي تقف على كرسي حتى تصبح في مستوى السير جون: «هل لكم أن تمنحوني انتباهكم من فضلكم». توقف الجميع عن الحديث وحدّقوا إليها. كان كل ما يتطلبه الأمر هو القليل من الارتفاع.

من الواضح أن بعضهم - الطالبة ذات الشعر الأشقر وصديقها ذو النظارة على وجه الخصوص - اعتبروا هذا بمثابة نوع من الترفيه. لم يبدُ أنهما مجتهدان في العمل، فقد كانا يحدقان بذهول إلى الشاشتين الموجودتين أمامهما، ويلعبان بأقدامهما تحت الطاولة. أما أولئك الذين جاؤوا إلى هنا من أجل العمل؛ مثل المحاضر الذي يحاول إنهاء كتاب خلال إجازته، وهو يعرف أن الفصل الدراسي أوشك أن يبدأ، فلم يكونوا سعداء بهذا الاضطراب. من يدري كم كلفهم تطفلها؟ ربما كانوا على وشك اكتشاف عظيم يمكن أن يكسبهم، بمرور الوقت، إجازة

أخرى، ووقتاً آخر في المكتبة.

قالـت: «الآن، هذا مجرد تدريب، لكني أريـد منكم أن تتخيلوا أن المبنى بأكمله مغلق، كما حدث أثناء الوباء الكبير»، وهي تأمل أن تظهر نان في أي لحظة، مع زميلاتها الثلاث، بحيث تفتح الباب بشكل سري، وبحيث لا يعرف أحد أنه كان مقفلاً طوال الوقت، ويخرج الجميع إلى مخرج الطوارئ في الخلف، الذي يقع في الجهة الأخرى من المبنى، حيث سبق لها أن تركت دان. ربما سيجذب صوتهم انتباهه، ولكن عندما يحين الوقت الذي يصل فيه تكونان قد أغلقتا الباب مجدداً في وجه الباقين، وتواصلان عملهما، تاركتين لدان التعامل مع الفوضى في الخارج. تستطيع تخيّل معظم الرواد غاضبين ومستائين لأن نهارهم سيذهب سدى، ولكن دان سيعرف كيف يتعامل معهم، فهو لن يخبرهم بحصول خطب ما، إنها واثقة من أنه سيجد قصة مقنعة يخبرهم بها. شعرت بغصة، عندما تذكّرت بأنـه بدّل الصور التي تعرض على التطبيق بمجرد أن قدّمت له وعوداً جنسـية، وتمنـت أن يجـد لها عـذراً. من خلال اقتناعه أنها لم ترد لـه أن يمضي قدماً، وارتكاب جريمة أخرى، كانت تظهر له ما تشـعر به. في أي عالم آخر، سـتكون على أتم استعداد لفعل ما يريد أن يفعله بها.

قالت الفتاة الشقراء: «لقد انقطعت إشارة الهاتف، هل سيكون غياب الإشارة مفيداً عندما نكون في خطر؟».

قالت آنّا عندما بدأت الهمهمات تسـري في الصالة: «نحن لسـنا في خطر، أنا لا أريد منكم سوى أن تتظاهروا أنكم محاصرون، حتى نتمكن من استطلاع أفضل الطرق للـ...».

ضحك أحدهم في مكان ما.

«مكتبة محاصرة؟». إنه الصديق ذو النظارة الذي سبق لدان أن أخبرها عنه.

ردّت عليه: «لا تنظر إلى هذا المكان باعتباره مكتبة، بل باعتباره مؤسسـة وطنية، أو رمزاً ثقافياً يجعل الأمة على ما هي عليه». كانت تثرثر بما لا معنى له،

ولكنها اندهشت من أنها قالت ما قالته. لقد أعادت صياغة ما تذكرته من أقوال والدتهـا: «إذا أرادوا منـا أن نخضع، فعليهم تدميـر المكان الذي يعطينا الجرأة لنفكّر بأنفسنا، ما يجعلنا مختلفين وفريدين».

خطرت لها فكرة أنه إذا كان من أمامها يعرفون تفاصيل وظيفتها في المكتبة، فكم سـيغضبون من تصرفاتها. كانت وظيفة لم تكن أختها ولا والدتها تعرفان شيئاً عنها؛ وظيفة هددت بالقضاء على المبادئ نفسها التي كانت تتظاهر بدعمها الآن: مـا الذي يجعلنا فريدين، وما الـذي يجعلنا مختلفين. لقد طردت الفكرة المخزيـة مـن عقلها. كانت مجرد وظيفة. وفي نهايـة المطاف، لن يكون الأمر مهمـاً الآن – مهمـا كانت المهام التي قامت بها هنـا – فمن المؤكد أنها كانت على وشك القيام بشيء أسوأ بكثير.

قالت السيدة المسؤولة عن الأرشيف: «ولكن ألا يعتبر مقر الحكومة مكاناً أفضل للبدء منه، أنا أفكّر في التغطية الإعلامية، لن يغطي أحد ما قد يحدث هنا، لن يعني الهجوم شيئاً إذا لم يحظَ بتغطية إعلامية تلفت النظر إليه...».

شـعرت آنّا بقليل من الانزعاج مما أدلت به المرأة واعتبرته تطفّلاً وقالت: «وجهة نظرك وجيهة، ولكن هذا يمكن أن يحدث... إن ما أريد التركيز عليه هو أمان الخروج...».

تسـاءلت كولين، من خلف مكتب الاستفسارات، وهي تقضم تفاحة: «أين البواب؟ ألا يفترض به أن يكون مسؤولاً عن هذا...؟».

«إنه...». فكرت آنّا في دان الآن، وهو يتجول في الخارج، حرّاً كالطير». لقد فوضت رئيسة المكتبة بعض مهام البواب لبعض موظفي المكتبة...».

أجابت كولين وهي تدير عينيها: «قبل أن ندرك، سيتبين لنا أنهم تخلوا عن البوابين، وعندها سـيترتب علينا تنظيف المراحيض والقيام بورديات الحراسـة الليلية، في هذا الحال من سيفتح باب غرفة الأرشيف، هناك باحث؛ هناك إبين بريشرتش... يجب أن أذهب وأخرجه...».

قالت آنا وهي تحاول أن تظهر بمظهر غير المبالي: «أوه، يمكنك أن تتركه حيث هو الآن».

«لا أرى سـببـاً يجعلـه لا يعاني مثلنا، ويبتعد عن عملـه، أعتقد أنك أكثر شخص لا تريدين أن تكون حياته سهلة...».

شعرت بشيء من الخدر، وسارع جسدها ليُسيطر على الذعر الذي يجتاحه وذلك عندما رأت كولين ترفع سـماعة الهاتف الداخلي لتتصل بالبواب، فهي أوشكت أن تكتشف تعطل شبكة الهاتف الداخلية، كان عليها أن تصرف انتباهها بشكل أو بآخر.

خاطبتها بقوة وفظاظة لم يسبق لأحد من الموظفين أن خاطب بهما كولين مرهوبـة الجانـب: «مهلاً كولين، إن كنا حقـاً نتعرض لهجوم، لا يفترض بنا أن ننتظر أن ينضم إلينا الجميع، فهذا لن يجدي نفعاً، علينا أن نتصرف بطريقة واقعية ومنطقية».

نظرت كولين إليها وأخفضت سماعة الهاتف. لقد شعرت بالفضول إن لم نقل بالحماسة تجاه جُرأة آنّا.

سألتها: «في هذا السيناريو الافتراضي، من يفترض به أن يهاجمنا؟ من يهتم بمهاجمة بلد ضعيف؟».

شعرت آنّا بأنها متورطة في مناقشة، وهي تستغرق وقتاً أطول مما هو محدّد له، في حين أنها لا تريد القيام بشيء سوى إخراجهم من المبنى.

«حسـناً، لا يهـم من يهاجمنا، دعونا نقلْ إننـا نتعرض إلى هجوم مجهول المصدر، ومجهول الدوافع، وقد أُغلقت الأبواب الأمامية، من أجل حمايتكم، لأننا علمنا بالهجوم، ولم يعد لدينا سوى خمس دقائق للخروج بسلام من المبنى إلى الفناء الخلفي، حيث سـنجد سيارات الشـرطة تنتظرنا. إذا حدث مثل هذا السيناريو الافتراضي، يجب أن نكون متأكدين من أنكم تعرفون طريق الإخلاء، سأنتظر وصول بعض الزملاء، ثم سنظهر الطريقة التي يفترض بنا التصرف وفقها

في مثل هذه الظروف».

سألت كولين بصوتٍ خالٍ من المشاعر: «ماذا بشأن الغازات؟ ألا يفترض بنا أن نُطلق الغازات المنومة عندما نتعرض لهجوم إرهابي؟ هناك زر في مكان ما أليس كذلك؟». أخفضت كولين رأسها أسفل طاولة المكتب.

قال البروفيسور المُسنّ: «لا، لا تضغطي عليه بالله عليك، ألا تذكرين الضرر الذي ألحقه جيراننا الأعزاء عندما استخدموه؟ كانت المواد المخدرة زائدة الجرعة، خصوصاً بالنسبة إلى المتقدمين في العمر، مثلي...».

عقّبت آنّا: «أعتقد أن اللجوء إلى الغازات المنومة سيكون الخيار الأخير الذي يمكن اللجوء إليه». وتذكّرت تلك الكوابيس التي لم تبارحها خلال الأسابيع الأخيرة، حيث رأت الأجساد متمددة في شتى أنحاء صالة المطالعة، وهي تكافح من أجل أن تتنفس «كولين من فضلك تعالي إلى هنا...».

فجأة، بدا أن اللهاث الوهمي الذي كانت تشعر به في عقلها الباطني، وكأنه يصدر من مكان ما في هذه الصالة، كان البروفيسور المُسن يُحدق إلى الأبواب، وبدا أنه يكاد أن يغيب عن الوعي.

قالت: «كفى». وبدا لها أن عليها أن تعدّل لهجتها قليلاً «ليس هناك أي تهديد فعلي، لن نضغط على زر إطلاق الغازات المنومة، وكما كررت أكثر من مرة، هذا تدريب، ولن يُصاب أحد بمكروه».

أشار البروفيسور نحو البوابة المزدوجة. حيث كانت تقف نان وليلي وسمر وبيل. وبدا للحظة أنه يحاول أن يلفت انتباه آنّا إلى حقيقة أن البوابة لا تفتح كما ينبغي بشكل آلي للسماح لهن بالدخول، ولكن بعد الفحص الدقيق أدركت ماهية المشكلة. رأت ما رآه من خلال الزجاج، وسرعان ما سيلاحظ الآخرون ذلك أيضاً. لا يزال أمامها خيار عدم فتح الأبواب؛ للحفاظ على الفشل الذريع الذي خلقته نان لنفسها على الجانب الآخر من الزجاج المضاد للقنابل، لكن الوقت فات الآن. وكان عليهما أن تعملا معاً بتزامن، كشخص واحد. وكان

عليهما محو تلك الدقائق الاثنتي عشـــرة إلى الأبد إذا أرادتا أن تكونا الشـــخص نفسه، كما أرادت والدتهما دائماً.

هكـــذا فتحـــت الأبواب، حتى تتمكن نان من دخـــول الصالة وهي تحمل مسدساً مصوباً إلى رؤوس زميلاتها الثلاث؛ وحتى يتمكن الموجودون في قاعة المطالعة الشـــمالية أخيراً من الاعتراف بأن التهديد هو تهديد، بغض النظر عمن يهددهم.

إبين

11:15 صباحاً

«أنا متماسك»، همس إبين لنفسه مرة أخرى خلال ثلاث دقائق، وهو يشعر بأن الانزعاج الناجم عن تبلّل سرواله وبنطاله يصل إلى عظامه ويبلغ قلبه، وهذا ما جعل من التركيز مهمة صعبة. لقد حاول أن يُهدئ من روعه، من خلال تخيّل نفسه يأخذ حماماً دافئاً، ويغتسل من كل هذا الدنس. لكنه أدرك أن تفكيره بالماء ربمـــا يكون محفوفاً بالمخاطرة، وخشـــي أن تطالب مثانته بالتفريغ مرة أخرى. ولكنـــه تســـاءل أين هو البواب الذي يفترض بـــه أن يفتح له الباب؟ هل هو في المرحاض يســـتمتع بالحرية التي حرمه منها؟ عندما شعر أنه ليس مسجوناً فقط بل هو محروم من أبســـط الحقوق التي تُمنح للســـجين ازداد قلقه، لذلك عاد إلى المهمة التي أتى من أجلها، وأجبر نفســـه أن يؤكد من خلال أســـنانه المطبقة قائلاً: «يجب أن أحقق أقصى استفادة ممكنة من حياتي، حتى وإن عنى ذلك أن أجلس هنا مبللّ الثياب».

أسرع إبين في الانتقال إلى عقود أخرى من حياة إيلينا، وهو يريد أن يعرف الانهيارات التي قادتها إلى الانتحار، لم يكن مســـتعداً لتقبّل حقيقة أنها انهارت بسبب تعرضها للإذلال على يد أحد النُقّاد، فليس هناك أحد بمثل هذه الهشاشة، ولا بـــد أن هناك أحداً غيره يتحمل مســـؤولية انتحارها. لقد أراد على الأقل أن يتعـــرف إلى أفكارها ويقيّم الطريقة التي تتعامل فيها مع المصاعب. عندما ظهر أمامه تدوين غريب: لقد وجدت اليوم في صندوق بريدي العدد الأخير من مجلة

عالـم صغير. عندما وصلتُ إلى المراجعات والتقييمات التي تكون مقبولة في العادة وقليلة العدد، لم يكن هناك سوى تقييم واحد (هجوم سيئ يأخذ شكل تقييم) بقلم إيبن بريثريش بخصوص رواية انتحار الحيوانات المنوية. لقد حذّرني ناشري من أن هناك شيئاً قادماً، لقد رأيته، في جلسة إطلاق الرواية. كان يجلس في المقدمة، ولم يكف عن حك أنفه، وكان بطنه يتدلى فوق حزام بنطاله، وكان يتطفل اجتماعياً على الأشخاص الذين بدا جلياً أن لا وقت لديهم ليخصّصوه له. لقد حاول أن يشيع انطباعاً بأنه مسرور، ولكن من يتفرس وجهه يرَ الأثلام الموجودة على وجهه الدائري. لا بد أنه يعاقر الخمر في وقت متأخر من الليل (نبيذ رخيص من السوبر ماركت، على الأرجح، لم ينم أي شيء فيه عن الرقي). لقد بدا أن الوحدة تمزقه، وأنه يعاني من أجل العثور على معنى للحياة.

انتظر بفارغ الصبر - طوال الوقت الذي كنتُ أقرأ فيه- جلسة الأسئلة والأجوبة في النهاية (لهذا السبب يحضر، ليس للاستماع إلى أفكاري، بل للتعبير عن آرائه). فهذا ما يعيش من أجله. إنه واحد من أولئك الذين، عندما يبدؤون بالكلام، تستطيع أن تلاحظ العدوانية والسلبية قبل أن ينطق الكلمات، وهو ينظر إلى الجمهور. غالباً ما يسألني عن شخصياتي (إنه من النوع الذي يبدأ بقوله: «ليس لديّ سؤال، بل أوّد أن أعطي ملاحظة»)، ويبدأ بإلقاء اللوم عليّ بسبب تصرفات شخصياتي، وكأنني أعيش وأتصرف وفقاً لها، حتى عندما أنوي الردّ عليه بهدوء يصعب عليّ إخفاء استنكاري. بالتأكيد كنا نعلم، كما يعلم الجميع، أنه كان يوجّه لي نقداً لاذعاً، قبل أن ينهض ويُغادر. عادة ما ينسى شيئاً خلفه- وشاح، أو قفاز- وكأنه لا يريد أن يغادر بالكامل، ودائماً ما يبدو في غاية الحرج حتى يعود ويسترده، وهذا ما يجعل محرري مسروراً عندما يرميه في سلة المهملات.

أُصيب إيبن بالدهشة، بسبب ما قرأه، فهو لا يذكر أنه طرح أي أسئلة أو قدّم أي تعليقات، ربما كان يحك أنفه، فهو يعاني من التهاب الأنف التحسسي،

وتذكر أنه كان يشعر بارتباك وهو ما يجعله ينسى بعض الأشياء. صحيح أنه كان يشعر بالحرج من العودة لاستردادها، لأنه يظن أنه سيصبح عندها محط أنظار كل من هم في القاعة، لهذا السبب خسر كثيراً من القبعات والأوشحة والنظارات. أما بالنسبة إلى الأمور الأخرى، فهو لم يسبق له أن شرب قطرة نبيذ، لأنه لم يكن يناسبه، فالكبريتات الموجودة فيه تجعله يدخل في نوبة من العطاس، كما أنه لم يستطع تحمل الكونياك باهظ الثمن. لقد أراد أن يبدأ بالكتابة على الفور.

فجأة شعر بغرابة الأمر فلم يكن بحوزته قلم أو حتى قصاصة ورق، لقد أصبحت الأوراق محظورة، لأنها تنقل الأمراض وفقاً لم تزعمه الحكومة.

نظر إلى التمثال النصفي، وقال مستهزئاً: «لا تستطيعين إعادة كتابة القصة، لا يمكنك يا إيلينا الادعاء أنك تعرفين حقيقة حياة الآخرين».

بعد أن غطّى عينيه بأصابعه، تجرأ على مواصلة قراءة رأي إيلينا بمراجعته.

منذ البداية، قرر إيبن أنه لا يريد الاستمتاع برواية انتحار الحيوانات المنوية. أنا واثقة أن العنوان بحدّ ذاته أثار حنقه بل غضبه، لقد كان لديه بالفعل جدول عمل خاص، حتى قبل أن يقلب الصفحة الأولى فلا يمكن الوثوق بأي شخص يصف نفسه بأنه صديق فرانكتون إيملين، ذلك الغبي الذي لا يصلح لا للكتابة ولا للنقد. ولكن يمكننا إضافة سبب آخر هو أن إيبن بحدّ ذاته يطمح أن يكون روائياً، على حدّ تعبير بعضهم. لذا، فهو لا ينظر إلى الرواية بطريقة موضوعية، شأنه شأن كل القراء، بل ينظر إليها بصفته يستطيع كتابة ما هو أفضل منها، أو هذا ما يظنه.

إحدى النقاط الأولى في التقييم هي أن روايتي غير صالحة للقراءة. كما أنه اعتبر أن فكرة وجود مجتمع تكون فيه النساء خالدات هي فكرة سخيفة، لقد نسي أن الرواية هي مكان يتخيل فيه الروائي عوالم غير موجودة، وهو يتساءل إن كان التوأم الذي حملت به من خلال حيوانات منوية تبرع بها قد أثّر بشكل ما على الرواية، وكأن من الخطأ أن تتأثر المرأة بالتغييرات الهائلة والمفاجئة في

حياتها. سأعترف أنني في بعض الأحيان أشعر بشيء من الألم لأنني لا أعرف هوية والد التوأم، وبما أنه لا يخفى عن أحد أن عدداً كبيراً من الرجال في هذه البلدة قد قدّموا حيوانات منوية للبنك المحلي. أنا أتخيل ماذا سيحصل إذا تبيّن له أنه هو أو فرانكتون هما والدا التوأم، ألا يمكن لشيء من هذا القبيل أن يحصل ؟!

لم يجد إبين هذا الأمر مضحكاً على الإطلاق. في الواقع، لقد شعر بالرعب الشديد عندما سمع أن إيلينا حامل من متبرع بالحيوانات المنوية، بعد أشهر قليلة فقط من تبرعه (الإلزامي) لبنك الحيوانات المنوية المحلي. ذلك بعد أن أقروا تشريعاً يقضي بأن أي رجل يزيد عمره على ثلاثين عاماً وليس لديه شريك يجب عليه التبرع، من أجل زيادة عدد السكان بعد الوباء الكبير، الذي قضى بقسوة على عدد من الأولاد الصغار.

تذكّر إبين أن التشريع الجديد أشعر والدته بالسعادة، خاصة وأنها فقدت الأمل في أن تُصبح جدة، وبما أن معظم المتبرعين لم يكونوا متحمسين لفكرة التبرع، بدا أنه من الجيد أن يُسمح للمتبرع باختيار السماح بأن يعرف الأولاد هوية والدهم بمجرد أن يبلغوا الثامنة عشرة. لقد أشار إبين على الخانة التي تسمح بمعرفة هويته بلا، بالرغم من اعتراض والدته الشديد. فهو لم يستطع أن يتصوّر أمراً أسوأ من هذا الأمر. ولكن بالرغم من ذلك، ظلت والدته متحمسة لفكرة التبرع. قالت له: «تبرع كل سنتين». وهي متلهفة لزيادة عدد الأحفاد من لحمها ودمها مئات المرات.

ارتجف إبين عندما تذكّر ذلك وهو يقرأ:

إنه يدحض بطريقة فظّة وجود أي أساس علمي لمفهوم فناء الحيوانات المنوية، على الرغم من أنه يرى في اعترافاتي أنني تشاورت مع عالم أثبت أن الحيوانات المنوية، في الواقع، تنتحر من أجل منع انتقال الطفرات الضارة إليها. إن روايتي مجرد توسيع مرح لهذه الفكرة؛ ماذا لو بدأ الرجال بالموت لإفساح

المجال أمام نساء هذا العالم؟ من الواضح أن الأمر أكثر من اللازم بالنسبة إلى بعض الرجال للتعامل معه. أعتقد أن أكثر ما يزعجه، بالطبع، هو التأثير الذي أحدثته هذه الرواية. وكم أثرت في المجتمع اليوم. إنه يثبت أن الخيال قوي، وأنه يمكن أن يغير طريقة تفكير الناس.

ضرب إبين رأسه على المكتب. لقد تذكّر جيداً الكم الهائل من الردود التي تلقاها على المراجعة، والتي اعتبرت أنه تعامل مع الرواية بطريقة سطحية، وأشار كاتبوها إلى مدى سخافته لأن كتاباً خيالياً قد ألحق الأذى بغروره الهش إلى هذا الحدّ. فهو لم يقرأ الرواية بشكل صحيح بالطبع. لقد قرأها تحت الإكراه، وأخبره فرانكتون أنها أسوأ شيء قرأه على الإطلاق؛ كان كتاباً مثيراً للسخرية، كما وصفه، وكان ذلك في وقت لم يفكر فيه في التشكيك بسلطة فرانكتون.

من الواضح أن إيلينا لم تظهر شيئاً سوى اللامبالاة الباردة تجاه ما كتبه؛ لم تعطِه أي أهمية على الإطلاق. لقد ارتدت المراجعة عنها مثل كرة بينغ بونغ.

التقط نسخة من رواية انتحار الحيوانات المنوية مجلّدة تجليداً فنياً عليها صورة لحيوان منوي وقد أحاط حبل مشنقة برقبته، الأمر الذي كان مثيراً للجدل في ذلك الوقت. ولكن ما هو أكثر إثارة للجدل، في رأي إبين، هو حقيقة أنه نادراً ما كان يُسمح لأي مؤلف في البلاد بمثل هذا الغلاف المقوّى، حتى قبل حظر الورق. والآن، لم يُمنحوه ترف الحصول على نسخة عادية. إذا ذهبت إلى البلد المجاور، يمكنك شراء كتاب حقيقي، والتباهي به حول أحواض السباحة والحدائق والقطارات كشيء للاستمتاع به. ولكن إذا حاولت إعادته إلى هذا البلد فستنتزعه منك الشرطة وتتلفه خوفاً من حمله لجراثيم ضارة، وينتهي الأمر.

كانت كتب إيلينا من آخر الكتب التي ظهرت مطبوعة. لقد أصبح من

الضروري أن تقرأ كل فتاة مراهقة في البلد رواية انتحار الحيوانات المنوية التي أعيــدت طباعتهــا عدة مرات، حتى حظر الورق. ظن إبين أن أمثال إيلينا هم من اســتنفدوا كل الورق قبل الوباء العظيم، بما أن هذا الكتاب طُبع مراراً وتكراراً فقد حال دون نشر روايات أخرى وطرق أخرى للتفكير. لقد غسلت إيلينا أدمغة الأمة.

لا شــك في أن إيلينا كانت تعرف، بمجــرد أن بدأت الحكومة في إصدار تحذيــرات، أن القــراءة المفرطة يمكن أن تؤدي إلى المرض، وهو ما ســينتج عنه من تشــريعات بخصوص الورق. وربما هي من دفعت مقابل إعادة الطبع، وربما كانت تشــتري النســخ بنفســها. ومع أن إيلينا لم تكن تخفي امتعاضها من عدم المســاواة والظلم الاجتماعــي، إلا أنها لم تنضم إلى جوقة الأصوات الأدبيــة المعترضــة على حظر الورق. ها هو يقول لها الآن: كان من الأجدر بك أن تنتحري بســبب حظر الورق وليس الانتحار من أجل لا شــيء وجعل الناس يكرهونني بدلاً من أن يكرهوا الحكومة ذات السياسات العشوائية، التي لا يبدو أن لها أثراً على البلد المجاور.

أعاد قراءة الفقرة الأولى من رواية انتحار الحيوانات المنوية.

كان ذلــك يــوم القديس في البلدة الصغيرة – إنه اليوم الأول الذي وافقت الحكومة على اعتباره عطلة وطنية عامة – بين ليلة وضحاها مات كل الرجال في إحدى البلدات، وهذا لم يكن سوى البداية. العديد من الزوجات الأكبر سناً لم يلاحظن ذلك حتى وقت متأخر من الصباح؛ وافترض معظمهن أن أزواجهن كانوا يســتغلون حقيقة أنهم ليسوا مضطرين للذهاب إلى العمل وكانوا مجرد كاذبين. جلســت أولئك النساء عند نوافذهن ونظرن إلى السماء الزرقاء الصافية والبحر الهادئ تماماً، وأطلقن على أزواجهن لقب الكسالى بصوت منخفض، منزعجات من أن أفضل جزء من اليوم قد مضى الآن، ولن يعود أبداً. لقد أصدرن أصواتاً في مطابخهن على أمل إيقاظهم، وعندما لم يستيقظ أي واحد منهم، بدأت النساء

يتصلـــن بعضهن ببعض، ووضـــع خطط بديلة لهذا اليوم. لم يلحظ الكثير منهن وجود أي شيء خاطئ حتى كانوا على التل المطل على المدينة الساحلية، عندما رأت إحداهن، من خلال منظارها، أسطولاً من المركبات السوداء تتحرك بصمت عبر البلدة مثل الصراصير، ويبدو أنها تنتشـــر في كل شـــارع في البلدة. وقفت أمام كل مبنى ســـيارتان أو ثلاث على الأقل. كانت جثث الرجال الأصغر ســـناً، بطبيعة الحال، هي التي اكتشـــفت أولاً، لأن زوجاتهن الشابات كن قد استيقظن منذ بزوغ الفجر مع الأطفال، ولم يكن على اســـتعداد لقبول فكرة الراحة التي اعتبرها أزواجهن مســـتحقة. بعد أن فتحن أبواب غرف النوم عند الساعة الثامنة صباحـــاً، وهـــن يحملن رضيعاً على خصورهن ويتبعهن طفل صغير من دون أن يتوقعن أن يعثرن على أزواجهن موتى.

انزعـــج عندما تذكّـــر كيف وصف المفهوم بأنه «مبسّـــط» لأنه لم يتحدث إلا عـــن الزيجات التي تجمع بين ذكر وأنثى، ولكن هذه كانت مشـــكلة القراءة الســـريعة، لأن قســـماً آخر كاملاً من الكتاب فاته حيث شرحت سبب ذلك. مرة أخرى، تأثرت إيلينا بأبحاثها، التي اكتشفت من خلالها أن الذكور لدى العديد من الأنواع، تعيش لفترة كافية للتكاثر، ثم تموت ببساطة، مع ارتفاع مستويات التوتر الناتج عن التزاوج، ما يتسبب في انهيار أجهزتها المناعية. قالت إنها تلعب بهذا المفهوم وتطبقه على البشـــر، وخصوصاً في بلدها حيث يشـــعر الذكور بضغوط معينة للتكاثر من أجل الحفاظ على عدد كافٍ من السكان بحيث لا تتفوق عليها الدولة المجاورة. كتبت: «نحن مجرد حيوانات في البرية، نحاول البقاء على قيد الحياة».

ولكن على الرغم من أن إيلينا احتجت في كل مقابلة على أن هذه الرواية لم تكن نوعاً من الخيال المحض، بل كانت توسعاً لمفهوم علمي، إلا أن إبين تذكّر كيـــف أن هـــذا الطابع البهيج الذي بدأت فيه الرواية أخذ يطاردها، وكأنها كانت ســـعيدة بالقضاء على كل الرجال الذين أزعجوها. على الرغم من أن الرواية لم

تحدد أبداً مكان البلدة، إلا أن الأمر لم يتطلب عبقرياً ليكتشف أن البلدة شبيهة ببلدتها الساحلية، حيث يعرف الجميع بعضهم بعضاً.

لم يستطع التخلص من شعور أن إيلينا أدانت الجميع وبدت مسرورة لموتهم في أسرتهم؛ أنها كانت تتخيله وفرانكتون وأعضاء آخرين من سماذرهود مستلقين هناك، رماديين وقد فارقتهم الحياة، واستنزفت كل أهدافهم ونواياهم منهم. لقد كانت قراءة مثيرة، ولكنها مثيرة للقلق. لا يستطيع المرء التوقف عن التفكير فيها مرة أخرى. شتمها لكونها تستحضر هذه الأوهام البصرية الحية من لا شيء.

تحرك نحو الشاشة في الجهة البعيدة من غرفة الأرشيف. حاول بالفعل الوصول إلى الإنترنت، وتساءل عما إذا كان يستطيع إرسال بريد إلكتروني، لكنه وجد أنه غير متصل بالإنترنت. ولحسن الحظ، لا يزال هناك عدد قليل من سجلات منتديات الكتابة التي يمكن للمرء قراءتها من خلال نظام السجلات الداخلية للمكتبة. لم يكن في مزاج يتيح له مزيداً من القراءة عن إيلينا الآن؛ أراد شيئاً يسليه. وأفضل ما يناسبه هو المنتدى الأدبي باست(ب)ارد؛ حيث يمكن للشعراء المهمشين أن يكونوا وحوشاً، مختبئين بأمان تحت عباءة عدم الكشف عن هويتهم. في كل صباح تقريباً، كان هناك بعض الأحاديث الصاخبة حول إيلينا، والتي كان يردُّ عليها حوالى مئة من محبيها. مضت فترة على تحقّقه من المنتدى، وعندما ألقى نظرة عليه، تبيّن له أنه حتى بعد وفاتها لم تتوقف المنشورات عنها.

ادّعى أحدهم مؤخراً أن وفاة إيلينا كانت أكبر حيلة إعلامية على الإطلاق. ثم ظهر اسم إيبن بطريقة أو بأخرى في المناقشة، حيث ذكر كاتب آخر (نثري على ما يبدو) إن: إعلان إيبن بريثرتش بأنه سيكتب سيرة ذاتية لامرأة كان يحتقرها بشدة يجب أن يكون المسمار الأخير في نعش إيلينا. أرسلوا فيروساتكم له، دعونا نسقطه، ونمنع حدوث أي شيء من هذا القبيل

على الإطلاق. وكتب آخر: انسوا أمر إبين بريثرتش، فهو لا أحد. سيكون من الأفضل بكثير أن يذهب للبحث عن زميله غير المرغوب فيه، وهو ما يسمى بقريبه المفقود منذ زمن طويل، إيبين الشاعر، الذي لم يعد موجوداً في أرشيفات المكتبة. أنا أبحث في شعراء القرن التاسع عشر ولا أجد مصدراً واحداً يؤكد وجوده! هل يعرف أحد ما الذي يحدث؟ وفي السياق نفسه كتب أحدهم: من؟ إبين الوحيد الذي أعرفه هو ذلك الشخص المهمل الذي كتب تلك التقييمات السيئة عن إيلينا أودينغ.

لقد قرأ سفسطتهم ولكن من هي التي استوقفت عينيه؟ بدا له ذلك يرتعش بشكل خطير على شاشته، وكأن من هي الأخرى ستختفي. بدا أن أحداً لم ينتبه للتعليق، وترك الموضوع لمدة عشرة أسابيع تقريباً. كانت أصابعه تحوم فوق لوحة المفاتيح، وأراد أن يضيف تعليقه الخاص، لكنه تذكّر بعد ذلك أنه منتدى للقراءة فقط. وبدلاً من ذلك، نقر مرة أخرى على محرك البحث الخاص بالمكتبة.

كتب إبين الشاعر في مربع البحث، وحصل على النتيجة نفسها التي يحصل عليها دائماً: لم يُعثر على نتائج. لقد طلبت منه - أو هكذا تخيل - بصوت متعجرف أن يفحص تهجئة عنصر البحث الخاص به ويحاول مرة أخرى، أو أن يستخدم مصطلحات مماثلة. حاول إبنيزر توماس ولكن النتيجة لم تختلف.

لسبب ما، أصبح هناك إلحاح إضافي الآن في إجراء البحث في أرشيف إيلينا. إنه يبحث رغماً عنه، وكأن الشاعر إبين يمكن أن يحتل مكانة بارزة في تلك اللحظة. كان الأمر كما لو أن إيبينزر هو الآخر، مثل الرجال في رواية إيلينا، كان ميتاً في سريره، وتجاهل كل من حوله موته. لا بد أن شخصاً ما، في مكان ما، قد انتبه له بما فيه الكفاية حتى يتعرف إلى وجوده. كان إبين يعرف جيداً أن البحث في دفاتر إيلينا كشف عن ما لا يقل عن اثني عشر ألف نتيجة. لقد أصبح

من الضروري الآن العثور على إشـــارة واحدة إلى إيبين الشـــاعر، حتى لو كانت حاشية في تاريخ شخص آخر، شيئاً يثبت أنه كان موجوداً.

عاود الكتابة، مجرباً كل التراكيب. إبين الشاعر، توماس إبنيزر، عالم إبنيزر توماس، إبينثي العظيم، إبين - الفائز - الكاتب - شخصية تاريخية. وبينما كانت يداه تتحركان بشـــكل أسرع فأســـرع، تدافعت الكلمات أمامه لدرجة أنه لم يعد متأكداً مما يكتبه على الإطلاق. طوال الوقت، كلما كان يكتب بشـــكل أســـرع، كان تمثال إيلينا يبدو وكأنه يقترب منه، وكأنه يسخر منه لمحاولته اليائسة التحقق من وجوده.

تغير شـــيء فجأة. وكانت النتيجة: خط أحمر واحد أســـفل محرك البحث. أخيراً، قاده البحث إلى صفحة ذات مظهر رســـمي عليها شعار الحكومة، والتي تطلب اســـم المستخدم وكلمة المرور. وفي الأســـفل، وبأحرف صغيرة، طرح سؤال: هل لديك صلاحية الوصول إلى هذه الصفحة؟ يجب التحقق من صحة هذا الإجراء من قبل مسؤول حكومي.

لم يســـتطع أن يفهم ذلك تماماً. ســـنوات من البحث، سنوات من لا شيء. والآن هذه الصفحة الغريبة التي بدت وكأنها قد تحتوي على معلومات ســـرية، ولكن بشـــرط تمكنه من الوصول إلى المســـتوى الثاني، مثل ألعاب الحاسوب التـــي كان يحبهـــا عندما كان طفلاً. ثم وقف ونظر إلـــى ما كتبه. لم يكن «إبين» على الإطلاق - لقد كتب إبين انتهى الشاعر. وهذا الاقتران بين حرفي إ في إبين وانتهى كان، بطريقة ما، أكثر منطقية بالنسبة إلى الآلة من اسم شخص عاش ذات يوم، أو هكذا ادعى نيكولاس ووالدته، شخصية أدبية في هذا البلد. انتهى تعني شيئاً ما. إبين لا يعني شيئاً.

لقد حاول كلمة المرور. اقتران عشوائي للأرقام، ثم بضعة أحرف ورموز. وبعـــد عـــدة محاولات، انطلق إنذار من الحاســـوب. ثم صـــوت آلي، الصوت المسجل لرئيسة المكتبة نفسها: أنت تحاول الوصول إلى الملفات السرية. هذه

جريمـــة. غير مصرّح لك بتنفيذ هذه العملية. أنت تحاول الوصول إلى الملفات السـرية. هذه جريمــة. غير مصرّح لــك بتنفيذ هذه العمليــة. تغلبت موجات الغثيان على إبين. استلقى على الأرض بينما استمر الصوت الآلي. وكان قابس الحاسوب على بعد بوصات منه. انتزعه، على أمل إسكات الآلة، لكنها استمرت في مهاجمته باستمرار. أخيراً، بعد ما بدا وكأنه مئتا عام، نفدت البطارية، وتبدد الصوت، وساد الصمت.

عندها أدرك إبين أنه أسكت الشيء نفسه الذي كان يرافقه. الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينبه السـلطات إلى حقيقة وجود شـخص ما هنا. إبين-انتهى. ترددت الكلمة مثل المد البعيد.

دان

11:00 صباحاً

توجّه دان بسـرعة إلى المقصف ونظر عبر نوافذه، مصمماً على اسـتئناف واجباته والتصدي لأي أمور غريبة تحدث في الداخل. إنها الساعة الحادية عشرة وهي فترة الاستراحة. تفاجأ حين رأى المقصف فارغاً، وهذا ما جعله يجفل، فلا بد أن يكون أمر جلل هو ما حال دون توجّه الموظفين إلى المقصف واحتسـاء قهوة الصباح. لقد رأى صفوفاً من المعجنات الشهية ولكن أحداً لم يمسس قطعة منها، عند ذلك شعر بالجوع وبرغبة عارمة بالتهام صفٍ كامل منها.

ضغـط وجهه أكثر على زجاج النافذة، لعل الرؤية تكون أفضل، ومع ذلك لم يستطع رؤية شيء، سوى الكرواسونات باللوز الطازجة والتي بدت له وكأنها تحدق إليه مبتسمة ليظهر أثرها في الجسم من خلال تضخم الذقن ومنطقة الحزام في الوقت الذي يغوص فيه الفرانجيبان[1] في داخل الشـخص مثل الإسـمنت. ولكنه فكّر أنه لا يوجد شيء في المكتبة يحمل على الرضى.

لقد رصد حركة، إنها دورا الطاهية، وهي تنحني فوق الكرواسون، وترتبها فـي صف واحد بأصابعها المغطاة بقفازات اللاتكـس. وخلفها وقف كينفين، مساعدها (أو شيف القرف كما يطلق عليه دان)، وهو رجل قصير ذو شعر أشقر فاتح. طرق دان على النافذة، فبدأ تأثير المخدرات يتضاءل الآن، وبدأ يُفكّر في

(1) كاسترد بنكهة اللوز.

طريقة تتيح له النجاة من كل ما يحصل. عليه أن يعثر عليها، ومعرفة أين وضعت جهازه الخاص، وإذا افترضنا أنها لم تلغِ برمجته المتطورة، فهو يستطيع إقناعها بإعادة الأمور إلى مسارها الطبيعي قبل عودة كبير البوابين.

طرق على الباب مرة أخرى، وانتظر حتى يُفتح له، لم يكن الباب مرتبطاً بنظام إغلاق الأبواب الكامل للمبنى، بسبب طبيعة المكان القابلة للاشتعال، فلم يرغب أحد، بحسب ما أدلى به كبير البوابين، أن يحتجز أحد في المطبخ في حال اندلعت النيران فيه. مع أن دان كان يعتقد في بعض الأحيان أنه قد يرغب بذلك، إذا استمرت حياته على هذا النحو.

انتبه له كينفين، ولكنه تجاهله وتابع عمله، وحاول أن يصرف انتباه دورا بأي شكل من الأشكال حتى لا تستدير وتنظر إليه. طرق مرة أخرى على الباب، وهو يعلم أن دورا صماء، على أمل أن تجذب الاهتزازات انتباهها، ولكن كينفين ظل يحاول إبعادها، وهو يشير إلى كثير من الأشياء في الجهة المقابلة، ويدفع بها إلى الأمام بمهارة لاعب شطرنج، عندها ركل دان الباب، وبحث عن شيء ليحطمه به. أخيراً، بعد أن عادت دورا إلى القسم الداخلي من المطبخ، توجّه كينفين نحوه وسأله وهو يفتح الباب: «ما الذي تعتقد أنك فاعله، بحق الجحيم؟».

قال دان وهو يتقدم: «لقد احتجزتُ في الخارج، دعني أدخل». تفاجأ بقوة تينك اليدين الصغيرتين اللتين دفعتاه إلى الخلف.

قال كينفين: «لا أستطيع يا سيدي». فبدا بالنسبة إليه أن دان وكأنه الشيطان يقف على أبواب الجحيم «هذا مدخل الموظفين».

أجابه: «أنا موظف».

«إنه لموظفي المطبخ».

قال دان وهو يحاول بشتى الطرق الدخول: «لا تظن أنك أعلى مرتبة مني، فنحن متساويان...».

«لا، لسـنا متساويين. أنا رجل صادق ومجتهد. لم أصل إلى هنا للتو بسبب برنامج مراقبة مخادع. هل تعتقد أن كل المجرمين الآخرين يعيشون بهذه السهولة».

سـهولة؟ إن الحرية الوحيدة التي تمتع بها دان كانت المشـي على طول الرصيف بين المكتبة وشقته. تقع شقته فوق صالة لألعاب الميسر: المكان الذي لم يكن مسموحاً له دخوله، وذلك بسبب شروط إطلاق السراح المشروط، حتى أنه لم يُسـمح له باللعب بدافعة العمـلات المعدنية. كانت تلك الآلات تصدر أصواتاً تصله عبر السقف الرقيق وتطرب أذنيه؛ كانت تسخر منه.

اتخذ دان نهجاً مختلفاً، وخاطبه بود الآن: «أنا أعرف رأي الناس فيّ، ولكنني أحاول الالتزام بالقوانين، وكل ما أقوم به، يهدف لأثبت لهم أنني شخص جيد».

ظـل ثابتاً وحـاول ألا يُفكر في لقطات الفيديو غير الصحيحة التي تُعرض الآن، ولا بالجهاز الخاص الذي سُرق منه، ولا بالسيجارة التي دخّنها للتو. لكنه تذكّر وجوه الأشخاص الذين كانوا يصرخون عليه خارج المحكمة قبل سنتين، لأنه دمّر حياتهم.

توقف كينفين لفترة طويلة وأخيراً قال: «سأفكر في الأمر إذا وضعت القفاز».

قال: «بالله عليك يا كينفين، لم آتِ إلى هنا كي ألمس الطعام».

قال كينفين وهو يمسك قفاز اللاتكس الأزرق: «هذا ما تنص عليه القاعدة 668 من دليل الصحة والسلامة، لا يسمح لأحد بدخول المطبخ من دون وضع القفاز الصحي، الأمر مشـابه لما يحصل في الكتب، لن يُسـمح لأحد بلمسه ما لم يكن يضع قفازاً أليس كذلك؟».

وضـع القفاز علـى مضض، رفع يده ونظر بفضول إلـى أصابعه الزرقاء، وعندها تباطأ كل شيء حوله.

فجأة سأله كينفين: «مهلاً، هل أنت ثمل؟ هل أنت...».

قال دان بحزم: «هل يمكنني المضي قدماً». وهو ينظر إلى الأعلى في الوقت

الـــذي بدا فيه أن كينفين بـــدّل رأيه، وحاول إغلاق الباب في وجهه مجدّداً. في اللحظة الأخيرة، وضع قدمه في الداخل، فشـــعر بالألم عندما أُغلق الباب على ساقه اليسرى، لقد كانت هذه نقطة التحول التي جعلته يقرر وضع حدٍّ لكينفين، لقد تحول مجدّداً إلى سجين غاضب، ولم يعد البواب الرزين، وقرر معاقبة هذا الوغـــد. قفـــز عليه، وأوقعه على أرض المقصف، ورفع يده ليلكمه. إن عضلاته لا تـــزال تملـــك ذاكرة لما يفترض بها القيام به عندما تتعرض لهجوم، إنها ذاكرة وذكرى من أيام السجن. لم يستطع كبح نفسه، وهو يعرف أن ما يقوم به سيئ، ولكن بشكل مستغرب، لم تسقط لكمته وسط جبين كينفين، بدت له وكأنها تطفو في مكانها، ولم يعرف لذلك ســـبباً، إلا بعد أن ســـمع صوتاً، إنها الطاهية دورا، وكانت تمسك به من قميصه.

قالت: «اتركه وشأنه، أنتم البوابون حثالة لعينون».

نظر إليها، كانت تُشبه جدته إلى حدّ كبير، شعر برغبة في البكاء؛ لقد توفيت جدته عندما كان في الســـجن، ولم يكن لديه وقت ليشـــرح لدورا سبب ما أقدم عليه، ربما يكون بسبب السيجارة التي دخّنها. في تلك اللحظة أراد من دورا أن تحتضنه، أن تكون جدته وإن للحظة واحدة فقط.

قال: «مهلاً دورا، هناك مشـــكلة عنـــد بوابة المدخل، متعلقة بأمن المكتبة، ليس هناك خيار أمامي، سوى الدخول، هل هذا واضح؟».

قالـــت دورا فـــي الوقت الذي حدّق إليها كينفين من فوق كتفها: «حســـناً، ولكنني لا أرى سبباً لتثير كل هذا الصخب، والاعتداء على موظف، ألا تستطيع الدخول مثل أي شـــخص محترم. دان، بصراحة يبدو أنك مصمم أن ينتهي بك المطاف في السجن مرة أخرى، أليس كذلك؟».

مـــرة أخـــرى، أراد أن يبكي، تذكّر جدته التي قالت هذه الكلمات نفســـها، ولكن بطريقتها: «لا تكن يا حبيبي ما يظنون أنك عليه». لم يرد العودة إلى طريقته

السابقة، لقد أراد أن يعيش بطريقة مختلفة، أراد حياة بسيطة وجيدة. ولكن أنّى له ذلك، بعد الفوضى التي أحدثها؟

«اسمعي، أنا بأمس الحاجة إلى...».

قالت دورا وهي تدور حول نفسها لتلقي نظرة على المقصف الفارغ: «الجميع مشغولون بالخطر الأمني، أليس كذلك؟ لم يسبق لي أن رأيت المقصف فارغاً هكذا، وهناك شيء غريب بخصوص الكهرباء، لقد انقطعت منذ نصف ساعة، منذ ذلك الإعلان. لهذا لم تنضج المعجنات بشكل كامل، وإذا طال الأمر أكثر، فسأضطر إلى رميها...».

«ما الذي تعنينه بأنها انقطعت، وما هو الإعلان الذي تتحدثين عنه؟».

«حسناً، لا أعرف، لم أسمعه، إن سماعتي تصدر طنيناً عندما يصدر إعلان عبر مكبرات الصوت، ما كان الإعلان يا كين؟».

تحدث كينفين وهو يصر أسنانه، بدا جلياً أنه لا يزال منزعجاً لأن دان لا يزال في المقصف.

«لقد دعا الإعلان الموظفين للتوجّه إلى صالة المطالعة الشمالية، من أجل تدريب أمني».

تدريب أمني؟ حاول دان أن يعصر دماغه بحثاً عن إجابات، هل نسي أنه كان يفترض به أن يُجري تدريباً؟ هل هناك أحد يتواصل معه من المدينة؟ هل يتساءلون لماذا لم يقم به. يا إلهي هل فُضح أمري.

سألهما: «ما دام هناك مثل هذا الإعلان، لماذا لم تلتحقا بباقي الموظفين؟».

«من المؤكد أننا لسنا معنيين بالإعلان، إنه مخصص للأشخاص الذين يريدون إنقاذهم، إن حصل خطر، ولنكن صريحين في هذا، لن نكون على رأس قائمة من يهتمون بأمرهم أليس كذلك؟ ولا أنت».

لقد حاول دان أن يربط الأمور بعضها ببعض في عقله المشوش: «لكن

البوابين ليسوا هنا!».

«لا أعرف، من سمع عن تدريب أمني من دون رجال أمن؟». ما قالته دورا سليم، ولكن دماغه لا يزال يكافح من أجل أن يعمل بطريقة منطقية، لا تزال الأفكار تتبلور، لكنها سرعان ما تتوقف، قبل أن تختفي. هناك نقص في البوابين، وبما أنها عرفت أنه بمفرده، ربما يكون التدريب مزيفاً، ولكن ما الغاية منه، لم يكن واثقاً، ولكن ربما يكون الهدف من التمرين ليس أمنياً البتة.

قال: «يجب أن نصعد ونرى ما الأمر». أشار إليهما أن يتبعاه «عليكما أن تبقيا معي، يفترض بي أن أحميكما. لذا، إذا تكرمتما...».

قالت دورا بتحدٍّ: «لا، شكراً لك. كما قلت، نحن لسنا مهمين، وأنا أريد أن أكون هنا، عندما يعاد تشغيل الفرن، من أجل المعجنات، فأنا مسؤولة عن حياتها أيضاً».

قال وهو يتقدم نحو الطاهية: «دورا، قد يحدث أمر سيئ هنا، وبصفتكما مدنيين لكما الحق بأن تحظيا بالحماية شأنكما شأن الجميع». أردف وهو يُفكر في طريقة ليكسبهما إلى جانبه «لن أنظر إليكما أقل مما أنظر إلى الباقين، من واجب البوابين أن يعتبروا جميع الأرواح متساوية، هذا ما تشير إليه القاعدة 865 في كتيب الأمان».

خفّت حدة النظرة في عينيها، واعتبرت ما قاله منصفاً، ولم ترفضه.

«يا إلهي، لا يمكنك اعتبار أرواح الجميع متساوية، فالبعض يفترض بهم أن يخدموا الآخرين، حتى في حالات الطوارئ. أعني إذا حدث شيء ما، إذا كانت الأرواح معرضة للخطر، إذا كان هناك حصار، إن كانت نهاية العالم وشيكة -يقول أحفادي أن نهاية العالم أصبحت وشيكة- بعد أن أشار إلى ذلك أحد المؤلفين. أتذكر أنني سمعتهم يتحدثون عن الأمر في المقصف، كان اسمه مرتبطاً بالطعام... ولكن على كل حال... الجملة التي سمعتها كانت... سيكون

الطعام شيئاً صغيراً جيداً في ذلك الوقت. سيظل الناس بحاجة إلى لفائف الجبن، وهم ينتظرون الموت؟».

أوه، لفافة جبن! شعر دان بالجوع، ولكن الوقت لم يكن مناسباً.

قال: «لن تضحي بحياتك من أجل لفافة جبن» قال وهو يقود شبيهة جدته ومساعدها الشيطان الأشقر خارج المقصف متوجهاً إلى وسط المكتبة الوطنية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

آنّا ونان

11:30 صباحاً

خيّم الصمت على صالة المطالعة الشمالية. اعتقدت آنّا أنه صمت مختلف نوعاً ما عن الهدوء المعتاد والمريح في صالة المطالعة. بدا أن شبكة سميكة سقطت عليهم جميعاً، وتذكّرت كيف وقفت ذات مرة بإعجاب على إحدى تلك الشرفات فوق صالة المطالعة الواسعة والمفتوحة، ونظرت إلى أولئك الذين يعملون بجد في الوقت الذي كان فيه السير جون يحدّق إليهم بنظرته القاسية. لقد أذهلتها وفتنتها فكرة أن كل رأس منحنٍ يُفكّر بطريقة مختلفة. تخيّلت تلك الأفكار تطفو من جماجم القراء، وتندمج مع أفكار هؤلاء الكتاب والنقاد الذين دفعوهم إلى التفكير بشكل مختلف. كل تلك الكلمات، والاقتباسات، والتأملات ترتفع في الهواء، مثل سرب من النحل يغادر قفيراً، وينتشر في نقاط سوداء صغيرة في اتجاهات مختلفة. لقد فكّرت في نفسها بتعجب، فلم يكن هناك دماغان يعملان بالطريقة نفسها.

لكن دخول شقيقتها شاهرة المسدس بهذه الطريقة، وحّد هذه الأدمغة المتباينة بشكل جامح. ربما كان هذا هو ما أدى إلى تغير نسيج الصمت. كان صمتاً ينم عن اتحاد، ومن المؤكد أن كل شخص هنا يركّز على نفسه. كانوا جميعاً يفكرون بطريقة للخروج من هذا الوضع.

رصدت أعينهم وهي تنظر نحو فتحات النوافذ، وكانت رموشهم تشير إلى أنهم ينظرون إلى الرفوف والنوافذ، كان هناك سرب من الأفكار ينتشر في

الهواء. حاولت أن تُفكّر مثلهم، حاولت أن تُفكّر في الطريقة العادية التي يعتبرها الشـــخص مناســبة للفرار من هذا المكان. ربما يفكّرون بالركض صعوداً على تلك الســلالم اللولبية التي لم يســمح لهم بصعودها وصولاً إلى تلك الشرفات التي سبق لها أن وقفت عليها لتراقبهم. ربما يفكّرون بالصعود إلى أعلى رفوف الكتب والتي يُزعم أن أندر المخطوطات قد حفظت عليها، مع أن آنّا تعرف أن الرفوف تحتوي على نسخ طبق الأصل عنها.

كان عامــة الناس يعرفون أنه يتعيــن عليهم الانصياع للحظر الورقي على أساس يومي، لكن مؤسسة وطنية مثل مؤسستهم كان عليها أن توهم بأنها فوق مثل هذا التشــريع، وكان هذا الجزء من براعتها هو الحفاظ على ما هو حقهم. لقد كانت خدعة بالطبع، تلك التي تطارد آنّا يومياً، لكنها حاولت نســيانها قدر الإمــكان، فتعمدت التحديق عندما نظرت إلى تلــك المخطوطات، متخيلة أن حروفها الذهبية تلمع بالفعل في الشــمس كما فعلت النســخ الأصلية بدلاً من الجلوس هناك بشــكل باهت، لا يصدر عنها أي شــيء مميز على الإطلاق، كما هو حال المخطوطات المزيفة.

ولكن حتى لو استطاع المحتجزون، الوصول إلى هذه الرفوف ليصلوا إلى الأعلى، فعندها ســتصدهم النوافذ الضخمة المقوسة التي يستحيل فتحها، وإن تشبثوا بها مثل الصراصير، فلن يلاحظهم أحد سوى البحر الذي سيستهزئ بهم. بعد ذلك، إذا نزلوا وحاولوا الوصول إلى الأبواب في الطابق الأعلى فلن يتمكنوا مــن فتحها ما لم تكن معهــم البطاقات الخاصة بالموظفين. يبدو أن كولين هي الوحيــدة التــي لا تزال محتفظة ببطاقتها، وهي تتدلى من عنقها، لأن نان أخذت البطاقــات مــن زميلاتها. كانت آنّا تعرف أن كولين لا تتمتع بأفضل تنســيق في العالم، خاصة عندما يتشــابك حبــل نظارتها، كما هو الحال الآن، لقد ارتبكت حركة يديها وهي تحاول يائسة تحرير نظارتها لترى ما الذي يحصل.

لم يعد أمام آنّا من خيار ســوى أن تخرج مسدســها من الكتاب المقدس

الموضوع في العربة. لقد حرصت على القيام بذلك بسرعة، لتجعل الأمر يبدو أنها تُفكر فيه منذ البداية، وكان تأثير ذلك مدهشاً من حيث تهدئة المحتجزين. إن ظهور مسدس ثانٍ جعلهم ينتقلون من التفكير بالفرار إلى التفكير بأفضل السبل للبقاء على قيد الحياة. لكن إبقاء هذين المسدسين مشهورين بشكل مباشر بوجه عدد كبير من المحتجزين يتطلب تركيزاً كبيراً لم تكونا مستعدتين له. كيف يمكنهما الآن التواصل معاً من دون أن تفقدا تركيزهما، ومن دون أن يسمع المحتجزون ما كانتا تقولانه؟ بعدما كانتا تفخران بالسرية التامة التي أحاطت بخطتهما، أصبح الأمر الآن عبئاً عليهما، وهذا ما تركهما مكشوفتين. تخيّلت أن المحتجزين سيعرفون الحقيقة، وسيفهمون أنهما تمكنتا من الوصول إلى هذه النقطة، وسيعرفون أنهما ما عادتا تعرفان ما الذي ستمضيان إليه.

ما كان يفترض بأحد أن يراهما سوى إبين، ولكن بعد أن شهرتا مسدسيهما وهو أمر ظاهر وملموس، كانت تأمل أن تستطيع نان معرفة فائدة العودة إلى الخطة الأساسية والعودة إلى إبين.

سمعت صوتاً من الجهة البعيدة من الصالة، وقف رجل مُسن يرتدي سترة، وقد تبعثر الشعر الأشيب على رأسه في محاولة منه لإخفاء صلعته: «من فضلكما، أياً يكن ما تخطّطان له... لا تقتلانا...».

أياً يكن ما يحدث هو خطأ كبير، هذا ما فكّرت فيه آنّا وهي لا تزال تحكم قبضتها على المسدس، إنه هدر لوقت الجميع، تمنت لو أنها لم تهتم لأمر سلامتهم، فهي لم تقدهم إلى هنا إلا خشية عليهم من إطلاق الغازات المنومة.

«لا يوجد ما يدعو للقلق، نحن نريد إخلاء المبنى وليس أي شيء آخر». بدت آنّا متفاجئة وهي تبقي نظرة على شقيقتها على أمل أن تشير إليها بأنها تفهمها، ولكن نان لم تنظر إليها، كانت على وشك أن تدخل في إحدى الحالات التي تغيب فيها. وتابعت قائلة: «بغض النظر عما يبدو عليه الأمر، إلا أن هناك سبباً وجيهاً له». منحت نفسها قليلاً من الوقت لتفكر في ما هو هذا السبب،

عندها خطرت لها فكرة قد تبعث الطمأنينة في أنفسهم، وتجعلهم يرون تصرفاتها وتصرفات شقيقتها عقلانية، أو على الأقل عقلانية في مثل هذه الظروف. أرادت أن ينصبّ تركيزهم على شيء يفهمونه، ففكرت في شيء يعتبره معظم الأكاديميين الموجودين في الصالة تهديداً خطيراً لأمتهم يفوق التهديد المثير للشفقة الذي يمثله هجوم إرهابي صغير.

تابعت: «لقد فُقدت مخطوطة»، وهي تأمل أن ترى شيئاً من الراحة في أعينهم. لو قالت ذلك لدان، كان سيبدو عذراً واهياً، ولكن مثل هذا العذر سيساعد رواد المكتبة على فهم خطورة الوضع «لم نطلعكم على حقيقة الأمر في البدء، لأننا لم نرغب أن يحاول الشخص الهروب، نحن نريد تفقد حقائبكم... سنقوم ببحث شامل على الجميع، لذا لا داعي للهلع، لن يصاب أحد بأذى، اتفقنا؟».

فجأة، نظرت شقيقتها إليها وقالت: «مع ذلك، لا يمكننا أن نعدكم بذلك، إن عدم تعرضكم للأذى مرهون بالطريقة التي ستتصرفون وفقها، وحسن سلوككم، اتفقنا؟». خطت نان خطوة، وصوّبت المسدس صوب بطن بيل، فشهق أحد المحتجزين.

* * *

لم تعرف آنّا ما الذي يحدث، لقد رأت الارتباك الذي يبدو على المحتجزين الآن، وهم يحاولون مواكبة المعلومات التي يطلعون عليها: تدريب، تهديد إرهابي، مخطوطة مفقودة، الأمر يعتمد على الطريقة التي تتصرفون وفقها. لقد أصبح هناك مليون دليل على سوء الفهم وعلى الهوة التي تفصل بينها وبين شقيقتها. بدا الأمر وكأن سبعاً وعشرين سنة من التفاهم والاتحاد بينهما تنهار في غضون ثوانٍ. هناك ألف نحلة ترقص في جمجمة نان، ولكنها لم تتمكن من رؤيتها وهي تغادر القفير. من ناحية أخرى، كان فهمها أوضح لما يدور في رؤوس المحتجزين. لم يصدقوا تطميناتهما بخصوص أن هناك مخطوطة فُقدت،

بالنسبة إليهم لقد تحولت الشقيقتان إلى إرهابيتين. تساءلت إن كانوا يرون أن يدها التي تحمل فيها المسدس ترتعش قليلاً، ربما يعتقدون أن سبب ذلك هو دفق الأدرينالين، وهي التي لا تجد في نفسها الثقة على استخدامه. إنها واثقة أنها لا تستطيع استخدامه بالطريقة نفسها التي استخدمته فيها في حقل التصويب.

كانتا تمارسان الرماية في عطلات نهاية الأسبوع خلال الأشهر القليلة الماضية، من أجل أن تعتادا على صوت الرصاصات عندما تنفجر. لقد تذكّرت آنّا كيف أبدت شقيقتها فرحاً في كل مرة أصابت فيها طبقاً طينياً وما رافقه من انتشار للرذاذ الطيني. أما هي فلم توفق وإن مرة واحدة في إصابة أي طبق. لقد حصلتا على المسدسين من مزارع محلي، لديه صلة بإحدى المنظمات السرية. بين الحين والآخر، كانت آنّا تخرج المسدس من تحت السرير، وتضعه على السرير بجانب ملابسها وتحاول المقارنة بين حجمه ومقاس ملابسها. أما نان فقد تجوّلت عدة مرات في أرجاء المنزل، وهي تضع المسدس على حزامها بطريقة غير مبالية في محاولة منها للتعود عليه، مع أن ذلك أشعر آنّا بالقلق.

الآن، تشعر آنّا بالندم، لأنها لم تفعل مثلها، فنان تبدو في غاية الراحة وهي تشهر مسدسها. لقد بدت واثقة من أنهم لا يرونها مُقنعة، إذ كانت تتصبب عرقاً، كما أن القفاز الأبيض الذي تضعه من أجل التعامل مع المخطوطات جعل المسدس ينزلق من قبضتها. أخيراً، عندما نزعت القفاز، شعرت بسعادة غامرة عندما أحست بالملمس الصلب للسلاح الذي تحمله، وكيف تلاشى ارتعاش يدها بمجرد أن شعرت بالسيطرة. حتى أنها تذكّرت أن ما تحمله بيدها هو سلاح، وأن الأشخاص الذين يقفون أمامها يظنون أنها تنوي قتلهم به.

خططتا لسائر الاحتمالات، وهما تخططان منذ أشهر. لكنهما لم تخططا أن تكونا مسؤولتين عن حشد من الناس تحت تهديد السلاح، إلا بعد الانتهاء من إبين وذلك عندما لا يعود لديهما ما تخسرانه بعد أن تنتصرا، وعندها لن يهمهما إن ظهرتا بمظهر المذنبتين، لم تكن لديهما النية لتهديد أي شخص سوى إبين.

لكن الكاميرات لم تسجل أياً مما يحصل الآن. فجأة شعرتا بالذنب بخصوص دان، وكيف جعل سوء سلوكه ما ستقومان به أكثر سهولة، ولكنه قادهما إلى مسار خطير، والآن بما أنه لا يمكن رؤية أي شيء أو تسجيله، أصبح هناك احتمال أن تسلك الأمور مسلكاً خطيراً لم يكن لأحد أن يتخيّله.

الآن، لم يعد هناك أي مجال ليعتقد أي شخص أنه لم يكن متورطاً معهما، فبالرغم من جهودهما لإبعاده لم تبعداه، بل ألقتا به للذئاب.

* * *

بين الحين والآخر، كانت نان تكافح من أجل تذكّر إحدى الكلمات. كان الناس يقولون إن الأمر طبيعي. كانت تشعر أن كلمة صغيرة مثل كرسي أو حذاء تتساقط أحرفها، وكأنها أحرف في لوحة مفاتيح تخطئها أصابعها. لقد أزعجها الأمر، وأشعرها بوجود فراغات داخل جمجمتها. كان الأمر يستغرقها وقتاً طويلاً لإعادة ترتيب الأحرف، لتبدو لوحة المفاتيح طبيعية مرة أخرى. كانت ترى الأشياء، وتُفكّر في شيء صغير من الجلد توضع فيه القدم أو شيء خشبي قاسٍ تسند إليه الأرداف، ولكن تفكيرها هذا لم يكن كافياً لتذكّر الاسم. عندما كانت تضع قدمها في القارب الجلدي، من دون أن تتذكر اسمه، كان الفعل بحدّ نفسه يبدو غريباً بالنسبة إليها.

نصحتها المستشارة بقولها: «جدي مساراً للكلمة، انظري إلى الأشياء المرتبطة بها، وضعيها في السياق». في ذلك الوقت اعتبرت أن كلمة مسار غير مناسبة، لأنها تحتاج إلى حذاء من أجل السير في معظم المسارات. لكنها طوّرت الآن طريقة أو فنّاً. بجوار الباب هناك درج، وبجوار الدرج خرجت عبر خيالها بحثاً عن الكلمة، مدركة أنها مرتبطة بطريقة ما بما كانت تفعله. انطلقت عبر خيالها بسرعة خارجة من الباب، متجهة إلى الشاطئ، حيث تستطيع أن ترى مجموعة كاملة من الأشياء المرتبطة بالشاطئ: يتخلص منه الأشخاص من أقدامهم، بحيث يتركون مجالاً لأصابعهم لتلامس الماء، لقد كانت الكلمة لها

علاقة بالأقدام العارية؛ إنها حذاء؛ فرحت. ونتيجة لذلك تذكرت الشيء الآخر، رأت صفاً طويلاً منه على الرمال؛ كرسي؛ الشيء الذي توضع عليه الأرداف، الكراسي على سطح المراكب. لقد استعاد عقلها الكلمة عندما رأى قماش الكراسي المخطّط.

لكن الأمور ستزداد سوءاً، هذا ما قالته المستشارة، ولكنها لم تخبرها ما مدى السوء الذي ستصل إليه «لأنه في الحالات النادرة مثل حالتك، يجب إجراء مزيد من الأبحاث». نادرة! لا تزال تتذكر كيف سمعت الكلمة وقتها، وهي كلمة لن تنساها. لقد كانت نادرة؛ فريدة من نوعها. لم تكن قسماً من اثنين، لم تكن نصف شيء، كانت شيئاً كاملاً فريداً لم يكن هناك نسخة أخرى منه. في النهاية منحها مرضها هوية خاصة.

قات المستشارة: «في بعض الأيام، ستشعرين وكأن كل شيء طبيعي. لكن فجأة لن يعود الأمر طبيعياً، وبعد ذلك ستعود الأمور إلى طبيعتها، ولكن الفترات التي تفصل بين ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي ستقل حتى تتشابك في النهاية، وللأسف لن يبقى إلا القليل جداً مما يمكن فهمه. عليك أن تخبري المقرّبين، حتى يكونوا مستعدين لذلك».

بالطبع، لم تخبر أحداً. واليوم لم يكن الأمر سيئاً، فإذا أخذنا كل شيء بعين الاعتبار، فهي تذكرت معظم أجزاء الخطة، لم يغب عن ذهنها إلا أمر بسيط. بين الحين والآخر غمر الضباب الأبيض تفكيرها، فبدا لها مثل شاشة فارغة، هذا ما جعلها تستبق الأمور، قبل أن تتفاقم، وتفقد القدرة على التفكير المنطقي. أخذ الجهاز الخاص بدان، استعمال المسدس؛ كان من المنطقي القيام بذلك، ولكن ربما يُعزى الانزعاج البادي على شقيقتها إلى أنها لم تؤدِ المهام بالترتيب الصحيح.

تذكّرت الآن فجأة، بالطريقة التي نسيت بها فجأة، أن الخطة لم تذكر أن تصوب المسدس نحو زميلاتها. لكن يبدو أن شيئاً في ما قامت به صحيح. ألم

يكن هناك سبب وجيه سبق لها أن ناقشته مع آنّا وهو ضرورة خروجهما من المبنى سليمتين؟ لقد كان تهديدهن أمراً بالغ الأهمية، وهو بالتالي وسيلة لتحقيق النهاية السعيدة التي تسعيان إليها.

رأت بطرف عينها أنّ آنّا تحثها على المضي قدماً، لإخراج المحتجزين، ولكن لسبب لم تفهمه بدأت تصرخ وتصدر الأوامر على الحشد أمامها، ونظّمته في طابور بحيث أوقفت كل شخص إلى جانب آخر (لأنها لم تكن تحب الفوضى، وتفرّق الحشد في شتى أرجاء الصالة). أوقفت ليلي بجانب سمر، وأوقفت البروفيسور نيكولاس إلى جانب أكاديمي آخر لم تعرف اسمه، وطلبت من الفتاة الشقراء أن تقف إلى جانب صديقها الذي لم يكن يفارقها وبدا مثل ظلها، وأوقفت بيل بجوار موظفة الأرشيف كولين. وبمجرد أن أعادت تنظيم الفوضى في طابور أنيق شعرت بالسعادة، لقد أصبحت أمام نمط واضح المعالم، وهي تفهم الأنماط، فهي تبقي واقعها آمناً.

لكن الوعد الذي قدّمته لهم آنّا بالحرية أدخل الصالة في دوامة من الفوضى. فلم يكف الأكاديميان عن السؤال عن المخطوطة التي سببت لهم كل هذا الإزعاج، وأفرغت الشابة وصديقها حقيبتيهما على الأرض ليظهرا أنهما لم يكونا يخفيان فيهما شيئاً، وشرعت كولين بالصراخ، بمجرد أن وضعت نظارتها، فبدا ردّ فعلها هذا متأخراً، فهي تعلم أن الشقيقتين لا تحملان مسدسين مزيفين. امتلك أحد الأشخاص ما يكفي من الجرأة ليسأل لماذا أوقفتا في الطابور كل شخص إلى جانب آخر، واقترح آخر أنهما سيعدمان كل اثنين معاً، وهذا ما أدى إلى ارتفاع صراخ كولين حتى وصل إلى الشرفات.

قالت آنّا: «لن يُعدم أحد، هل يمكننا جميعاً أن نتوقف عن الثرثرة؟ يجب أن نتأكد من أن الجميع موجودون هنا قبل أن نمضي قدماً، أليس كذلك يا نان؟ هذا ما تفيد به الإجراءات؟ أليس كذلك؟ كولين، من فضلك، هل تستطيعين التحلي بالهدوء؟ ليس هناك حاجة لبث الخوف في نفوس الجميع».

تحولــت كوليــن من الصــراخ إلى التنهد وهي تقول: «لســت أنا من يبث الخوف، بل أنتما...يا إلهي... يا إلهي...». مكتبة سُر مَن قرأ

أرادت نان أن تسكتها، وشعرت أن لا خيار لديها سوى أن تصوب مسدسها نحوها، في الوقت الذي شعرت فيه أنها تستنشق الهواء ملء رئتيها تمهيداً لإطلاق صرخة أخرى، عندها بدا أن الهواء بارح جسدها، وهذا ما جعل منها مرنة الجسد وفي الوقت نفسه عاجزة عن تحريكه. لقد تقوقعت على نفسها، وكأنها محارة، وارتعشــت بجوار بيل التي لم تبدُ مبالية بكل ما يجري، حتى أن ابتســامة خفيفة ارتسمت عند زاوية فمها. همست بيل لنان: «تباً، لم يسبق لي أن استمتعت إلى هــذا الحــدّ منذ زمن، يا لها من فكرة رائعة، هل هذه هي الطريقة التي نرفع فيها تصنيفنــا الأمني، لقد عرفت أنهم يخططون لشــيء كبير، لكن اختياركما للقيام بذلك فكرة عبقرية، أليس كذلك؟».

\اختيار كما\. لقد طاردتها الكلمة وفجأة رأت نفسها وآنّا بالطريقة التي رأتهما فيها بيل. بدتا مألوفتين، وغير مهددتين. لا يبدو ما قامتا به يُشكّل تهديداً حقيقياً، حتى أن أي شيء مما قامتا به لم يُسجل في ذاكرتها.

أدركت آنّا ما رمت إليه بيل بكلماتها تلك، ورأت أن قبضتها ترتخي على المسدس. لا بد أن أختها اعتبرت كلماتها حبل نجاة، وذلك عندما اعتقدت أن أولئــك الذين يعرفونهما أو يظنــون أنهم يعرفونهما جيداً، كانوا يكتبون قصتهم الخاصة بشأن ما يحصل. لم يكن عليهما الآن سوى الاعتماد على ما يعتقدون ليهدئا ما يشــعرون به من ذعر، وليجعلاهم يعتقدون أنه جزء من تدريب أمني، حيث اســتعين بأسخف الأشــخاص لتقديم نموذج عن التهديد. فهم لم يريدوا سوى توضيح الفكرة.

لكن نان لم ترد أن تنغمس في هذه الواقعية، حتى عندما قادتهم جميعاً إلى الخارج، أرادت منهم أن يأخذوها على محمل الجد، وهكذا عندما رأت أن آنّا

ترخي قبضتها على مسدسها، أسرعت لاستعادتها.

«نان»، توسلت إليها أختها بهدوء. من فضلك، نحتاج فقط إلى إخراجهم. نحن نضيع الوقت.

استدارت نان لمواجهة الحشد مرة أخرى، مستعدة للتحدث، لكنها أدركت أن الفراغ كان يعود، والأسماء والحروف والمنطق تسقط إلى الهاوية. سرعان ما تحققت من قدرتها على تسمية كل شيء تراه أمامها: المسدس، المكتبة، والناس. نظرت إلى أبعد من ذلك حتى أنها تذكّرت اسم التمثال الموجود في الجهة البعيدة من المكتبة وهو للسير جون ويليامز، مؤسس المكتبة. تذكرت السبب الذي جعلهما تأتيان إلى هذه الصالة، لكنها تذكرت بعد ذلك أن هناك أشياء فعلتها مؤخراً ولم تكن آنّا تعرف شيئاً عنها.

تذكّرت كل هذا، ومع ذلك، عندما نظرت آنّا إليها، لم تستطع نان أن تتذكر ما كان من المفترض أن يحدث بعد ذلك.

إبين

11:45 صباحاً

بعد جولة أخرى من الطرق عديم الجدوى على الباب، أسند إبين رأسه إلى الباب الثقيل الذي لا مقبض له، غير قادر على مواجهة سخرية الغرفة الفارغة خلفه. بدا له الآن وكأن ساقين قد نمتا لتمثال إيلينا النصفي، بدت له وكأنها تتقدم نحوه كما يتقدم الشرير في المسرحيات الهزلية.

كان يتأمل في اسم إبين انتهى، ويتساءل إن كان له أي دلالة. في نهاية المطاف، استنتج أن الأمر على الأرجح كان مجرد هراء بيروقراطي لا طائل منه، أخفي باعتباره صورة تشبيهية أدبية. على أي حال، هذه هي الطريقة التي كانت تسير بها الأمور. في هذا البلد. ألم يقل فرانكتون إنه قريباً لن تكون هناك كتب على الإطلاق، حتى في الأرشيف، وسيتوقف الجميع تدريجياً عن الوصول إليها، وسرعان ما سيُكتفى بتزويد الناس بملخصات فقط، لتخصيص الوقت لقراءة الكتب القيّمة؟ ألم يقل إن الاختصارات ستُستخدم بشكل متكرر أكثر بكثير للإشارة إلى جميع أنواع الأشياء، ما سيُقلل من الفترة الزمنية التي تستغرقها من الجملة للجملة. لقد زعم بطريقة دراماتيكية أن «الأدب كما نعرفه سيذبل ويموت، وسيكون موتاً بطيئاً، حتى أننا لن نلاحظ حدوثه».

طرد إبين هذه الأفكار من رأسه. لم يعد يستطيع أن يفكّر في موت الأدب الآن، كما لا يستطيع أن يفكّر في جثته الرمادية المتحللة التي ترقد على السرير في كتاب إيلينا. حوّل انتباهه مرة أخرى إلى تمثالها، ورغم استيائه، كان يستمتع

بحقيقة أنها لا تزال موجودة، من خلال رواياتها، ومن خلال رسائلها ومذكراتها؛ هناك دليل ملموس عنها على الورق، كل فكرة، وكل تأمل عبّرت عنه. هذا يعني أنهـا لا تزال حيّة طالما لا تـزال موجودة على الورق، وكان من الصعب تخيّل طريقة لمحوها. الحياة المكتوبة كانت حياة في الذاكرة. على عكس إبين الشاعر، الذي لم يبذل قصارى جهده لترك أي دليل حقيقي على وجوده.

لكـن حاجته المفاجئة إلى المرحاض أشـعرته مرة أخرى بالقلق، وجعلته يدرك أنه ليس من الطبيعي، أن يبقى عالقاً هنا طوال هذا الوقت. لقد تذكّر رؤية رئيسة المكتبة في الأخبار قبل بضعة أسابيع وهي تتفاخر بقدرة الإغلاق الفائقة للمكتبة، وكيف سـتحمي نفسـها من أي نوع من الهجوم أو الغزو. ماذا لو كان أسره له علاقة بالأمن؟ ماذا لو كان هناك حريق في المبنى؟ نظر إلى نظام إخماد الحرائق الذي فوق رأسه، وتخيّل أنه يرى نهراً رمادياً رقيقاً من الدخان يتسرب إلى الغرفة، ويراقبه وهو ينجرف نحو جهاز الاستشـعار، وهو يعلم أنه لا يوجد شـيء يمكنه فعله. ستكون نهايته طويلة وسيتعذب، محروماً من الأكسجين في غرفة إيلينا. تخيّل أن يحدث هذا، وتخيّل أن رئيسـة المكتبة تقول: «مع كل ما حصل، المهم أننا حافظنا على الكتب».

قـال وهو يدير رأسـه لمواجهة إيلينـا مرة أخرى: «سـتحبين هذا، أليس كذلك؟».

فـي تلـك اللحظة بدت له وكأنها تضحك عليه ضحكاً حقيقياً وهي تقول: «سنكون معاً مجدّداً، حتى الموت لن يفرّق بيننا».

مـاذا لو كان هناك إرهابيون فـي المبنى؟ إرهابي. تردد هذا المصطلح في رأسه مثل أزيز حشرة. هذا المصطلح الذي يبرز إلى الوجود كل شهرين أو أكثر ثم يختفي مجدّداً حيث ينسـى الناس أمره حتى يذكّرهم به تفجير مبنى آخر، أو اغتيال شخص آخر، أو تفجير في حشد آخر. تذكّر أن فرانكتون قال ذات مرة شيئاً بهذا الخصوص: «في الواقع، إنها هدف مثالي، لأنها المكان الأخير الذي تتوقع

أن يهاجمه الإرهابيون، ولكنه الهدف الأمثل إذا أردت أن تقضي على تراث أُمّة. فكّر في الأمر، إنها تحتشد بالموظفين الحكوميين، والبوابون فيها ينامون نصف دوامهم. سيكون من السهل الوصول إليها، سيكون من السهل الوصول إلى الأنفاق تحت الأرض وتفجير المبنى. لكنني لن أتفاجأ إذا كانت الحكومة هي من ستقف وراء ذلك، أعني أن تسعى إلى القضاء عليها من الداخل».

لم يكن إبين يعرف ما يعنيه فرانكتون بهذا، لكنه خشي أن يبدو غبياً، لذا أومأ برأسه ووافق. كانت الفكرة الآن تحوم على هامش وعيه. تحاول القضاء عليه من الداخل.

تمتم في نفسه: «هذا صوت القلق يا إبين». لا توجد مؤامرة، ولا قنبلة، ولا حريق، ولا إرهابي. من المحتمل أن موظفة الأرشيف قد تأخرت لأن أحدهم كان يسألها عن كتيب يعود للقرن السادس عشر، ومن المحتمل أن البواب كان يتجاهلك من أجل أن يُثير أعصابك.

لن يتجاهلوه إلى أجل غير مسمى، ففي نهاية المطاف سيصلون إليه، ربما كانت المكتبة تشبه، إلى حد ما، جميع المستشفيات في البلاد الآن؛ عليك أن تكون على وشك الموت قبل أن يعتنوا بك. لن يعتبروا حالتك طارئة إلا عندما يتدلى رأسك من جسدك.

لم يكن أمامه سوى العودة إلى بحثه ومواجهة السنة الأخيرة من حياة إيلينا. لقد كان مجرد كتاب فارغ خالٍ من الصفحات؛ إن الملاحظة في الملف توضح أن المخطوطة الفارغة جرى التخلص منها، وأُرسلت الصفحات إلى المختبر لفحصها وتخليصها من الطفيليات.

لكنها كتبت الكثير في العام السابق. كان من الصعب قراءة يومياتها كلما اقتربت من موتها؛ كانت كتابات امرأة تفقد نفسها مع كل مقطع. لكنه واصل القراءة، فهو يعرف في أعماقه أن هذا هو السبب الرئيسي لمجيئه، ليرى إن كان هناك أي حقيقة في رسالة انتحارها المنشورة، حيث زعمت أنه هو وسمادزهود،

هما من دفعاها إلى الانتحار.

اليوم الأول من العام الجديد. يبدو الأمر وكأنه اليوم الأخير من نواحٍ عديدة؛ لأنني أعتقد أنه ربما يكون آخر عام كامل في حياتي. لقد مرت السنوات القليلة الماضية، وكأنني أراقبها تمر كالسحاب أمام نافذتي، وأنا محاصرة على الجانب الآخر. أيامي عبارة عن عملية غريبة لمحاولة تجاوز الزجاج، لأشهد شيئاً حقيقياً، ولكن محاولاتي تبدو مستحيلة. بعد ذلك، حتى عندما أتمكن من تخطي الزجاج يبدو الأمر وكأنني آخذه معي، وكأنه مثبت بشكل دائم على مُقلتيّ. وكأنه يبلور فوق عينيّ. إنه الشعور الأكثر إثارة للقلق. يبدو كل يوم وكأنه قد انتهى للتو، إلى أن أصبحت غير متأكدة من أنني أمضي قدماً فعلياً. هل كنتُ؟ هل ذهبتُ؟ هل سأكون هنا مرة أخرى؟ هل أنا أراقب الحياة فقط، ولست جزءاً حقيقياً منها؟

كان يقرأ يوميات شهر يناير. وجد أنها تمكّنت من التغلب على كآبة شهر يناير؛ وبدا أنها تتحسن، وتعيش وتشعر بالأشياء مرة أخرى. ولكن بعد ذلك، في 23 يناير:

لقد أبقتني الكلمات البغيضة والفظيعة في الداخل مرة أخرى. حبستني خلف الزجاج؛ إلى أجل غير مسمى على ما يبدو. هذا يكفي ليجعلني غير راغبة في الحياة.

أشعرته هذه الكلمات بالقشعريرة أسفل عموده الفقري. كان يعرف هذه الكلمات جيداً. لقد اقتُبست في مواقع مختلفة. في مقالات إخبارية مختلفة بعد انتحارها. لقد زوّدت عائلتها الصحافة بمقتطفات مختارة من يومياتها.

سماع تلك الكلمات، ومعرفة أنني لم أعد أمتلك القوة التي كنت أتمتع بها يوماً تشعرني أن الحياة لم تعد ذات معنى، لقد كان حريصاً كل الحرص على التخلّص مني، ربما يجب عليّ أن أعطيه فرصة لينتصر ويحقق ما كان يريد تحقيقه.

شعر إيبن بالاستياء. صحيح أن المراجعة التي كتبها مطلع العام كانت

الأقسى لها؛ لقد جمعت قصصها القصيرة ونشرت إلكترونياً، وقد أمضى وقتاً طويلاً في مراجعة كل قصة بعناية، باحثاً عن نقاط الضعف، والتناقضات التي يستطيع أن يعثر عليها، في بعض القصص وجد انتقادات صريحة لمجموعة سماذرهود. حيث لقي جميع الحاضرين في مؤتمر أدبي خاص بالذكور حتفهم في انفجار، أو حيث غرقت مجموعة من الصيادين الذين لا يعرفون شيئاً عن طرق البحر من دون أن يتركوا أثراً أثناء محاولتهم النجاة أو خلال سعيهم إلى اصطياد سمكة سمعوا عنها ولم يكن لها وجود في الواقع.

لقد حفّزت كلمات فرانكتون إبين على الاستمرار وهو يكتب مراجعته؛ كان ينفعل وينتقد غياب أي مراجعة صادقة لأعمال إيلينا في هذا البلد الصغير، وكيف كان الجميع خائفين من الإساءة إلى إيلينا العظيمة، لأنهم كانوا قلقين من أن يصبحوا موضوعاً لرواياتها، وكيف أغدقوا بغباء كل الثناء عليها. لقد كان ذلك بمثابة تأليه لشخصها، واعتبارها معصومة عن الخطأ. كم كان من السخيف اعتبار تأملاتها - التي لم يكن من المفترض أن تؤخذ على محمل الجد بالتأكيد - الأساس للتغييرات داخل مجتمع البلد الصغير، وكيف كان يُنظر إلى أعمالها على أنها مؤثرة على المستوى السياسي، وكيف نظّمت الأمر برمته تقريباً كالسياسية نفسها، لكي تتمكن من التأثير في المجتمع الذي تعيش فيه. لم يكن سراً أن رئيسة الحكومة وإيلينا هما صديقتان قديمتان، وكثيراً ما كانتا تُشاهدان وهما تشربان معاً على شرفة شقة رئيسة الحكومة الفخمة المطلة على الواجهة البحرية في العاصمة.

كان منهكاً عندما انتهى من المراجعة، كان منهكاً تماماً؛ وكأنه شارك في سباق الماراثون. لا يعني ذلك أنه يعرف ما شعرت به؛ لكنه تخيّل أن الجهد العقلي الذي عانى منه يمكن أن يتوافق تماماً مع الجهد الذي يبذله عداء المسافات الطويلة، لأن عقله تمدد في كل الاتجاهات أثناء الكتابة. لقد شق طريقه إلى الأمام من خلال تسلّق الطموح، وسار بنفسه عبر تضاريس الشك

الذاتي غير المستوية، وسابق بسرعة إلى خط النهاية للاعتراف بهويته، حتى عندما كانت الحشود على جانبي دماغه تصرخ وتعترض عليه وتهينه. لم يتوقف ليعيد القراءة، أو حتى ليفكر. لقد كان فخوراً بنفسه لأنه كان قادراً على أن يكون موضوعياً، وصادقاً، وحتى وحشياً عندما تقتضي الحاجة. كان مقتنعاً تماماً بأنه عبّر عن رأي المئات، إن لم يكن الآلاف.

بنقرة واحدة أرسل المراجعة، لسبب ما لم يفكر في الأمر مرة أخرى، على الرغم من كونه أفظع شيء كتبه على الإطلاق. لقد عانى مع المراجعات الأقل إدانة طيلة أسابيع، ولكنه لم يعانِ مع هذه المراجعة. هذه المراجعة، بطريقة ما، كانت صوته. لقد أبرزت هويته للمرة الأولى في حياته، وكانت آخر مراجعة يقوم بها لإيلينا كما تبيّن.

لكنه لم يتوقّع أن يكون لها هذا التأثير، فتُخمد صوتها إلى الأبد بأسوأ طريقة ممكنة. عندما حدث ذلك، وعندما بدأ القراء يتحدثون عن أن مراجعاته تُشكّل جريمة كراهية، أخبره فرانكتون أنه تمادى كثيراً، على الرغم من أنه هو الشخص الذي وافق على نشر مراجعته في مجلته الإلكترونية. مثله تماماً، استُجوب فرانكتون هو الآخر بعد وفاة إيلينا، لكنه تملّص من الأمر على أساس أنه كان طريح الفراش وقت النشر بسبب الوباء العظيم، وألقى باللوم على مساعد محرر عديم الخبرة بخصوص هذا الخطأ الفادح. بعد ذلك أُسقطت الدعوى المرفوعة ضد إبين أيضاً. سقطت من الناحية القانونية، ولكن ليس من الناحية الأدبية. لا يزال معروفاً باسم القاتل الأدبي، بالنسبة إلى أهل البلدة. نظر إلى الأسفل حيث تابعت إيلينا:

عندما قرأت تلك الكلمات بالأبيض والأسود، جذبتني إلى الأسفل، نزولاً إلى الأعماق. ليس هناك ما أفعله الآن سوى الاعتراف بأنه قد قضى عليّ، ولن أعود إلى سابق عهدي مرة أخرى.

جعله ذلك يذرف الدموع وهذا لم يحدث عندما قرأ هذه التعليقات على

الإنترنت. لقد رحل إبين الغاضب، المليء بالشـجاعة، والذي يلهث عند خط النهاية بعد الانتهاء من مراجعته، وحلّ مكانه شخص غير مستقر، يرتدي بنطالاً مبلّلاً بالبول، محبوساً في غرفة يبدو أن لا مفر منها. زنزانة تغطي جدرانها صور المـرأة التي دمّرها. إنه مطهر أدبي صنعه بيديه. أغمض عينيه، واسـتعد قبل أن يقرأ بقية الاقتباس، لأنه كان يعلم كيف سـينتهي الأمر: لقد قضى إبين بريثرتش عليّ، وجعلني أُغادر هذه الحياة.

لم يكن قد رأى تلك الكلمات المكتوبة بخط يدها بعد، ولم تتح له فرصة رؤية الانفعال وميلان حروفها وزواياها. لقد شعر بالرعب والفضول لرؤية اسمه مكتوباً، محكوماً عليه بالحبر إلى الأبد، قبل سنة من وفاتها. حاول أن يتذكر ما قالته له المعالجة. كان عليه أن يواجه ما فعله قبل أن يتمكن من تقبّله. فقط من خلال التقبل سيتوقف عن الذعر، والندم، وسيرتاح من الأفكار التي تجتاحه.

أنـا أتقبـل ما يعتقد الآخرون أنني فعلته، هذا ما قاله في نفسـه. لكنني لم أفعل ذلك.

أخيراً، فتح عينيه ونظر إلى الأسـفل، متوقعاً أن يرى اسـمه مكتوباً بشكل اتهامي باللون الأرجواني الداكن الذي تشتهر به إيلينا، وهو الاسم الذي زعمت أنه تسـبب في سـقوطها. اعتقد أنه إذا لم يكن هناك شيء آخر، فسيُخلد اسمه، بغض النظر عما سيفعله من الآن فصاعداً.

لكن اسمه لم يكن مكتوباً في الوثيقة الأصلية التي اقتُبس عنها، كما يُفترض، في المقالات الموجودة على الإنترنت. لم يكن اسمه مكتوباً على الإطلاق.

دان

12:00 ظهراً

لم يشعر دان بالسعادة حين رأى مقر البوابين. إنه هناك مشرق عند نهاية السجادة الحمراء. وكان كينفين ودورا في إثره، يحثانه على التباطؤ في الوقت الذي كانت فيه دورا تكافح في التحرك على الدرج. صرخ عليهما كينفين قائلاً: «يعلم الجميع أنه يجب عدم استخدام المصاعد في حالات الطوارئ». وهذا سبب وجودهم هنا.

دخل كينفين ودورا خلفه إلى مكتبه ونظروا إلى الشاشات التي تعرض صور كاميرات المراقبة الأمنية أمامهم.

سألته دورا بعد أن رأته يقوم بدورية في صالة مطالعة مزدحمة: «كيف يمكنك أن تكون في مكانين معاً في الوقت نفسه؟».

«والآن أنت هنا!». صرخ كينفين، في الوقت الذي كانت فيه عيناه تنظران إلى صورة دان الذي يتجول في المقصف، كان الجميع يعرفون أنه يستحيل الانتقال من صالة المطالعة إلى المقصف في غضون ثوانٍ. ولكن بدا دان أنه يُشكّل استثناء الآن، وأمل ألا يكون أحد في العاصمة يهتم بالمراقبة.

شاهد نسخة منه تغادر المقصف، وبما يشبه المعجزة ظهر جالساً خلف مكتبه، حيث هم الآن. كانوا ثلاثتهم يتأملون دان الافتراضي، الذي كان وجهه يختفي خلف كتيّب دليل الأمان. في الحقيقة، نظرت دورا خلفها بحثاً عن دان الآخر.

سألت: «لماذا لا أظهر في الصورة؟ هل متّ؟».

قال كينفين: «من المؤكد أن دان سـيكون ميتاً عندما يكتشـف كبير البوابين ذلك». سأله مستغرباً: «كم استغرق الأمر من وقت حتى قمت بهذا؟!».

احتج دان: «أنا لم أفعل شـيئاً. في بعض الأحيان نعرض لقطات قديمة»، وهـو يعدّل أدوات الضبط والتحكم، في محاولة منه للعودة إلى الوقت الحالي ليتمكن من رؤية ما الذي يحدث، ولكن الأمر بدا مستحيلاً. لقد كان ذكياً جداً عندما عدّل البرمجة بما يخدم مخططه. فقد تخيّل أن شـخصاً في العاصمة قد يسـعى إلى تحديث الشاشـة. لذا، برمج النظام ليعرض نسـخاً معدلة قليلاً من اللقطات، لكن الشيء الوحيد الذي لم يتوقّعه، هو أن يضطر شخصياً إلى رؤية اللقطات في الوقت الفعلي، ولكنه لا يستطيع لأنه أفسد البرمجة، بحيث أصبحت جميع الشاشات الأربع والعشرين تظهر الآن أربعة وعشرين داناً مختلفاً، وكان الجميع يعرفون أنه من البديهي ألا يستطيع أن يكون في كل الأماكن في الوقت نفسه، حتى أن كاميرا حزام البواب كانت تبث بثاً مباشراً يظهره وهو يقوم بجولته المعتادة، وتظهره وهو يمرر جهازه الخاص أمام كل شريط استشعار، في الوقت الذي يدندن فيه فرحاً بما يشير إلى أن كل شيء على خير ما يرام.

قال كينفين: «حسناً، ليس هناك مخرج من هذا الآن، أليس كذلك؟».

صـاح دان، وهو يضغط علـى كل الأزرار التي يمكن أن يفكر فيها لإعادة تشـغيل النظام: «اصمت فحسب، لسنا بحاجة سـوى إلى إعادة تشغيل النظام، إغلاق النظام وإعادة تشـغيله». ضغط بعد الأوامر التي حمى نفسـه منها. فجأة ظهر دان وهو يُسرع نحو صالة المطالعة الرئيسية.

قـال كينفين وهو ينظر خلفه: «لهذا السـبب لا يمكـن توظيف المجرمين وتوقع أن تصبح الأمور أفضل».

جمد دان كل شاشة. كل الصور في هذا القسم كانت تعود لأسابيع خلت، إنه المكان الذي يتوق للعودة إليه. لقد ظهر الآن على سـبع شاشـات وعرضت

كل واحدة منها نســخة مختلفة منه. إنه وحده، يقوم بجولاته، باســتثناء إحدى الشاشــات التي أظهرت صورة ظلية لإحدى موظفات المكتبة التي كانت تسـير خلفه، وعندما تفحص الشاشة عرف من هي. إنها هي، ولكن الصورة تعود لفترة سابقة للقائهما، نفس العينين الباردتين والقاسيتين.

قال كينفين: «هذه نان أدوينغ، تبدو متيّمة بك».

هل كان اسمها نان؟ لقد تبعته في كل مكان توجّه إليه، ولاحظت ما الذي يغلقه والطريقة التي يغلقه بها. وفجأة حانت لحظة لقائهما. رأى نفسه في الطابق السفلي الذي يضم غرف الأرشيف، وهو يمد يده ليغلق أحد الأبواب التي ظن أن أحد الموظفين المهملين نسي أن يُغلقه وتركه مفتوحاً طوال الليل. ولكنه سمع صرخة من الداخل نبهته إلى أن هناك أحداً في الداخل، فأعاد فتح الباب مجدّداً، ليجدها تمسك ببعض المخطوطات، وتضحك لأنها ظنت أنه كان سيغلق عليها ويتركها تموت هناك.

لكن بالنظر إلى هذا المشــهد مرة أخرى الآن بحركة بطيئة، والتنقل ذهاباً وإياباً على طول اللقطات، استطاع أن يرى أنها لم تكن تعمل هناك على الإطلاق في ذلك الصباح؛ في الواقع كانت تجلس هناك في الظلام منذ الساعات الأولى من الصباح، منتظرة إياه، حتى تتمكّن من الانقضاض عليه.

الآن، وفقــط الآن، عرف أن كل ما حصــل بينهما-كل نظرة، وكل إيماءة، وكل لحظة من الحميمية- خططت له بعناية، بحيث يحصل بالطريقة التي حصل فيهــا، وهــو ما كان غافلاً عنه تماماً. مع أنه ظن أنه هو من اتخذ تلك القرارات، وأنــه هــو من بحث عنها بعــد أن عثر عليها في الظلام، وأنــه هو من قاد تلك المخلوقة الخجولة من الظلام إلى النور. كان يفتخر بنفسه لأنه عزز لديها إرادة الظهور أمامه وأمام الآخرين، وجعلها تجرؤ على القيام بما لم يســبق لها القيام به، وتكشــف شــيئاً ســرياً منها. ولكن الآن يتبين له أن كل ذلك لم يكن سوى هراء، فلم يحدث شيء بينهما، بل كان هناك تنفيذ لسيناريو سبق لها أن كتبته.

أغلق الشاشـــات، وحاول أن يُفكر، ولكن الأمــر صَعُب عليه، لأن القنب والتوابل كانا يســحقان خلايا دماغه، ويســقطانه كما تسقط القوارض في ألعاب الفيديو، وهذا ما حال دون قدرته على ربط الأحداث ببعضها، تذكر كل ما وعدته به اليوم، حيث سيستطيعان ممارسة أي جنس يرغبان فيه، وفي أي مكان يريدانه. لقد كانت تخدعه من أجل أن يجهز الكاميرات بالطريقة التي جهّزها فيها. لكن ما هدفها من ذلك؟ فكّر في الطريقة التي كانت تتبدل فيها مشاعرها بين السخونة والبرودة، وكيف كان يظهر شيء إيجابي في عينيها عندما تصبح نظرتها باردة.

استدار إلى كينفين وسأله: «هل هي...؟ أعني... هل هي تعاني من مشاكل ما؟!».

«ليس أكثر من أي شــخص يعمل في هذا المكان اللعين» قال وهو يحاول ضبط الشاشـــات بنفســه «هل أنت متأكد أنه ليس هناك شــيء بينكما، أراهن أن هناك شيئاً، فأنت خنزير قذر».

أبعد دان يد كينفين، وأغلق النظام بأكمله.

لقد أدرك أنه في ورطة بغض النظر عما يفعله الآن. ربما يكون كبير البوابين الآن في وسط عرض تقديمي، يُظهر فيه مقدار تطور كاميرا حزام البواب حيث يســمع صوت دان يرحب بالرواد، بينما هو في الســاعات الثلاث التالية يؤدي مهامه بسرعة ستجعل أي بواب يفخر في نفسه. سيعرف كل شخص في المبنى الحكومي، وســيبلّغ كبير البوابين الســلطات. بســرعة تفحص دان مكان كبير البوابيــن فتبيــن له أنه في القاعة الكبيرة، هذا ما أشــار إليه الدبوس الظاهر على الشاشة عندما طلب منه أن يحدد موقعهم. ربما يستمتع كبير البوابين الآن بوجبة طعــام، ولكــن دان فكر أن الأمر ربما يكون أكثر إيجابيــة ويكون كبير البوابين يحتســي كأســاً من النبيذ وبالتالي سيكون آخر ما يفكر فيه هو مراقبة ما تعرضه الكاميرات الأمنية. قال كينفين: «حسناً». كاد دان ينسى وجوده، وأنه ملزم بتقديم إجابة للشخصين اللذين يجلسان إلى جواره «هل ستخبرنا بما يحصل أم لا؟».

«أجابه دان: «أنا لا أعرف... لا أستطيع حل المشكلة».

عندها صرخ كينفين في أذنه: «أي نوع من البوابين الهواة أنت؟».

سألته دورا: «لا يزال الهدوء مخيماً أليس كذلك؟ هل أنت واثق أن أحداً لم يمت؟».

شعر دان الآن أنه على وشك أن يفقد وعيه، وشعر بتلاشي طاقته، فكّر في سره، اللعنة على سيجارة القنب والتوابل. في العادة عندما يحصل له ذلك، كان يستلقي على الأرض ويتنفس بهدوء مركزاً على أصغر النقوش في السجادة حتى يستطيع التحكم في نفسه، وتستطيع أعضاؤه الداخلية أن تعود إلى سابق عهدها. لقد تخيّل الرعب الذي يحصل في أجزاء أخرى من المبنى، وكيف كانت تستخدم جهازه الخاص، لغرض لا يعرفه إلا الله. ربما كانت تريد أن تنتحر بطريقة علنية أمام الرواد، لذا أرادت أنه تبقيه خارج المبنى حتى لا يستطيع إيقافها، وربما تريد أن تقل الرواد معها. لم يسبق له أن فكّر بمثل هذا الأمر، لقد كانت المدارس، ومراكز التسوق وغيرها من الأماكن أهدافاً للإرهابيين في الدولة المجاورة. هل هذا ما هو عليه الحال الآن؟ فكّر في تلك الأرواح البريئة التي يفترض أن تكون شغله الشاغل الآن، ولكنه أدار لها ظهره، واختار التوجه لشرب سيجارة القنب بدلاً من ذلك.

تمتم هامساً: «يا إلهي، يا إلهي...، وهو ينظر إلى السجادة الحمراء التي تخيّلها دماً الآن، وتخيّل الدم يتجمع بالقرب من حذائه «لقد ارتكبت خطأ كبيراً وأهدرت وقتاً طويلاً».

قال كينفين: «صحيح، هذا ما فعلته».

قالت دورا وهي تمد يدها إلى جيب مئزرها: «خذ هذه، وأخرجت منه ثلاث كعكات صغيرة ملفوفة بالسيلوفان. لا داعي للمبالغة في رد الفعل، يا عزيزتي. إنه مجرد انخفاض في نسبة السكر في الدم. هل تريد أن تأكل شيئاً صغيراً؟ لا أستطيع أن أعد لك الشاي لسوء الحظ قبل أن يعود التيار الكهربائي».

سمع كينفين يقول: «يا إلهي، انظري إلى حاله!».

رأى كيفنيـــن ودورا يبتعـــدان في خط الأفق، ظهرا له وكأنه ينظر إليهما من خلال ثقب مفتاح، أبعد عينه عنهما ونظر إلى السجادة، التي لم تعد طريقاً تغطيه الدمـــاء بل بدت ناعمة وجميلـــة وكأنها فراش ناعم. أبعد عينيه وهو يفكر بأخذ قيلولة ولكن كيفنين نظر إليه وبدا أنه يقول له: إياك أن تفعل هذا أيها الســـخيف فنحن لا نلعب.

إن لم يكن أخذ قيلولة ممكناً فعليه أن يُفكر بطريقة أخرى يتغلب من خلالها على الشعور بالإغماء. لطالما ساعده أن ينظر إلى جسده وكأنه آلة، مجرد قطع مجمّعـــة بعضهـــا مع بعض، ولكن بمجرد أن فكّر بأن جســـده مؤلف من أجزاء مجمّعة، بدأ دماغه يفكر بطريقة مروّعة.

خاطب نفســـه: «يجب عليك أن تتجاوز البرنامج، فكل شـــيء موجود في المكونات». فكّر في نفسه متذكراً تكتيكاً آخر، بما أن قدميه لا تزالان متصلتين بجسده، فكل ما عليه الآن هو برمجتهما للتحرك إلى الأمام، وعندها يتحرك عقله بما في ذلك دماغه إلى الأمام وفي الاتجاه نفسه.

قال وهو يرفع قدميه إلى أعلى ويديرهما حتى شـــعر بتدفق الدم يعود إلى جســـده، ليوقظ دماغه من سباته: «يجب أن أتجول حول المبنى لأرى بنفسي ما الذي يحدث، ربما لا يعدو الأمر كونه خللاً في النظام. من الأفضل لكما البقاء هنا».

قال كينفين: «تباً لك، سنرافقك»

قال: «حسناً، ولكن علينا أن نتحرك ببطء».

قالت دورا وهي تمضغ قطعة من الكعك: «حســـناً، من حســـن حظك أنني لا أســـتطيع أن أتحرك أســـرع، والآن ركز على المهمة التي بين يديك أيها الفتى الصالح».

لقد تمكن الآن من أن يفتح عينيه أكثر، ومع كل خطوة يخطوها كان يبدو

أشد شكيمة. إذا استمر بالمضي على هذا النحو، وكأن لا صعوبة تعترض طريقه، سيكون بخير. تابع تقدمه على السجادة الحمراء وخلفه كينفين ودورا، فتح ذراعيه على وسعهما، لتكونا بمثابة الدرع الذي يحميهما، لكن في حال وقع حادث عليه أن يحميهما ويعطي الأولوية لحياتهما وفقاً لما تنص عليه القاعدة رقم 556 من كتيّب الأمان. ما زال الأمر برمته يبدو غير واقعي، وكأنه يؤدي دوراً، كأنه يسير على حبل السيرك، ودائرة الضوء تحيط به.

مع كل خطوة يخطوها كان يتبين له أن ليس هناك من صعوبة.

سأله كينفين: «هل ترى شيئاً؟». كانوا على بعد بوصات من باب قاعة المطالعة الشمالية، هناك أمر يحدث. توقف، وقبل أن تتاح له الفرصة أن يطلب منهما الفرار، سمع صوت نقرة، وفتحت البوابة الأوتوماتيكية وخرجت منها امرأة-إنها تلك التي كان يمضي معها الوقت في الأرشيف- نان، وفق ما أسماها كينفين، وهي تتقدم حشداً من الناس، وتحمل بيدها نسخة كبيرة الحجم من الكتاب المقدس. قاد كينفين ودورا إلى فراغ بين عمودين أبيضين ووقف أمامهما، على أمل أن يحجبه العمودان عن نظرها، ولكن ما كان عليه أن يشعر بالقلق، لأن نان لم تنظر صوبه، لقد كانت تركّز نظرها على الكتاب الذي تحمله، الذي تلوّح به إلى الحشد الذي يتبعها. لم يلحظ دان أن الكتاب كان يخفي مسدساً إلا عندما رفعت يدها عالياً.

مسدس لعين.

من حيث يقفون غير مرئيين ومتجمدين في مكانهم، مرّ الحشد من أمامهم، وبشكل غريب بدا أن نان ظهرت مرة أخرى في نهاية الحشد. لم تبدُ واثقة من نفسها وهي تركض لترشدهم للمضي قُدماً. فرك عينيه، وتساءل إن كانت النسخ العديدة من صوره التي رآها على الشاشات لا تزال تؤثر فيه، وهذا ما جعله يرى جميع الأشخاص الذين ظهروا معه وهم يندفعون إلى المشهد مرة واحدة. لقد كانت أفضل نسخة من ذاته يُفترض به أن يندفع نحوها، وينتزع المسدس منها،

ويحرر الأشخاص الذين تحتجزهم. لكن بعد ذلك صغرت أفضل نسخة منه، وداستها نسخ أخرى من دان حتى لم يعد يرى لها أثراً على السجادة.

فجأة أدرك أنه لا يزال تحت تأثير المخدر، وهذا ما أشعره بشكل غريب بالراحة، لأن ما يراه أسوأ بكثير مما كان يفكر فيه. لا شك في ذلك؟

لقد سمع صوت انفتاح أقفال المنطقة الخاصة من المكتبة، والذي يؤدي إلى مخرج الطوارئ. نقر مرة تلو مرة تلو مرة وشعر بالألم لأن جهازه الخاص لم يكن بحوزته.

بمجرد إغلاق الباب، أطلق سراح نفسه ببطء، وسمح لدورا وكينفين بالتنفس. لقد بدأ الآن يتساءل عما إذا كان هذا تدريباً متقناً للسلامة من نوع ما، أو شيئاً مصمماً ليقوم ببعض الأعمال الفعلية. هل كان كبير البوابين يراقبه من مكان ما، ليرى كيف سيكون رد فعله على كل هذا؟ لم يكن لديه طريقة ليتأكد إن كان هذا السلاح حقيقياً أم نسخة طبق الأصل، إن كان فارغاً أو محشواً.

حتى سمع صوت رصاصة في نهاية الرواق.

آنّا ونان

12:15 ظهراً

لقد كانتا على وشك إخراجهم جميعاً. بعد أن أدركت آنّا أن بعض المحتجزين، وليس كلهم، يعتقدون أن هذا تدريب أمني متقن. استغلت آنّا الموقف وبدأت في إخراجهم جميعاً بسرعة من صالة المطالعة، باتجاه مخرج الطوارئ بجوار موقف السيارات. كانت ردود أفعالهم على ذلك متنوعة، ولكن كولين لم تبدُ مقتنعة، وبدا الأكاديميون في منتصف العمر غير متأكدين، ومع ذلك بدت بيل مبتهجة بشكل إيجابي، وتمايلت بمرح معتقدة أنها تشارك في نوع من العروض الفنية. كان من الصعب معرفة ما يُفكر فيه الثنائي الشاب؛ لقد ظهرتا جامدتين، وربما مخدرتين، وهما تتبعان الباقين. ظلت آنّا حريصة على التأكيد للجميع أهمية اتباع الإجراءات. حاولت أن تبدو هادئة قدر المستطاع، وكأنها لم تكن تحمل مسدساً يمكنها أن تقتلهم به، مؤكدة لهم أن الجميع سيكونون بخير إن اتبعوا الإجراءات. أما نان فتبعتهم من الخلف وبدت عيناها تومضان بشكل غريب.

طمأنت آنّا نفسها أنه بمجرد مغادرة صالة المطالعة بدا أن الجميع يشعرون بالهدوء. حتى كولين التي، بغض النظر عن لهاثها، بدت هادئة نسبياً أثناء شق طريقها عبر الأبواب الجانبية، التي تحتوي غرف الأرشيف، نحو الدرج الذي يؤدي إلى الطابق الأرضي. كانت كولين، تعرف أكثر من الآخرين أنهم يسلكون الاتجاه نحو مخرج الطوارئ في الخلف، وقريباً سيرون موقف السيارات.

وعندما حدث ذلك، رأت سمر وليلي - اللتان اعتقدت أنهما غير مقتنعين مثل بيل بأن كل هذا كان تدريباً متقناً - يحدقان بشوق عبر النوافذ الطويلة الى الحرية التي تنتظرهما خلفها. وهي الحرية التي ستفتقدها هي وشقيقتها إلى الأبد بمجرد عودتهما إلى المكتبة.

تساءلت عما سيحدث إذا خرجت معهم إلى الحرية؛ إذا ألقت بمسدسها على سياج قريب، وتظاهرت بأن شيئاً من هذا لم يحدث على الإطلاق. شعرت آنّا أن هذه الرغبة تتسلّل إليها، وبأن الأوان لم يفت. إنها تستطيع أن تقنع نان كما كانت تفعل عندما كانتا صغيرتين بأن هذه اللعبة ليست اللعبة التي تريد أن تلعبها، وبذلك تخدعها لتقوم بما تريدها القيام به.

ثلاث خطوات أخرى ويصبحون بمستوى آخر. ربما كانت هذه نهاية الأمر، لو سُمح لها بالوصول إلى هناك.

لكن فجأة تغير كل شيء. انطلقت رصاصة، فاستدارت لتشهد الظاهرة الغريبة المتمثلة في قيام حشد من الناس بإلقاء أنفسهم على الأرض وكأنهم يتضرعون بيأس. انبهرت آنّا تقريباً لأنهم جميعاً انتبهوا إلى تدريبات السلامة التي تجريها المكتبة صباح كل ثلاثاء، حيث يأتي مسؤول حكومي ليذكر الجميع أنه إذا – لا قدّر الله! – سمعتم صوت رصاصة، يجب عليكم أن تنبطحوا أرضاً على الفور، ووجوهكم إلى الأسفل، وبذلك تبدون وكأنكم لا تشكلون تهديداً، أو ليظن المسلح بأنه أصابكم فعلاً. كان المسؤول الحكومي يقول ببساطة: «إن التظاهر بالموت هو أفضل طريقة للبقاء على قيد الحياة، وأي تصرف آخر، من شأنه أن يشكّل خطراً عليكم وعلى الآخرين». وأضاف «إن الأشخاص الذين يحاولون الفرار نادراً ما يبقون على قيد الحياة».

فكرت آنّا في سرها، لا بد من أن هناك خطأ، لقد ارتدت رصاصة من الجدار، ورأت البروفيسور نيكولاس يئن في الزاوية، والدم يسيل من تحت ساقه، في الوقت الذي كانت فيه نان تتحرك قلقة بالقرب منه.

قالــت نــان، من دون أن تتوجه بالحديث إلى شــخص محدّد: «لقد حاول الفرار» وبدت نظرة عينيها غريبة وخاوية.

قال البروفيســور نيكولاس: «لم أكن أحاول الهروب، لقد رأيت مخطوطاً على أحد الرفوف كنت أبحث عنه... ســاعديني من فضلك». صاح نيكولاس وهو يمســك بساقه بواسطة يديه المرتعشــتين، وكأنه يريدها أن تبقيا ملتصقتين بساقه. «أعتقد أن الرصاصة فجّرت شرياناً... سأنزف حتى الموت».

ألقت آنّا نظرة على المحتجزين، في الوقت الذي بدأوا فيه يرفعون رؤوسهم بشــكل تدريجي لكي يروا ما الذي حــدث، وبدا الذهول على عيني بيل عندما تبيّن لها أن الأمر لم يكن أداء. دنت ليلي من سمر، أما كولين فعاودت الصراخ عندما بدأ الدم يتسرّب إلى قماش سترتها ويصبغها باللون الوردي.

نظرت آنّا إلى نان، بحثاً عن نوع ما من التفسير، وربما عن شيء آخر أيضاً - ربما الندم أو الخوف - شيء في هاتين العينين المطابقتين لعينيها يظهر لها أنها لم تقصد القيام بذلك، وأنها آسفة. لكن نان لم تكن تنظر إليها بل تجول بعينيها على الحشــد المتمدد على الأرض، وتصوب فوهت مسدســها على واحد تلو الآخر منهم، وكأنها تبحث عن سبب لتطلق الرصاص على أي منهم. من جديد لامست الرؤوس الأرض مجدّداً، ولم يبدُ أن أياً منهم لا يزال يحتفظ بشيء من الحياة لولا الرعاش الذي شاهدته كلما مرت بجانب أحد منهم.

توجهت بسرعة إلى البروفيسور نيكولاس. تساءلت آنّا إن كانت نان تخدعها طوال الأشهر التي كانتا تعدان فيها خطتهما، وتدربتا عليها، وهما تبنيان نموذجاً من الصابون عن المكتبة في حوض الاستحمام. لقد تجاوزت الخطوة الأخيرة- إطلاق النار، وســيلان دم- الشخص الذي أصابته الرصاصة وأصابت نواياهما. لطالما اتفقتا على أنهما ليستا إرهابيتين عاديتين، لأنهما لا تنويان إلحاق الأذى بالمدنيين، فهما لا تريدان ســوى إبين. إنهما لا تريدان سوى الانتقام منه بسبب الخســارة التــي ألحقها بهما. أرادتا أن يكون انتقامهمــا ذا رمزية بحيث يقضي

على النقد الموجه لانتقاد الأدب النسوي. لقد أرادتا أن يعطي انتقامهما إشارة واضحة، لا لبس فيها للآخرين، أنه لن يكون هناك مكان لجرائم الكراهية الأدبية. ولكنها الآن، لا تذكر إن كان البروفيسور نيكولاس جزءاً من مجموعة سماذرهود، ولكنها لم تستطع تصور سبب لإطلاق النار على هذا لرجل العجوز الضعيف، رفعت ساقه، وأسندتها إليها، وبدت مستغربة من الوضع الذي وضعتا نفسيهما فيه.

صاحت عاجزة عن إخفاء الذعر في صوتها: «هل هناك طبيب بينكم، إن كان هناك طبيب فليرفع يده». وفكّرت أنه لا تزال هناك فرصة، إذا تمكنت من إلقاء مسؤولية العناية بالبروفيسور إلى شخص آخر، فيمكنهما الوصول إلى إبين. إنهما تحتاجان إلى ثلاث دقائق للوصول إلى الأرشيف، إذا عادتا من حيث أتتا ثم اندفعتا إلى أسفل الدرج اللولبي إلى الطابق السفلي. ولكن ستمر حياتهما أمام عينيهما وهما تنتظران أن تفتح أبواب كل طابق، وكأنها تستمتع بأن تجعلهما تنتظران، تستمتع بما لديها من سلطة عليهما. ربما كان من الأفضل لهما، لو توجهتا نحو القسم القديم من المبنى، حيث العلية المتهالكة ذات الأبواب المفتوحة والأدراج الخشبية، والتي تتيح لهما الوصول بنصف الوقت.

ارتفعت أربع أيدٍ مرتعشة، من دون أن ترتفع رؤوس أصحابها، فتوجّهت إلى أقرب يد ارتفعت. إنه شاب في العشرينات من العمر-لم تكن مستعدة لما ستشعر به عندما تلمس يده يدها، وهو شعور يذكرها بأنهما تعبثان بحياة الآخرين، وتجلبان الفوضى إلى حياتهم، فالغرباء ليس لديهم علاقة بكل ما يحصل- أمسكت امرأة شابة شقراء من جانبه بساقه وحاولت جره إلى الخلف.

توسّلت قائلة: «من فضلك لا تقتليه، فليس لديّ سواه».

قبل أن تتمكن آنّا من الرد، صوّبت نان المسدس صوب رأس المرأة، فلم يكن لديها خيار سوى إفلات ساقه.

خاطبت آنّا الشاب الراكع بجوار جسد البروفيسور: «قل لي فقط ما الذي

يجب عليّ فعله، أنا أرفع ساقه، هل ما أقوم به صحيح؟».

«نعم». قال الطبيب الشاب، لم يبدُ مقنعاً في ما قاله. رفع بلطف الساق عن كتف آنّا ووضعها على كتفه، في ذلك الوقت كان نيكولاس شبه واعٍ، وكان يضع يده على وجهه من شدة الألم «يجب علينا القيام بشيء آخر لنوقف النّزيف، نحن بحاجة إلى قطعة قماش أو ملابس...».

أشار صوب وشاح آنّا، فهزت رأسها رافضة، فمن دونه سيكون هناك ما يميزها عن شقيقتها، وكان من الضروري، وهما تنفذان الخطة ألا يستطيع أحد التمييز بينهما.

قالت آنّا وهي تجثو بجوار جسد كولين المتصلب: «كولين، سترتك الصوفية، وبلوزتك... إنهما بالفعل متشبعتان بالدم...».

تذمّرت كولين: «لا، من فضلك، لديّ ندبة». تذكّرت آنّا أن كولين كانت مؤخراً في إجازة لإجراء عملية جراحية. ما كانت تلك العملية؟ لماذا لم تسألها».

«شخص آخر، من فضلكم؟». استدارت بسرعة الآن، وهي تشير نحو الفتاة البائسة «أنتِ».

على مضض، وبفعل التهديد المتمثل بمسدس نان الذي كان على بُعد إنشات من وجهها، نهضت الفتاة على ركبتيها، وخلعت قميصها ورمت به صوب آنّا. لم تكن ترتدي شيئاً تحته سوى حمّالة صدر أرجوانية اللون، كشفت عن وشم فراشة على ثديها الأيسر. بدا هذان الثديان المرتجفان لآنّا بمثابة تذكير بشع بالإهانة التي ينطوي عليها الأمر برمته. بدا لها أن الجسد يومض في حين لم يتوقع أن يرى أحد الوشم الذي عليه، وكان ينبغي أن يظل كل شيء عادياً وبسيطاً بشكل مريح.

أخذ الطبيب الشاب قميص صديقته ولفّه حول الجرح. لقد بدا هادئاً بشكل غريب في ظل هذه الظروف؛ اعتقدت آنّا أنها لاحظت قليلاً من الانفصال الذي سبق لها أن لاحظته عندما كان دان يُدخن سيجارته، بدا منفصلاً عن المهمة

التـــي يقوم بها. وســـواء كان تحت تأثير مادة مخـــدرة أم لا، فقد نجح ما قام به في وقف النزيف، وفي غضون دقائق عاد الاستقرار إلى تنفس نيكولاس، وعاد يقبض على يدها بإحكام.

تجرأ وقال: «أررر».

قالت آنّا: «لا تقلق أيها البروفيســـور نيكولاس»، وكأنها كانت من يقدم له الرعاية وليس من يهدده بالسلاح «فالطبيب الشاب الوسيم يقدم لك كل ما تحتاج إليه من رعاية، ستتحسن عمّا قريب».

فتح نيكولاس عينيه بتردد، وعندها رأى الطبيب الشاب يبتسم له.

صرخ نيكولاس، وقد اســـتعاد فجأة نشـــاطه: «إنه ليس طبيباً إنه طالب لغة إنكليزية، سخيف من الطراز الأول».

أجابه الشاب: «أنا الآن طبيب، بعد أن خذلتني ورفضت أطروحتي...».

قال نيكولاس: «لأن أطروحتك كانت مليئة بالهراء».

أدركـــت آنّـــا أنه كان يقصد دكتوراً أكاديميـــاً، وتذكّرت نكتة كانت والدتها تقولها دائماً عن هذا النوع من الشـــهادات: «ألا يعلمون أن مصطلح (إنها مسألة أكاديمية) يعني أن لا طائل منه؟» ـــ لكنها ظلت تُفكر في أن البروفيسور إذا كان في صحة جيدة بما يكفي ليجادله، فمن المحتمل أن يكون على ما يرام. تحرّكت نحو نان، مدركة أنها ستحتاج إلى انتشالها من أي حلم يستحوذ على ذهنها الآن.

غامرت بقولها: «نان علينا أن نمضي الآن، وإلا لن نستطيع تنفيذ ما خططنا له...».

لم تتحرك نان، بدت فضولية بشأن المحادثة التي تجري بجوارها.

تابع البروفيسور: «لقد كتب أطروحة غبية عن مخاطر الرقمنة، كانت مجرد ثرثـــرة وهراء. قال إن الذاكرة الوطنيـــة تتآكل، قصيدة تلو الأخرى، وأن المكتبة كانت تحاول فعلياً تغيير هويتنا والتلاعب بها».

لكن آنّا لم تكن تستمع إليه وهي تتجه نحو شقيقتها وتضع يدها على كتفها:

«نان!» إنها تهزها الآن، ولكن من دون جدوى.

سمعت من يدّعي أنه طبيب يقول: «لا يمكننا القول، إنني لم أرَ قيمتها، في الحقيقة، كانت حاسـمة بالنسـبة إلى بقائنا، ولكنها مثل كل الأمور التي يُفترض بها أن تكون مساعدة لنا، تنقلب إلى العكس عندما توضع في أيدي الأشخاص غير المناسبين، إنها تصبح شراً».

«شر! لم يسبق لأمتنا أن كانت أقوى، وهذا الشاب يدّعي أننا نتراجع».

«في معرض الحديث عن الشـر، ما رأيك بهاتين». لقد اسـتعادت كولين غطرستها الآن وها هي راكعة على ركبتيها، وذلك بعد أن تخطت ذعرها السابق «لم أنجُ من السرطان لأموت بسببهما، لا أعرف رأي الآخرين ولكنني سأغادر».

بدأت كولين بجمع سترتها الملطخة بالدماء حولها، وهي تفعل ذلك تناثر الدم على سمر وليلي. عندما نهضت لم يتحرك أحد من حولها، والآن حان دور آنّا لتنظر إليها بإعجاب.

شرعت آنّا تقول: «كولين ابقي حيث أنتِ، نان رافقيني، يمكننا تركهم حيث هم».

«أنا لا أقول إننا نتراجع»، سـمعت صوت الشـاب الذي لا يزال يخاطب البروفيسـور متذمراً «بقدر ما أقول إننا نتحرك جانبياً، ونتجه إلى الهاوية، هذا ما يؤدي إليه التحرك جانبياً، فالمرء بالكاد يستطيع أن يلاحظ وجود أي حركة».

صرخـت آنّا عليهما: «هل سـتصمتان وإلا...» وهي تنظر إلى كولين التي بدت وكأنها تسـتعد للهرب، في غضون ذلك صوّبت مسدسـها نحوها من دون أن تبارح النظر إلى الشاب.

قالـت نان مخاطبة الشـاب: «هل تعرف الجهد الـذي يحتاج إليه تحويل الكتب إلى النُسق الرقمي؟ نحن لا نقتصر على مسحها بواسطة ماسحات رقمية متطورة، نحن نصلحها، ونحافظ على نسقها، ونرممها، ونحافظ عليها...».

صاحـت آنّا عندما لاحظـت أن كولين تندفع صـوب رف الكتب: «نان،

لا». ولكن الرصاصة التي أطلقتها نان أخطأت هدفها هذه المرة، واستقرت في صندوق حديدي كانت توضع فيه بعض الخرائط البحرية القديمة.

قالت آنّا: «توقفي نان، سأجلب كولين». في الوقت الذي كانت تتجه فيه صوب الرفوف التي اختبأت خلفها كولين، ارتجفت آنّا وهي لا تعرف ما الذي يحدث مع شقيقتها، وما هو السبب الذي يجعل الأمور تخرج عن سيطرتها، وتتحول إلى فوضى عارمة. ولكنها كانت واثقة، وبغض النظر عن السبب الذي جعل نان تُطلق رصاصة على البروفيسور، فهي واثقة أنها لن تسمح أن يتكرر مع كولين، رأت كولين تكدس الكتب على أحد المقاعد، وكانت ملابسها تعلق بالحواف في الوقت الذي تحاول فيها تسلق الرفوف وكأنها سُلم، بهدف الوصول إلى نوافذ القبة المقوسة، مع أنها لم تعرف الفائدة التي ستجنيها من تصرفها هذا، دنت منها آنّا ببطء.

قالت وهي تحاول أن تبدو مطمئنة قدر المستطاع: «كولين، انزلي قبل أن تؤذي نفسك». وضعت مسدسها على الرف، لتوحي لها أنها لا تنوي إطلاق الرصاص. استدارت كولين ونظرت إليها، وبدت عيناها متورمتين من البكاء، وهي تتمسك بالرفوف وكأنها تتمسك بالحياة، لم تتخيل أن تكون كولين قادرة على إظهار أي مشاعر. لقد كانت مختلفة الآن، وهي التي كانت فظة مع الجميع، حتى خشي الباحثون طرح أي سؤال عليها، وهي التي تعتبر الإجابة عن استفسارات الرواد من صُلب عملها، لقد لاحظت آنّا أن صورتها السابقة لم تكن سوى طبقة واقية، وها هي تبدو الآن عارية أمامها مع أنهما لم تجرداها من ملابسها.

فجأة تبيّن لآنّا، أن ما تقوم به كولين لم يكن تحركاً عشوائياً بقدر ما كان يهدف إلى شيء، فقد رأت أن هناك زراً أحمر في الجزء الخلفي من أحد الرفوف العليا؛ الزر الذي يُطلق الغازات المنومة عندما يحصل تهديد أو هجوم. لقد رأت جسد كولين الذي يبلغ طوله خمس أقدام وإنشين يتمدد بمرونة غريبة،

حتى أصبح على بعد إنشات من الزر، أدركت أن الغازات ستخدر الجميع، ولن يتمكنوا حتى من فتح البوابة، عندها فكّرت في إغرائها بالسماح لها بالخروج. لذا، لم تجد أمامها خياراً سوى ضغط المسدس على ظهر كولين والإمساك بها، وجذبها بقوة إلى الأسفل.

همست بأذنها: «من فضلك يا كولين، ليس هناك سبب لهذا، أعدك أنني سأسمح لك بالخروج بأمان...».

عندها قالت كولين، وهي تستدير لتنظر إليها وبدا وجهها مفعماً بالحزن: «لا أفهم ما الذي يجري؟ هل أرغمتك على القيام بهذا، هل هذا صحيح؟ من فضلك توقفي».

قالت آنّا: «لا أستطيع». وهي تعرف أنهما لا تستطيعان وقف ما بدأتاه «ولكنني أستطيع أن أُخرجكم جميعاً بأمان، هل هذا كافٍ؟».

كانت المحادثة مستمرة خلف الرف، وسمعت بوضوح الشاب، وهو لا يزال يجادل بشأن أطروحته، وسمعت أكاديمياً آخر يجادل بأن الشاب كان مُحقاً، وأن سجلات المكتبة لا تبدو محدثة إذا نظرت إليها بعناية، ووجد غياب المنطق وتناقضاً في قيام المكتبة برقمنة بعض الأعمال دون بعضها الآخر.

سمعت نان شقيقتها تصرخ في وجهه: «إن مسؤولية شقيقتي هي التأكد من عدم فقدان أي شيء، أنت لا تعرف ما الذي تتحدث عنه. آنّا، كولين هل يمكنكما العودة إلى هنا من فضلكما».

نظرت آنّا إلى كولين بطريقة اعتذارية، وأمسكت بمسدسها مرة أخرى، ودفعت كولين بألطف ما يمكن لتمشي صوب الحشد. عندما انعطفتا خلف الرفوف، رأت ما رأته كولين: صورة الدمار والرعب. كانت نان تقف وهي تنظر بطريقة لا تشي بشيء، وقد ظهرت بقعة من دم نيكولاس على وجهها، في الوقت الذي حاول فيه حشد المحتجزين الذين يبدون شبه متجمدين السيطرة على أنينهم، وشيئاً فشيئاً بدا صوت البروفيسور وتنفسه أكثر إرهاقاً، وبدا أنه مع كلمة

تبتعد فيها الحياة أكثر عنه، وهو الذي لم يكف عن الجدال بشأن أنظمة المكتبة الفاســدة، مشــككاً في جدوى وظيفتي آنّا ونان، وكأن هذا الموضوع هو الأكثر أهمية لمناقشته الآن.

فــي الوقــت الذي كانت تتجه فيه صوب نان، في محاولة منها للانفراد بها وسط هذا الحشد، ترددت في ذهنها كلمات شقيقتها: وظيفة شقيقتي التأكد من أن شــيئاً لم يُفقد. شــعرت آنّا بالخجل يجتاحها، وفكّرت في أنها لم تشارك أبداً تفاصيل وظيفتها مع شقيقتها، كيف أقنعت شقيقتها، بأن كل ما مسحته وسلمتها إياه: كل النصوص الثمينة، ســتعالجها بعنايــة، وتعيد حفظها إلى الأبد. هي لم تخذل شــقيقتها فقط، بل خذلت شــعب هذه الدولة الصغيرة الذي اعتمد عليها لإكمــال هــذه المهمة. لقد فهمت تماماً ما الذي رمى إليه الشــاب بحديثه عن التحرّك جانبياً، فهي لم تتح المجال للتقدم إلى الأمام.

قالت: «نان يجب علينا الآن أن نخرجهم، وذلك حتى يبقوا هادئين».

أخيراً، التفتت إليها نان، وبدا من خلال عينيها، أنها عادة تفهم ما يجري.

أجابتها: «صحيح، أنتِ محقة، يجب أن نفعل ذلك، أنا آسفة.. لا أعرف.. ما الذي كنت... آنّا، أنا آسفة».

عــادت نــان لتبدو ضائعة مرة أُخرى، وهذا ما أقلق آنّا، وقفت أمامها وهي تتحدث إلى الحشد، حتى لا يروا أنها فقدت عزيمتها الفولاذية.

قالت آنّا بصوت بدا فيه شيء من القلق والتردّد: «حسناً، لنهدأ جميعاً».

قال أحدهم: «أنت محقة، نحن في وضع يحمل على الهدوء». ثم ضحك بعصبية.

قالت نان وهي تدفعها بعيداً عن طريقها: «من الذي ضحك؟». لقد عادت إلــى طبيعتها مجدّداً، وبدت أكثر تصميمــاً من ذي قبل. ثم أدركت آنّا بوضوح شديد أن الشخص التالي الذي ستطلق عليه شقيقتها الرصاص سيموت.

«نان، كل شيء على ما يُرام، حافظي على هدوئك، اتفقنا؟».

نظرت نان إلى أحد الأشخاص في الحشد: «توقّف عن السخافة التي تتفوه بها، أُقسم إن سمعتك تضحك مرة أخرى...».

أدارت آنّا رأسها لترى الشخص الذي تخاطبه شقيقتها، فتبيّن لها أنها الفتاة الشقراء، وهي لا تزال ترتجف، مرتدية حمالة ثدييها، كانت تضع يدها على فمها، وكانت كتفاها ترتفعان من شدة الضحك، فتذكّرت شيئاً آخر أخبرهم به المسؤول الحكومي: «في أوقات القلق أو التوتر الشديد، قد يدخل المرء في نوبات ضحك لا يستطيع التحكم بها، ولكن يجب أن تحاولوا السيطرة عليها، وإلا سينتهي بكم الأمر مع رصاصة في الرأس، ولا أظن أن أحداً يعتقد أن الضحك يستحق رصاصة في الرأس».

قالت آنّا بهدوء، وهي تمر بين أجساد المحتجزين: «نان، انسي الأمر، على أحدهم أن يخرجهم، في الوقت الذي... تعرفين... أعتقد أن كولين تستطيع إخراجهم، فهي تمتلك جهازاً لفتح البوابات، يجب أن نذهب».

نظرت آنّا إلى ساعتها، إنها تُشير إلى الثانية عشرة والدقيقة العشرين، سيكون أولئك المحتجزون في مكاتبهم في غاية الغضب، وبما أن هواتفهم لا تعمل، لن يكونوا قادرين على القيام بشيء لإنقاذ أنفسهم. فدان محتجز في الخارج منذ ساعة. كان يفترض بهما تنفيذ الخطة في غضون ساعة، كان يفترض بهما أن تكونا جاهزتين لتسليم نفسيهما عندما تصل الشرطة. كالعادة، عقّدتا ما يُفترض به أن يكون بسيطاً، لقد أدركت أن مشاعرها تجاه دان هي التي أفسدت خطتهما، وليس ما اقترفته نان قبل لحظات. أرادت آنّا أن تبقي دان سليماً، بحيث يبقى خارج كل ما أدّى بهما إلى ما وصلتا إليه الآن، مع أنها أرادت حماية المحتجزين، لكنها عملياً قدّمت رغبتها في حماية دان على رغبتها في حماية المحتجزين من الغازات المنومة. لكن من المؤكد أنها زادت الآن من خطر إطلاق هذه الغازات، لأن توقفهما في هذا المكان بدلاً من تقدمهما، أعطى الجميع فرصة للتفكير والتركيز. خصوصاً أن أحداً، أو على الأقل هما، لا يعرف عدد أزرار الطوارئ

التي تطلق الغازات. ربما كولين تعرف عددها ومكانها.

هذه الفوضى أبطأت كل شيء، والأهم من كل هذا أنها تحول بينهما وبين إبين، الذي قد يجد، إن لم تصلا إليه قريباً، طريقة لإطلاق إنذار. في هذا الحال لن تتمكنا من تحقيق شي، وستصوران على أنهما مضطربتان تتصرفان وكأنهما تعيشان جنون العظمة وخيالات القوة.

قالت آنّا من دون أن تكون مهتمة بأن يســمعها أحد: «يجب أن نصل إلى إبين».

كان إبين يجلس في غرفة الأرشيف المغلقة، ويتساءل عما حدث. سيكون بانتظارهما، ولكنهما عالقتان هنا.

«إبين»، قالت آنّا، غير مهتمة بمن ســمعها الآن «نحن بحاجة للوصول إلى إبين.»

«إبين؟». نظرت شقيقتها إليها وكأن الاسم لا يعني لها شيئاً «ما علاقة إبين بكل هذا؟».

لم تتمكن آنّا من معرفة إن كانت نان تتصنّع، ربما تحاول ثنيها عن الكشف عن أشياء كثيرة أمام المحتجزين. لكنها كانت خائفة أيضاً من الارتباك الحقيقي في صوت نان؛ كيف حدث ذلك مرة أخرى، وكيف تحوّلت من مظهر التهديد قبل ثانية واحدة فقط، وبدت الآن صغيرة وهشة، ومنغلقة على نفسها بطريقة ما.

قالت نان: «لا أعتقد أننا بحاجة للقلق بشــأنه، ســنتعامل مع الموجودين، أعتقد أن لدينا رصاصات تكفي للجميع».

بطريقــة مــا، بدا لها أن الهواء اختفى من الصالة، نظرت آنّا إلى شــقيقتها بذهول بعد أن ســمع حشــد المحتجزين ما قالته، شعرت أن الأرض تهوي بها، وترســلها إلى أعماق المكتبة. عادت بها الذكرى إلى حين كانتا طفلتين وكانت والدتهمــا توبخهما، وكل واحــدة تتمتم للأخرى بنيتها التصدي لها. عادت كلّ منهما نقيضة للأخرى، وهذا يبدو واضحاً من تصرفاتهما.

قالت آنّا، وهي تلاحظ كيف يرتجف صوتها: «إنها لا تقصد ما قالته، نحن لا نريد أن نلحق بكم الأذى، نحن...».

صاحت نان: «صحيح ما تقوله». أطلقت رصاصة أخرى من دون أن تصوّب على أحد.

أخيراً، أدركت آنّا عدم جدوى النقاش مع شقيقتها الآن، فقد قررت بإرادتها الحرة أن تقلب الأمور رأساً على عقب. ربما هذا ما نوته منذ البداية. شعرت بأن كل ما تعرفه ينهار فجأة، وأنها مع شـــخص غريب في هذا المبنى. صحيح أنها نسخة طبق الأصل، ولكن أي تماثل بينهما ينتهي عند حدود الشكل.

ســألتها نان: «إلى أين أنت ذاهبة؟». بدا اليأس في صوتها، قبل أن تســمع الســؤال. لم تدرك آنّا أنها كانت تبتعد، لأن ذلك كان أفضل خيار لديها، وربما الأمل الوحيد، من أجل تحقيق ما جاءتا من أجله.

أجابتها: «لأبحث عن إبين، ألم نأتِ من أجله؟ أليس هو سبب وجودنا هنا».

فــي الوقت الــذي كانت تتحرك فيه بجوار الحشــد، حاولت التركيز على الخطــة، وإبعاد أي أفــكار تحملها على التعاطف مع هؤلاء المحتجزين، الذين حاولوا التمسك بقدميها أثناء مرورها. لقد ذكّرتها أيديهم المتعرقة بمقدار اليأس الذي يشــعرون فيه، بصفتها فرصتهم الوحيدة للنجاة. ظلت تمضي في طريقها، متأكدة بقدر ما تستطيع أن تبدو، أن ما تقوم به كافٍ لتتراجع عمّا تقوم به وتتبعها إلى الأرشــيف بعيداً عن كل هذه الفوضى. عندها ســتتولى كولين زمام الأمر. وبما أن الجميع ســيكونون تواقين بل يائســين للخروج، فلن يُفكّر أي شخص منهم بإطلاق الإنذار.

تقدّمــت آنّــا لتعود من الطريــق الذي جاءتا منه، فتحــت الباب في نهاية الممر بواســطة الجهاز الخاص، وحرّكت مسدســها إلى الأمام لتتأكد أن أحداً من المحتجزين لا يريد الهرب. ظلت آنّا واثقة بأن نان ســترافقها حتى ســمعت صوت إغلاق الباب من دون أن تبتعد نان عن الحشد. ستدرك نان أن اللعبة لا

تستحق اللعب إذا لم تكن شقيقتها إلى جانبها، ستكون هذه هي الخدعة المعتادة؛ وعد بوقت أفضل في مكان آخر.

لكن نان لم تتحرك، وبدا إغلاق الباب وكأنه نوع خاص من القطيعة، نوع لم يسبق لهما أن اختبرتاه من قبل طوال حياتهما المتشابكة.

* * *

في الثانية التي تحرّك فيها البروفيسور نيكولاس، بدا وكأنه طبق من طين. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكنها أن تشرح بها الأمر لنفسها. مجرد حركة بسيطة ولا إرادية تقريباً. كان عليها أن تُطلق الرصاص عليه كما تدرّبت على القيام بذلك لتصيب الهدف. لقد كان عملاً مدفوعاً بالغريزة، وليس بالتفكير. في صالة مثل هذه، كان من المنطقي استهداف جسم الإنسان الذي يمكن أن يمتص الرصاصة ويجعلها تختفي. في حين أن الرصاصة يمكن أن تخترق بلا رحمة مواد معينة - الزجاج والجص والخشب - وتتركها وراءها، فإن الجسم البشري يستطيع في الواقع أن يسحبها إلى أعماقه، ويحتفظ بها كذكرى.

الأجساد هي أكثر الأشياء تعقيداً على وجه الأرض، هكذا فكّرت نان، وهي تتذكر فحص دماغها؛ المسارات البيضاء المضيئة لمساراتها العصبية مقابل هاوية الشاشة السوداء. لم يسبق لها أن فكّرت في نفسها بأنها شيء مكوّن من مكونات، وأن وجودها بحدّ ذاته يعتمد على اتصال أحد تلك المسارات بالآخر. لكن دماغها، كما قال الطبيب، يبدو وكأنه سلسلة من الطرق المسدودة. (لقد نظر بعيداً عندما قال هذا؛ وظنت أنه ربما اعتبر لاحقاً أن هذه عبارة مؤسفة). قال، وهو يشير إلى جزء آخر من دماغها: «انظري هنا، لدينا انفصال». بدت وكأنها قطعة أرض صغيرة في غابة كثيفة.

تساءلت إن كان أولئك الذين يتمددون الآن أمامها على الأرض قد فكّروا حقاً في ما يحدث داخل أجسادهم. لم ترجح ذلك. لقد كانوا أكثر اهتماماً بالبحث عن الروابط والأنماط في الكتاب، يبحثون عن نظريات لم تكن موجودة

إلا بعـــد أن بحثوا عنها، غير مدركين أن أجســـادهم هـــي النظريات الأكثر إثارة للاهتمام على الإطلاق؛ هناك أنشطة واتصالات غير عادية في الأجساد أكثر مما يمكـــن تخمينه بين صفحات كتـــاب (رقمي). اعتقدت نان أنه ربما كان هذا هو السبب وراء إطلاقها الرصاصة على نيكولاس؛ ليدرك أنه جسد لا أكثر ولا أقل. إن حقيقة أن أجســـامنا تعمل بشـــكل صحيح هي الشيء الحقيقي الوحيد الذي يهم. الصحة هي الثروة، كما دأبت والدتها أن تقول، وهو قول مأثور تم التلاعب به الآن وتحويله إلى شعار سياسي، لمحاولة إقناع سكان الدولة الصغيرة بقبول نصيبهم في الحياة.

لقد كانت منزعجة من رواد المكتبة أيضاً، ربما كان هذا جذر المشـــكلة. كانت منزعجة من سهولة حياتهم بعد أن تحوّلت الكتب إلى رقمية. يعتبر ذلك الشاب أنّ من المسلّم به أن يظهر الكتاب أمامه بنقرة زر واحدة، ثم يجرؤ على انتقاده، من دون أن يُفكّر ولو للحظة واحدة بكل الجهد الذي جعل النقرة تحقق هذه النتيجة؛ ما كان متوقعاً منها ومن آنّا للتأكد من وصول هذه الكتب بأمان إلى النظـــام، وضعُها بمحبة تحت الضوء مثل الأطفال حديثي الولادة، والتحقق من وجود أي شـــذوذ، وإصلاح عيوبها باستخدام فيلموبلاست. في بعض الأحيان، كانـــت ترى شـــخصاً يُحمل نصاً ثم يفقد الاهتمام بـــه؛ ثم يتجول للتدخين، ثم يتركه هنا، يحدق إلى لا شيء، وكأن لديه حقاً إلهياً في النقر على أي صفحة في أي كتاب يريده. لم يفكر أنها كانت آخر من أمســـك الكتاب قبل أن تحوّله إلى نســـخة رقمية، قبل أن تُسلمه لشقيقتها لوضعه في الأرشيف خلف أبواب غرف الحفظ المحظور دخولها.

في الآونة الأخيرة كانت نان تستعجل تأدية المهام، وذلك لأن تلك المساحة المنفصلة في دماغها كانت تتســـع أكثر فأكثر، وهذا ما كان يشعرها بالقلق، فهي إذا لم تحوّل النصوص بســـرعة إلى الصيغة الرقمية، لن تستطيع إتمام التحويل، وربما تصبح الفراغات في دماغها فراغات في النصوص التي ترسلها، فلا تعود

الصفحـــات في الترتيب الصحيح، فقد يتســـرب الاضطــراب الذي في دماغها بطريقة ما إلى الأمة، وعندها ستصبح خسارتها مشتركة مع الجميع.

كان هذا جزءاً من الســـبب الذي جعلها تشـــعر وكأنه لا يهم حقاً ما حدث في الســـاعات القليلة القادمة. كلما أسرع شخص ما في النزول إلى هنا وأخذها بعيداً، كان ذلك أفضل، لأنه كان من الأفضل أن تسحب بصفتها إرهابية على أن يتذكرها الناس بصفتها مصابة بمرض دماغي، كما وصفه الطبيب.

قالت شقيقتها: «إبين ألا تتذكرينه؟».

إنها تجول الآن في أرجاء الصالة بحثاً عن شقيقتها. رأت بشكل عابر، في مخيلتها، شـــقيقتها على الجانب الآخر من الباب بعد أن أُغلق. هل حدث هذا الآن أم اليوم أم في وقت آخر؟ لم تستطع أن تتذكر. خطرت لها مراراً وتكراراً صورة شقيقتها وهي تخرج من الغرفة، وتعود لتنظر إليها متوسلةً إياها؛ انتظرت بضع ثوانٍ قبل أن يُغلق الباب خلفها، ثم سُمع صوت خافت وهي تنقلب على كعب قدمها وتبتعد. لقد خزّن دماغها الصورة والصوت وســـجّلهما، مثل كاميرا المراقبة الشـــخصية الخاصة بها، مع ذلك لم تســـتطع أن تتذكر أنها شعرت بأي مشـــاعر في ذلك الوقت. مع ذلك، إنها تشعر الآن بالدمار لأن شقيقتها ابتعدت عنها، ولأنها سمحت لها الرحيل عن طيب خاطر، ولا تنوي اللحاق بها.

من دون آنّا، بالكاد تتذكر من هي أو ما الذي يُفترض بها أن تفعله. لم تعد قادرة على تذكّر اسم هذا الشيء الذي في يدها والذي يبدو مهدداً جداً في كل مرة تشـــير فيه إلى شـــخص ما. ابحثي عن طريق للعودة إلى الكلمة، هذا ما كان يهمس به الطبيب في هاوية دماغها المتهالك والمتحلل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

إبين

12:30

اتخذ شـعور إبيـن بالذعر منحى مختلفاً، وكأنه يمتلـك قوة تتيح له لكم الجـدار بقبضته، بدلاً من جعله يشـعر وكأن لا قيمة لـه. أكّدت العناوين التي شـاهدها بأم عينيه في كل مجلة، ونشـرة دورية، وصحيفة رديئة أو منتدى على الإنترنت، براءته من جريمة قتل إيلينا. لم يُذكر اسمه في الوثيقة الأساسية مطلقاً. بـدت هذه الوثيقة قابلـة للتصديق بعد أن جرى التلاعب بمحتواها. تصفّح كلّ اليوميات وصولاً إلى لحظة وفاتها، فأصبح جلياً له أسـباب انزعاجها وتوقفها عن الكتابة.

بحث عن التواريخ ذات الصلة بما يسـمى سـرد رواية قتلها الملفقة. في الواقع، لم تولِ أي اهتمام بمقاله، ولا يبدو أن هناك دليلاً على أنها قرأته. ادّعت ابنتاها خلال التحقيق معهما أن مشاعر كراهية الذات والتخيلات الانتحارية التي تعاني منهما كانتا بسبب إصابتها باضطرابات الارتياب العصبي.

وقف وسط زنزانته، محاولاً فهم كل شيء. بدا جلياً أن لا علاقة له بانتحار إيلينا، فارتاح، وأصبح قادراً على إثبات ذلك للآخرين.

ردّد في نفسه بثقة عميقة وحماسة شديدة: «لست مسؤولاً عن مقتل إيلينا أوديغ».

أوضح تقرير المستشفى المرفق بإحدى يومياتها أن الاختصار المدوّن في جميع الصفحات هو كي جي، وليس إبين. قُصد بهذين الحرفين الأوليين مرض

كروتزفيلد جاكوب، عندما أصيبت إيلينا بالمرض صنعت شخصية لمرضها، وتخيّلته على أنه تجسيد لإبين نفسه الذي ظنت أنه يطاردها، ويتسكّع خارج منزلها، ويتبعها إلى كل مكان. عندما قرأتُ تلك الكلمات بالأبيض والأسود، جرفني ذلك إلى الأعماق. ليس هناك ما أفعله الآن سوى الاعتراف بأنه جعلني عديمة الشعور، وأنني لن أشعر بكياني مرة أخرى. جاء كي جي من أجلي، ولابد أن أُسلّمه نفسي عن طيب خاطر.

تذكّر أنه قرأ في الصحيفة صباح اليوم التالي، اقتباساً نشرته العائلة: جاء إبين من أجلي. كاد يختنق حتى الموت من حفنة من حبوب الفطور التي كان قد دفع بها إلى فمه. تذكّر أنه تدحرج على الأرض، وتطايرت حفنة من حبوب الفطور البنية في الهواء، محاولاً بيأس أن يسعل لإزالة الانسداد في قصبته الهوائية، وتذكّر قطته وهي تراقبه مستمتعة بالمشهد المرح. في نهاية المطاف، استجمع ما يكفي من القوة ليجثو على ركبتيه ويدفع بطنه باتجاه الكرسي، في النهاية استطاع لفظ حفنة من حبوب الفطور المزعجة والتقاط أنفاسه بحثاً عن الهواء. بحث في جميع المنشورات، والمقالات، والنشرات الدورية على الإنترنت خلال الساعات القليلة التي تلت الحادث، فشاهد اسمه عدة مرات، وقتها ذُعر وتمنى الموت.

الآن، اختلف كل شيء. أخيراً، ظهر الدليل الذي احتاج إليه لتبرئة نفسه. كتبت إيلينا أن مرض كروتزفيلد جاكوب تغلغل بسرعة في جسدها، وسيقضي على حياتها في غضون عام، فقد أخبرها طبيبها أن هناك بروتينات غير طبيعية في دماغها، أدت هذه البروتينات إلى اعتلال الدماغ وانهياره بشكل غير طبيعي، فأصبحت ترى عندما تقرأ جملة دعاني كي جي لأداء رقصة مروّعة مشابهة لجملة دعاني إبين لأداء رقصة مروعة.

كيف تقبّل الجميع فكرة اعتبارهما توأماً متشابهاً؟ لم تنجز الشرطة أعمالها على أكمل وجه، بل اكتفت بالمعلومات المقدمة لها، وكأنها تدعم جرائم

الكراهية. استحوذت المحقّقة التي استجوبته على دماغه - على حدّ ظنه- وبدت مصممة على إدانته منذ البداية.

ربما كان أولئك الذين عارضوا رابطة سماذرهود وراء ذلك. أخبره فرانكتون أن كثيراً من الأشخاص الذين يعملون في المكتبة عقدوا العزم على القضاء على رابطة سماذرهود. الآن لم يعد هذا الأمر ضرورياً، فكل شيء سيكون مختلفاً. سيرحّب فرانكتون بعودته إلى المجموعة ليستعيد سمعته الأدبية. وبالعودة إلى مسار الرواية، ما نوع السمعة التي سيكسبها بسبب ذلك؟ ففي نهاية المطاف، جعل الجميع في هذه البلدة يتحدثون عنه وكأنه قاتل، وينسبون إليه نوعاً من السحر الملتوي الذي لم يمتلكه من قبل على الإطلاق. أقنع نفسه بأنه مثل مؤسس المكتبة السير جون، ارتقى إلى حال من العار الجذّاب. انتشار الشائعات التي لا أساس لها، بأن السير جون هو جاك السفاح، أكسبه اهتماماً واسعاً، وهذا ما جعل الفتيات المراهقات المهووسات بالجريمة يلتقطن صور السيلفي منحنيات أمام قدميّ تمثاله الرخاميتين.

فكّر إبين أن من السهل أن يأتي شخص ما في أي وقت في المستقبل، بعد فترة طويلة من موته، ويغيّر القصة تماماً.

هذا ما تنبأت به إيلينا، الآن بدا تمثالها النصفي وكأنه يومئ برأسه موافقاً في الظلام. يُرجّح أنها متورطة في الأمر؛ طلبت من شخص ما تغيير النسخة الرقمية وترك النسخة الورقية كما هي، بحيث تتيح له إمكانية اكتشاف أن الأمر كله كان مجرد مزحة كبيرة، وعرفت أنه في سبيل اكتشاف الأمر، عليه أن يفعل شيئاً يائساً مثل كتابة سيرتها الذاتية بحيث يبدو عمله هذا وكأنه اعتذار علني. أثبتت جميع الدلائل صحة ما ادعته يوماً حول هوسه بها، ورأى أن هذا كان صحيحاً. وازن بين حبه وكرهه لها بطريقة جعلته أقل النقاد الموضوعيين على الإطلاق. تدميرها كان هدفه الوحيد، وهذا ما جعلها تستخدمه سبباً لانتحارها، ومرضها، وانتقامها منه.

اجتاحه غضب عارم على أثر ظهور هذا الدليل الجديد، بالإضافة إلى كل ما كتبته عنه. كان من ناحية سبباً في براءته، وقلّص من ناحية أخرى غروره إلى حدّ كبير. بهذه الطريقة، أصبح مرئياً بطريقة لم يسبق لها مثيل، بعد أن انقلب المجتمع الأدبي بأكمله ضده. الآن سيعود بأسوأ طريقة ممكنة إلى شخص عديم القيمة. سيتحول من كونه خطيراً إلى شخص مسالم؛ سيسقط من صفحات التاريخ، وكأنه لم يوجد أبداً، كما هو حال الشخص الذي سُمي على اسمه.

بالعودة إلى مسار الرواية، تساءل عن الطريقة التي سيثبت فيها براءته. فإدخال الهواتف إلى هنا ممنوع، وهذا يعني أنه يستحيل أن يلتقط صورة للصفحة. استبعد فكرة تمزيقها أو أخذها معه. ينبغي عليه أن يعثر على مرجع آخر يثبت ذلك. ألقى نظرة على قسم آخر من أوراقها بعنوان متفرقات في صندوق المجلدات المليء بملفات ذات مظهر رسمي ممل: مسارات السفر، دعوات إلى مهرجانات، شهادات تأمين، فواتير للسيارة، وأشياء من هذا القبيل. لقد احتفظت بها دليلاً على الأوقات المترفة التي عاشتها في مجتمع منحها امتيازات. أرادت أن تُخزن هذه القصاصات من الورق المهدور كتذكارات لن يعود لها وجود مرة أخرى. فالمستندات المطبوعة يمكنها أن تترك أدلة على تلك الحياة التي يعيشها الإنسان؛ وإن لم يرد ذكرها بشكل صحيح في يومياته. في حال وجد دليلاً يصف حالها ومعاناتها، سيمتلك فرصة صغيرة لإثبات براءته، وسيكون من السهل نسبياً على الشرطة الوصول إليه.

خلال السنوات العشر الماضية، واجهت إيلينا صعوبة في مغادرة البلاد من دون أن تجري فحوصات طبية دقيقة؛ فأيقن تماماً أنه سيكون هناك على الأقل نتيجة فحص طبي أو شيء يشير إلى أن وضعها قد قُيّم. لقد فقدت العديد من القصاصات الورقية بعد أن ساء وضعها الصحي، وإذا كانت قد احتفظت بفواتير سيارتها، فربما احتفظت أيضاً بمراسلاتها مع المستشفى. يمكنه إطلاع الشرطة على هذه الأدلة، لكي يتحققوا من سجلاتها الطبية وإصدار اعتذار علني له عن

كل ما تعرض له.

أنزل صندوق المجلدات وفتح الغطاء، وبدأ بإخراج المستندات، واحداً تلو الآخر، ووضعها إلى جانبه على الطاولة، بحيث تسهل عليه إعادة كامل المجموعة إلى الصندوق، من دون أن يلفت الانتباه إلى حقيقة أنه فتّش فيها. تزاحمت ملايين الأفكار في ذهنه، وهو يستعرض محتويات كل مستند بسرعة. أيقن حقيقة أن مشروعه كان في حال يُرثى له ولا يستطيع إكماله، وأن الأشهر القليلة الماضية كانت هدراً للطاقة، وهذا ما أشعره بالندم. أسرع مراراً وتكراراً في رفع المستندات الدنيوية التي تصف الحياة التي عاشتها إيلينا - التحويلات المالية من المدفوعات التي تلقتها، وبرامج المهرجانات - الآن بدا كل ما بين يديه هدرٌ للورق. يبدو أن التواريخ الموجودة في الجزء العلوي من الرسائل تبتعد أكثر فأكثر كلما تعمّق في الصندوق، حتى تضاءل أمله في العثور على ما يريد.

بعد ذلك، وصل إلى المستند الأخير في الصندوق؛ رسالة رسمية من هيئة طبية من نوع ما عليها ورقة ملاحظات. رفعها بفضول معتقداً أنها المستند المطلوب. خلال قراءته للمستند تبيّن له أنه نتيجة فحص يعود تاريخه إلى ما قبل سنتين، وصدر رداً على عينة قدّمتها إيلينا. تبيّن أن لا علاقة له بوضعها الصحي.

في منتصف الرسالة، ذُكر اسمه في الرسالة، بالأبيض والأسود؛ بجوار الإحصائية.

صُدم مما قرأه وبال بشكل لاإرادي، عندما شعر أن ركبتيه ما عادتا قادرتين على حمله. سقط على المنصة التي كانت تحمل تمثال إيلينا النصفي، ما تسبب في سقوطه على الأرض مما ترك فيه صدعاً.

إبين بريثرتش احتمال 99.9998 بالمئة.

دان

12:45

الآن يقف المحتجزون أعلى الدرج فوق مخرج الطوارئ، أما دورا، وكينفين، ودان فبقوا في الطابق الذي يعلوهم. لم يكن لديهم خيار سوى المرور عبر بعض الأبواب القديمة من دون استخدام الجهاز الخاص به، رأوا المحتجزين الموجودين أسفلهم، فطبّق دان البروتوكول الأمني ودفع دورا وكينفين على الأرض، ثم هبط فوقهما. افترض أن المحتجزين لم يروهم لأنهم لم يصدروا ضجة في الأسفل.

تفاجأ من أنه لا يزال يتذكر ما تدرّب عليه، مع أنه كان مخدراً معظم الوقت. إن محاولاته الحثيثة للظهور بحال تأهب خلال تلك الجلسات أدت إلى تركيزه الشديد على كل حركة علموهم إياها. تملصت دورا وكينفين من تحته، فمدّ يده بشكل غريزي لتغطية فميهما، مُطبقاً بذلك القاعدة 47 من الدليل: في حال كانت حياة المدنيين الأحرار الذين يتجولون في المبنى في خطر تُتخذ كافة التدابير لضمان صمتهم وتعاونهم. عضه كينفين، لكن دان تحمل؛ مخاطباً نفسه إنه سيتعامل مع ذلك في وقت لاحق. حدّقت دورا مباشرة إلى عينيه بذعر وهذا ما ذكّره بمشهد فيلم رعب رهيب شاهده في وقت متأخر من الليل.

عندما ألقى نظرة سريعة على المحتجزين لاحظ أنهم مستلقون، ولكنه لم يعرف السبب. تذكّر أنه رأى ساق أحدهم وقد رُفعت، وتذكر أنه رأى بقعة دم كبيرة، وهذا ما جعله يدرك خطورة ما ارتكبه. فكّر: هل كل المحتجزين قتلى؟

هل أطلق أحدهم الغاز المنوم في هذا القسم من المبنى؟ إن كان الأمر صحيحاً فسيُخدر هو ودورا وكينفين لأنهم موجودون في منطقة مكشوفة، فشعر بالتأهب أكثر مما كان عليه في الساعات القليلة الماضية، ثم فكّر ربما استلقى المحتجزون مستسلمين لقدرهم. بعد أن ييسوا من أن ينقذهم أحد.

لبرهة، ظل مستلقياً مع دورا وكينفين، مطوقاً إياهما بذراعيه. تعجب كينفين من هذا الحنان الغريب في مثل هذه اللحظة، فأدار ظهره لـدان، أما دورا ففعلت العكس، حيث ربتت الذراع التي وضعت عليهما. استنشق رائحتهم- الثلاثي غير المتوقع- فشـعر بالارتياح من استنشـاق رائحة خليط العرق والتوابل والبطاطا والخبز والأمونيا. أشعرته هذه الرائحة الغريبة بأن ثلاثة أشخاص لم يكن يجمع بينهم أي شيء قبل اليوم، يمكنهم الجلوس معاً بهذه الطريقة متحدين معاً.

أخرجه صوت نان مما يفكّر فيه، سمعها تتحدث إلى المحتجزين، تطالبهم بالكف عن الحركة، وإغلاق أفواههم. أدرك كل شـيء، بدءاً من ممارسـتهما للحميميـة، وصولاً إلى البـرودة في إلقاء الأوامر عليـه: توقف عن الحديث، جامعني. لكن الجديد بالنسبة إليه الآن هو الطريقة التي تطرح بها سؤالاً، ثم تبدو وكأنها تجيب عنه بنفسها، وكأنها تتحدث إلى نفسها أمام الجميع. تتحدث إلى نفسها بصيغة الجمع: لدينا ما يكفي من الرصاص لهم جميعاً. هل هناك شخص آخر يتعاون معها؟ في مكان ما، سمع صوت إغلاق باب، وخُيّل إليه أن أحدهم قد غادر، ولكنه لم يسـمع صوتاً في الصالة سـوى صوتها، ولم يتقبل أنها قادرة على إيذاء أحد، إنه يعرف أن سـجله حافل في اختيار النسـاء غير المناسـبات، لكن لم يسـبق له أن اختار امرأة غير متزنة، امرأة فشـل بشكل كامل في قراءتها على حقيقتها.

ثم تذكر: أنه لم يخترها، بل هي من اختارته.

أصغى فلم يسـمع سـوى الصمت. إنه الصمت الذي يُخيّم معظم الوقت على المكتبات. كان الهواء كثيفاً ويكاد يكون خانقاً. لم يسـبق له أن اختبر مثل

هذا الصمت؛ على الأقل ليس في السجن، حيث كانت تتخلل أصوات الطنين والأزيز والنقر الأيام والليالي؛ شخير رجل في الزنزانة الأخرى، وأصوات شيء يُجر على الأرض. لا يستحق السجناء الصمت بطبيعة الحال، أما رواد المكتبة فيستحقونه.

تستطيع الأجساد خرق الصمت بطريقة لا يتخيّلها العقل. شعر دان أن كينفين يكاد أن يعطس، وهذا ما ظهر من خلال انتفاخ أنفه، واضطراب عينيه، لقد عطس قبل أن يتمكن دان من القيام بأي شيء.

بعد ذلك لم يعد الصمت كما كان.

صرخت نان، وتردد صدى صوتها على الشرفة: «من هناك؟».

تبادل كينفين ودورا نظرة، ونظرا إلى دان الذي شعر لجزء من الثانية بالفخر، فافترضا أنه يعرف ما يجب عليه فعله. لكنه استلقى بخضوع لا يعرف ما عليه القيام به.

فكّر في مختلف الخيارات مع أنه يشعر بتشوش الأفكار.

الخيار رقم 1: الوقوف والاستسلام. يتقدم صوب نان ويترك كينفين ودورا حيث كانا. سيخرق بذلك القاعدة 124 من الدليل: إذا وقع هجوم إرهابي، فلا تترك المدنيين تحت أي ظرف من الظروف يدافعون عن أنفسهم.

الخيار رقم 2: التخلي عن كينفين والهرب مع دورا، لكنه شك بقدرة دورا على الهرب.

الخيار رقم 3: التخلي عن دورا والهرب مع كينفين، لكنه شك بأنه معجب به ليفعل ذلك معه.

ذكّرته هذه الخيارات بمعضلة الدجاجة والثعلب وكيس الذرة.

«هل هناك أحد؟». سمعوا صوت نان مرة أخرى، وبدا لهم أنها قريبة منهم، ربما كانت تتوجّه صوبهم.

كان لديه صورة مروعة عن الثعلب الذي يأكل الدجاج والدجاج الذي يأكل

الذرة.

«هل هناك أحد هنا؟». سمعوا صوت نان مجدّداً.

ثم تخيّل دورا وهي تأكله، وتخيّل كينفين يأكل دورا؛ النظام الهرمي الذي لا مفر منه من أكلة اللحوم.

فجأة صرخ دان: «نحن هنا».

قال كينفين: «ما الذي تفعله؟ ستقتلنا».

همس قائلاً: «قف، وخذ دورا معك، حسناً؟». تظاهر أنك أنت من تكلم.

«وماذا عنك؟».

هز دان رأسه. لن يُشكل كينفين ودورا أي تهديد لنان، أما إذا رأته فستشعر بالذعر من دون أن تعرف كيف تتصرف ردّاً على ظهوره. حدّق كينفين إليه، في انتظار المزيد من التبرير لهذه الخطوة المتهورة من جانبه، لكن دان لم يستطع التحدث، ليس الآن، خوفاً من أن يسمعه أحد. وقف كينفين وسحب دورا معه، وتوقع دان أن يفعل كينفين ذلك. وفرت حركتهما الفرصة اللازمة للتحرك السريع عبر الممر. سمع نان تصر على حضور كينفين ودورا إليها في الأسفل.

سمعها تقول: «أنتما من أصدر الصوت» غير مبالية وكأنها تنتظر أن يُقدم لها الطعام في المقصف: «استلقيا من فضلكما، استلقيا، وكونا هادئين. طالما التزمتما الصمت، ستكونان بخير».

فعلا ما أمرتهما به. تجمّد دان في مكانه ولم يتمكن من التحرك أبعد من ذلك خوفاً من اكتشاف أمره. استمع إلى صوت الأنفاس في الأسفل. بعضها منخفض، وبعضها غير منتظم. استرخى بعضهم في النوم، كونه بدا أسهل في هذا الوقت من الوعي، كما أن مَعدات بعضهم أصدرت أصواتاً محتجة على منعهم من تناول الطعام.

عرف دان ما سيأتي بعد ذلك.

شرعت دورا تقول: «ربما أستطيع أن أعطيهم شيئاً ليأكلوه. أعني الطعام...

إنه شيء جيد في مثل هذا الوقت».

صمتت نان لبرهة، وعندما تحدثت، تفاجأ بنعومة صوتها.

قالت: «هذا عنوان قصةٍ قصيرة، أليس كذلك؟»

«نعم، إنه جزءٌ منه، لقد نسـيت العنوان الكامل، كان عن شيء يجب القيام به مع الطعام».

قالت نان: «يموت الابن في القصة، في النســخة الأصلية من القصة أليس كذلك؟ ويأكل الأهل الكعك في المخبز، عندما يكتشفون أنهم جائعون بالفعل، رغم أنه لا يجدر بهم أن يكونوا كذلك حقّاً. كانت لحظةً مريحة بشكلٍ غريب، يبدأون بتناول كعكة واحدة، ثم أخرى، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أنهم سيقومون بوظائفهــم مرة أخرى، بطريقة أو بأخــرى، على كلّ حال، لن أُمانع أن تعطيهم شيئاً ما كي يأكلوه».

نظــر دان إلــى الحافة بحذر، فلمح دورا وهــي تبحث في مئزرها وتخرج كيســاً يحتوي على شيءٍ ما، وتشقّ طريقها بين الناس، الذين استعادوا حيويّتهم الآن، ولكنهم بدوا مترددين قليلاً، وكان واضحاً أنهم غير متأكدين مما يجب أن يتحدثوا عنه في ظل هذه الظروف، حتى لو طلب منهم التحدّث في هذه الفترة الغريبة، فما الذي يمكنهم قوله عن أمينة المكتبة التي تسير والمسدس في يدها.

ســمع دورا تحــث امــرأة حامل على تناول قطعتين مــن الكعك بدلاً من واحدة، وتحدثت عن الطريقة التي يمكن لارتفاع نسبة السكر في الدم أن تحول دون الغيبوبة. حذا المحتجزون حذوها، وبدأوا يتحدثون بأي مفردات متبقية في رؤوسهم بعد الصدمة التي تعرضوا لها.

«نعم، لم يسبق لي أن زرت هذا الجزء من المبنى من قبل... مثير للاهتمام، أليس كذلك؟... لم أكن أعرف بوجوده». بدا الأمر بالنسبة إلى دان وكأنه حفل إطلاق كتاب أو حفل استقبال مميت.

بمجرد أن أصبح الضجيج مقبولاً وأشــعره بالأمان. أصبح قادراً على فتح

الباب ودفع نفســه إلى الممر حيث يعمل فريق الإدارة. زحف عبره محاولاً أن يبقــى صامتاً قــدر الإمكان متجاهلاً وجود فريق الإدارة والقبضات التي تضرب على الزجاج العازل للصوت أثناء مروره، محاولين لفت انتباهه لكي ينقذهم.

لــم يســتطع القيام بأي شــيء من أجلهم لأن الجهــاز الخاص به لم يكن بحوزتــه، وحتــى لو كان بحوزته، فقد عرف أنه مــن خلال تجاهلهم كان يقوم بإنقاذهم. عرف الآن أين كان الخطر، وأن بروتوكول السلامة كان واضحاً تماماً. كانوا أكثر أماناً في الداخل منهم في الخارج.

آنّا

1:00

أســرعت آنّا نحو الأرشيف، وتحرّكت بخبرة عبر ممرات المتاهة بالطريقة التي لا يســتطيع التحرك وفقها ســوى موظف أرشــيف. غادرت منطقة الكُتب النادرة، صوب أرشــيف الأفلام والتلفاز، مروراً بالقاعة ذات المقاعد المخملية الزرقــاء التــي لم تعرض فيها أي أفلام منذ فتــرة طويلة، نزولاً إلى الغرف التي رُممــت، متجاوزة حجرات البوابين، مبحرة في المتاهة بســهولة. حدّقت إليها وجوه من العصور الغابرة وهي تشــق طريقها عبرها: حدقت إليها عيون مظلمة حزينة من تلك اللوحات التي لم تعد ترى النور أبداً، هؤلاء الذين كان عليها أن تضغط عليهم، على أمل ألا تقشر طبقة من وجوههم بقميصها.

انقلبت مجموعات من الورق والخرائط الرقيقة رأساً على عقب حيث كان الظلام شديداً. لقد كانت في الخارج لأن أحدهم أراد رؤيتها والاطلاع عليها. لا يمكــن عرضها كلها في وقت واحد، ويجب وضعها في مكان ما. كافح موظفو الأرشيف من أجل إيجاد مكان لها. عندما بدأ الحظر، واجه العاملون صعوبة في إيجاد مكان لها، لقد أصبحت هذه الأشياء الثمينة مصدراً للخطر، وسبباً للموت، لــذا توجّب عليهم إبقاؤها بعيدة عن الأنظــار، لأنها مليئة بالجراثيم، ولكن مع ذلك يجب الحفاظ عليها. أصرت رئيســة المكتبة على أن الزوار لا يجدر بهم رؤية هذه الفوضى. تحتاج المكتبة إلى التمســك بصورة النظام والدقة، وإخفاء سر أنهم كانوا دائماً على بعد ورقة من أن يموتوا بسبب تاريخهم الخاص.

ستكون الهندسة المعمارية غريبة جداً وغير منطقية في مكان مثل هذا. في بعض الأحيان تحتاج إلى الصعود إلى الأعلى لتعثر على أفضل وأسـرع طريق ممكـن للنزول، اتجهت آنّـا نحو العلية، حيث تم تخزين تمثال نصفي لوالدتها إلى جانب التماثيل النصفية الأخرى التي كانت تنتظر بفارغ الصبر وفاة أصحابها الحقيقيين. كرهت والدتها التمثال النصفي بشـدة، قائلة إنه لا يشبهها حقاً، وأن النحّـات تعمّـد أن يصنع لها ذقنين بدلاً من ذقن واحد. عندما ماتت، كان ذلك عزاء لكليهما. أوصت المسـاعدة الرئيسـية دان بإزالته ووضعه في الأرشـيف، وراقبتـه آنّا عبـر الكاميرات، وأخبرت نان أنهـا أرادت التأكد من عدم تعرض التمثال للتلف أثناء النقل. لقد فعلت ذلك لسـبب أهم، أرادت أن تراهما معاً. على الرغم من ضعف علاقتهما، وإن كان دان غافلاً عما يعنيه لها ذلك التمثال البرونزي النصفي.

في ذلك المسـاء عملت آنّا ونان وقت متأخر، وعادتا إلى الأرشيف لتنظرا إلى المكان الذي وضع فيه التمثال النصفي. وضعه دان بشـكل غير مناسب في زاوية الأرشيف، بجوار مجموعة من دفاتر يوميات والدتها، حيث كانت عيناها تظهران فوق صف من الأغلفة الملونة الجلدية، شـرعت نان تبحث عن مكان أفضل للتمثال، فقررتا وضعه على الرف الفارغ المطل على مكتب الأرشـيف. سيكون الأرشيف المكان الأفضل، فعندما يأتي إبين، ستنظر إليه إيلينا من فوق كتفه، وستهتز في اللحظة التي سيجلس فيها.

تذكّرت آنّا أنها ذُهلت من كمية المواد التي تخص والدتها. لقد واظبت على التبرع بانتظام طوال حياتها، وأصرت على أن يهتم موظفو الأرشـيف الآخرون بمجموعاتها لتحث آنّا ونان على مواصلة القيام بأعمال الترميم المهمة الخاصة بهما. كانت مجتهدة في هذا ومبتذلة في كل شـيء آخر. قالت مازحة: «ربما لا أكـون مدبـرة منزل جيدة، لكن عندما أموت، سـتكون كل يومياتي في محلها، سـترتاحون من فكرة غربلة كل شيء في محاولة لإدراك كل هذا». عندما ماتت

تبيّن عدم جود أي شـــيء مخبأ تحت ســريرها أو في خزانتها، باســتثناء مكتبتها الشخصية الواسعة.

في تلك المرحلة، كانت قد مضت أســابيع على المرة الأخيرة التي كتبت فيهــا. صدر آخر كتاب حقيقي لها قبل ســنتين؛ قبل حظــر الورق تماماً، فظهر كتابهــا كأحد آخــر الكتب المطبوعة في هذه الدولــة الصغيرة، وهذا ما جعلها تفخر بنفسها. احتفظتا بشيء واحد منها وهي الرسالة المفتوحة التي تركتها على حاســوبها المحمول، والتي أرسلتها إلى وسائل الإعلام، ولامت فيها إبين على موتهــا. أخفت صراحة أنها تريــد الانتقام منه. حاولت نان إقناع آنّا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقديمه إلى العدالة. لكتابة نهاية أفضل للقصة، عندما يُعلن أن إيلينا كانت ضحيته.

فــي بعض الأحيان، فكّــرت آنّا عندما كانت تعد هــذه الخطة، ربما كانتا تحــاولان أن تكونا مبدعتين بطريقة لم يســبقهما إليهــا أحد، وكأنهما تحاولان التكفير عن خيبة الأمل التي شــعرتا بها تجاه والدتهما. منذ البداية، شــجّعتهما والدتهمــا على التعبير عن نفســيهما من خلال الكتابــة، ربما أحبتا الكتب التي قرأتهــا لهما عندما كانتــا طفلتين، وقدّرتاها بطريقة جمالية تقريباً، لكن رغبتهما فــي امتلاكها مثل الكنوز تجاوزت رغبتهما في الاســتلهام من محتواها؛ أرادتا المشاركة في الرحلة التي تقدمها الكتب نحو العالم والمستقبل الذي يتجاوزهما. يزدهر الإبداع عندما يريد الشــخص ذلك، في كثير من الأحيان. اعتقدت آنّا أن حظــر الــورق في حدّ ذاته، جعل العملية برمتهــا عديمة المعنى. فالتخلص من الورق، يعيق الحاجة إلى الإبداع، ويُنشــئ أمة من أمناء المحفوظات والفنيين، ممن يقومون بتخزين العمل لمستقبل غامض.

دخلت آنّا إلى ممر أزرق اللون مخصص لأهم المجموعات. شعرت الآن بأن وزنها خفيف، وبأنها مســتعدة لأي شــيء، وبدا أنها تطفو تقريباً فوق نهر اللينوليوم الذي يؤدي إلى الباب في الطرف البعيد من الممر. يجب أن تفعل ذلك

بسرعة، فكّرت في سرها، قبل أن يكون لديها الوقت للتفكير في الأمر كثيراً. كم سيمضي من الوقت قبل أن يجدوها ويعتقلوها؟ تساءلت إن كان لديها ما يكفي من الوقت للجلوس هناك وقراءة بعض يوميات والدتها. هل ستكون قادرة على القيـام بذلـك، وهناك جثة عند قدميها؟ كان هناك بند في وصية إيلينا ينص على عـدم اطـلاع أحد على يومياتها قبل وفاتها هي وابنتيها، وكان هذا البند يشـمل بالحظر آنّا ونان. انزعجت آنّا عندما اطلعت على الوصية، لأنها منعت من إلقاء نظرة على يومياتها، والتواصل معها، بعد أن فقدتا أي وسـيلة أخرى، ولكن نان أخبرتها أن والدتهما سـعت من خلال هذه الوصية إلى أن لا تتذكرا منها سـوى الأم الحنون، المرحة، واللطيفة، وليس أفكار الكاتبة ومشاعرها بعد أن مرضت.

قالـت نـان: «ربما ورد في يومياتها أمور تتعلق بنا، من غير المفيد أن نطلع عليهـا، هـل يمكنك تخيّل صعوبـة تعامل أم عزباء مع تـوأم، ربما ذكرت في يومياتها أنها تمنت لو أننا لم نولد، إن يومياتها مخصصة للمستقبل، وليس للوقت الحالي».

فكّـرت آنّا في أن الطريقـة الوحيدة لإيصال إبين إلى المكان الذي تريدانه بالضبـط، تتمثل بالموافقة على طلبه، ورفـض جميع الطلبات الأخرى، فليس مهماً ما الذي سـيقرأه أو يكتشفه؟ فهو سيموت على أي حال، وسترافقه أسرار إيلينا إلى أي مكان سيذهب إليه. لقد منحتاه امتيازاً حرمتا نفسيهما منه من أجل استدراجه إلى هنا. عندما يموت ستتحلل المعرفة التي حصل عليها مع جسده، وفي نهاية المطاف ستصبح غباراً.

فكّرت آنّا في أنها ربما سـتقرأ واحـدة من اليوميات، قبل أن يأتوا للقبض عليها. تمنت لو يعود بها الزمن إلى عام خلا، حيث كن يعشـن بأمان وسـلام، لتتاح لها فرصة سـماع صوت والدتها، لتحتفظ بصوتها وتأخذه معها إلى حيث سيأخذونها بعد تنفيذ الخطة، لتتاح لها فرصة رؤية خطها، وهو شيء منعت منه منذ سنتين بعد حظر الورق. ذلك الخط المعكوف، ذلك الخط الذي كانت تكتب

به على بطاقات أعياد الميلاد، وقوائم التسوق، والملاحظات التي تكتبها لجنية الأسنان وتضعها تحت الوسائد.

الآن، أصبحت آنّا خارج غرفة الأرشيف، في البدء، ضغطت بواسطة الجهاز الخاص لترى إن كانت تستطيع تعطيل نظام إخماد الحرائق، لأنها كانت قلقة من أن الحرارة التي ستنجم عن إطلاق الرصاص قد تُشغل النظام، وهي التي سمعت أن ثاني أكسيد الكربون الذي قد يطلقه النظام سيكون كفيلاً بقتل الإنسان في غضون ثوانٍ. وقد سرت دعابة بين الموظفين تشير إلى أنه في حال اندلاع حريق في إحدى غرف الأرشيف، سيموت الموظف في غضون ثوانٍ وستبقى الكتب بخير. لكن هذا النظام لن يستطيع حماية مجموعتهم النادرة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى غرف الأرشيف، والتي تُركت في صالة العرض من دون حماية. لقد أرعبتها تلك الأخبار، لأنها عرفت ما كانت النتيجة، وذلك يعود بجزء منه إلى خطائها.

فكّرت آنّا وشقيقتها لفترة قصيرة في أن الطريقة الوحيدة للتخلص من إبين تتمثل بإطلاق نظام الإخماد أثناء وجوده هناك. وسينتهي الأمر خلال فترة وجيزة. ستمتلئ الغرفة بثاني أكسيد الكربون أثناء عمله بصمت، وسيتساءل لماذا أصبحت قراءة الكلمات أكثر صعوبة، ولماذا ترتفع عن الصفحة من تلقاء نفسها، ولكن بحلول الوقت الذي سينظر فيه إلى الأعلى ويحاول الإمساك بها، لن يكون لديه سوى جزء بسيط من الثانية ليستنتج أنه لن يكون هناك مزيد من الكلمات ليقرأها مرة أخرى، لأنه سيختفي من الوجود، ولكن هذا الموت سيكون سهلاً بالنسبة إليه، سيموت من دون ألم بخلاف ما فعله بوالدتهما، لقد أرادتا أن يعرف أنه يدفع حياته ثمن ما سلبهما إياه.

عندما مررت الجهاز أمام الشريط، سمعت نقرة أخرى وصوت صفير، قبل أن ينفتح الباب، وتدخل.

إيبين

1:30

أخيراً، فُتح الباب الذي كان مغلقاً منذ ســاعات، ووقفت إحدى توأم إيلينا عنــد مدخلــه. ترنّح مما قرأه في يوميات إيلينا، ووجد صعوبة في تصديق كل ما يراه، أو ما استحضره عقله المشتت من لا شيء. إنها تشبه والدتها إلى حدٍّ كبير، ساقاها أطول قليلاً، ذقنها بأبعاد مختلفة، وشعرها ناعم ومستقيم، إنه يبدو وكأنه شــعر مستعار بخلاف شــعر إيلينا البوهيمي المتمرد. لقد كانت إيلينا، لكنها لم تكن كذلك أيضاً؛ ضج عقله بأفكار وأشياء أخرى.

فكّر وهو يشعر بتقلص في معدته، هذه الأشياء الأخرى قد تكون مجموعة مــن الجينات التي ورثتها عن والدها. حصلت عليها من الســائل المنوي الذي تبرع به. ليس هي فقط، بل شقيقتها أيضاً.

إنها تضع إحدى يديها خلف ظهرها لتخفي شــيئاً ما، وبدا وجهها شــاحباً بشــكل غير طبيعي. اســترخى قليلاً، إنه يعرف أنها تعمل هنا، وظن أنها أُرسلت لتفتــح له الباب، هذا كل مــا يعرفه. لم يكن الوقت يتيح تبادل المجاملات، أو ليخبرهــا عمــا عثر عليه، أراد أن يلقي نظرة أخرى على الرســالة، التي وضعها في بنطاله المبلل بالبول، بحيث لا يُفكّر أي شــخص ســليم العقل في أن يبحث عنها هنا.

قال: «لقد مضت عليّ ســاعات وأنا محتجز هنا». قرر أن التصرف بوقاحة هــو أفضل طريقة ليجعلها تحافظ على مســافة بينهــا وبينه. ألقى قفازه بغضب

على الطاولة أمامه، وبعد أن فكّر، خلع سترته على عجل وأرجحها أمام بنطاله. تمنى أن يغادر من دون أن تُراق كرامته، خصوصاً أنها شمت رائحة البول من دون أن ترى البقعة على بنطاله «إذا سمحت، أريد أن أغادر فأنا مرتبط بموعد وقد تأخرت».

أبطأ من حركته وتوقف عندما مرّ بالقرب منها، توقف ليتفحّص ملامحها، فرأى فيها شيئاً من ملامح جدته، وأقاربه الإناث، وخاصة شقيقته، رأى شيئاً منهن جميعاً يظهر في عينيها، ووجهها، وتعابيرها الغريبة المستاءة. حتى صمتها بدا له مألوفاً. أضف إلى ذلك، أنها كانت تعترض طريقه وتحول دون مروره.

ضحكت، فظنها رأت البقعة على بنطاله مع أنه كان يؤرجح سترته، فكّر أن ضحكتها هذه ستكون أقل الإهانات التي تعرض لها في الساعات القليلة الماضية، ولكنه شعر بالألم بالإضافة إلى الإهانة، عندما أدرك أن من تضحك عليه ليست شخصاً غريباً بل ابنته، الذي يُفترض في ظروف أخرى أن يكون مثالها الأعلى. لاحظ كيف بدا ضعيفاً واستصغر نفسه عندما خاطبها بطريقة غير أبوية طالباً إذنها للمرور بقول: «هل أستطيع المرور...».

أدرك أنها هي من تقف وراء احتجازه هنا، وذلك عندما أظهرت ببطء ما كانت تخفيه خلف ظهرها؛ إنه مُسدس، دنت منه، بخطوات ثابتة، وصوّبت المسدس مباشرة نحو جبهته. بالرغم من كل ما فكّر فيه من سيناريوهات كارثية عن الإرهابيين والقنابل، لم يُخيّل إليه أن يكون هدفاً لغضب أحدهم، وأن يكون هو الوحيد الذي يفترض به أن يخاف. نظر بيأس إلى الكاميرا في الزاوية البعيدة من الغرفة، وسأل نفسه ما الذي تفعله؟ من المستحيل أن يرى أحد ما الذي يحدث؟ هل يُفترض به أن يطلق جرس إنذار؟ هل سيأتي أحد لإنقاذه.

لقد تجمدا. أشعره السلاح المصوّب أعلى نظارته بالحقيقة المؤلمة. مرت ثوانٍ، ولم يشعر بأن هناك خلاصاً من هذا الموقف، لم يكن هناك حركة أو صوت سوى صوت شهيقه وزفيره.

أخيراً، التقت نظراتهما، وتفحص وجهها بحثاً عن أوجه التشـابه، هل هذا الشعر الأحمر الذي ينسدل من رأسها هو الشعر الأحمر نفسه الذي غطى رأسه قبل أن يتساقط معظمه؟ هل هذا الأنف هو أنف والدته الحاد المنذر بالغضب؟ وهل عظم فكها هو عظم فك جدتها؟ وهل عيناها الخضراوان هما عينا الشاعر إبيـن الذي قرأ عنه في أحد اقتباسـات نيكولاس؟ وهل تظهر جيناته من جديد في هذه الفتاة بعد أن غطت في سبات طيلة عقود؟ إن لم تكن تدري، فسأخبرها الآن، فربما يتغير الوضع، إن كانت تشـهر المسـدس عليه لهذا السبب، فما عاد لذلك من جدوى.

«هـل... أنتِ، ... غاضبة مني لأنني... مهلاً هناك شـيء أريد أن...». لم تكـن أنفاسـه منتظمة، وكان يعاني من أجل إخـراج كل كلمة، لم يجد طريقة، ليعبّر عمّا فعلته إيلينا به.

صرخت عليه قائلة: «لا تقل شـيئاً». التفت حوله، بحيث أصبح المسـدس مصوباً على الجهة الخلفية من رأسه، ركلت كرسياً نحوه، ودفعته إليه: «لقد اكتفينا مما قلته، طوال الوقت كنا نسـتمع إليك، نحن نعرف أنك لسـت ناقداً محايداً، وأنك تعمل وفق جدول أعمال خاص».

ناقد، وليس أباً. يبدو أنها لا تعرف ما الذي ينتظرها، فكّر إبين في المرات القليلة التي سبق له أن رأى فيها التوأم، في حفلات إطلاق الكتب، وفي الفعاليات الأدبية وهما تمران أمامه في المكتبة، لقد كانت كل واحدة منهما نسـخة طبق الأصل عن الأخرى، كان يعرف اسـميهما، وتسـاءل من هي نان؟ ومن هي آنّا؟ ابنتاه. فجأة خطرت له فكرة، أشـعرته بالإثارة والاشمئزاز في الوقت نفسه. من دونه ما كانتا لتوجدا. لقد أنتج شـيئاً مادياً، من لحم ودم، ليس شـيئاً واحداً بل شـيئان. كان مسؤولاً عن وجود كائنين بشرين، وبالتالي لم يكن عديم الجدوى كما ظن نفسـه. فكّر مجدّداً، أسـتطيع أن أغيّر حياتي في أي لحظة، مستحضراً التأكيـدات التي طلبت منه المعالجة النفسـية أن يقوم بها كل يوم. الآن تغيّرت

حياتي بشـــكل جوهري، ومع أن الأمر بدا مســـتغرباً، ولكنه لم يكن غريباً غير مرحّب به تماماً.

«مهلاً نان... هل أنتِ نان أم آنّا؟ هناك أمور كثيرة نحتاج إلى مناقشتها».

«ما الذي يهمك أيهما أنا؟». ســـمع صوتها يأتي من خلفه، ومع أنه لم يرَ وجهها بدت له فضولية، لم يعرف إن كان سؤالها هذا خادعاً.

«يجـــب علينا أن نتحدث يـــا آنّا، أنت آنّا أليس كذلك؟». غامر إبين، كانت فرصة أن تكون إجابته صحيحة خمســـين في المئة، عندما لم تقل شـــيئاً، عرف أن الأمر يستحق المخاطرة «انظري آنّا، بغض النظر عمّا تظنين أنني فعلته...».

«ما الذي أظنك فعلته؟ لقد قتلت أمنا، وحرمتنا منها».

«مهلاً، لم أفعل شـــيئاً، أعرف أنك تشـــكين فيّ مثل الجميع، ولكن لديّ ما يثبت العكس، دعيني فقط أظهر لكِ...».

صاحت، وقد ترافق ذلك مع انهمار دموعها: «لا، لا تحاول إثبات العكس، لقد سبق لك أن أقنعت الشرطة، لن تحاول فعل الأمر نفسه هنا...».

«لكن من فضلك، لديّ دليل أهم مما أدليت به أمام الشرطة، لديّ...».

اســـتجمعت شـــجاعتها وقالت: «حاول أن تتفوّه بكلمة أخرى، وســـأفجّر رأسك اللعين».

عادت ووقفت أمام الكرســـي، ضمـــن مجال رؤيته، وإصبعها يتحرك على الزناد، في غضون ذلك، فكّر في الظروف التي جعلت الأمر ينتهي به هنا، وكل المرات التي رُفض فيها طلبه، لأنه لا يجوز الاطلاع على يوميات إيلينا بحسب وصيتهـــا، إلا بعد وفاتهـــا ووفاة ابنتيها، ومع وجود مثل هذه الوصية، ها هو في غرفة الأرشـــيف التي احتُفظ فيها باليوميات، لا يســـتطيع أن يُصدق أنه وقع في الفـــخ، بل ســـار إليه بقدميه، لم يصدق أنه تأنق قبـــل أن يأتي إلى المكان الذي سيموت فيه.

«أنـــتِ لا تعرفين كم هو ســـيئ ما تقولينه، لقد كانـــت والدتك امرأة قوية،

ولكن عندما يتعلق الأمر بأعمالها كانت تصبح شـديدة الحساسـية، لقد كانت أعمالها أولاداً لها».

«وأنـت هاجمت أولادها، كل واحدة على حـدة، أخبرت الجميع أنها لا تستحق المكانة الذي تحتلها، قد لا تكون أقنعت الجميع، ولكن البعض اقتنعوا بما قلته، أقنعت أشـخاصاً أرادوا النيل منها، لم يريدوها أن تكون قوية كما هي دائماً، وهذا ما أدى إلى انتحارها، قررت أن تمنحك ما تريده، في النهاية لم تعد قادرة على تحمل الهجوم الذي تعرّضت له».

سالت الدموع على وجنتي الفتاة، وبدت له صادقة في ما تقوله، ربما لأنها قررت تجاهل السـبب الذي جعل والدتها تنتحر لأنه يؤلمها، وربما لأنها رأت أن من الأسهل إلقاء اللوم عليه. هل كانت تعرف السبب الحقيقي؟ مع أنه كان يفكر في الإفصاح عنه، ولكنه لم يكن واثقاً من أنه سيكون كافياً لإنقاذه. ولكن بما أنها كانت تضغط بشدة على الزناد، لم يستطع المخاطرة بالكشف عن شيئين ربما يكونا صادمين، فهو لا يسـتطيع أن يغامر، بعد أن أخبرته أن كلمة واحدة، أو جملة واحدة، ستضع حداً نهائياً لحياته؟

لم يعد أمامه سوى أن يغمض عينيه، ويصغي إليها، والموافقة على ما تقوله. وهو يفكّر في الأمر، افترض أن تكون إيلينا قد اسـتخرجت حمضه النووي من خلال وشاح نسيه في إحدى حفلات إطلاق الكتب. لقد تبدّلت التشريعات قبل عدة سـنوات، فإذا اشـتبهت أم بهوية الأب، يمكنها أن تقدم عينات، وإن كانت محقة، تتأكد من شـكوكها؛ إنها نوع من اليانصيب العلمي. مع أنهما لم يكونا على معرفة شخصية، إلا أنها كانت تعرف عنه ما يكفي، لتدرك أنه لن يعود إلى الصالة بعد أن هاجمته علناً، بعد أن أدلى بتعليق جريء يومها. وقتها أقنع نفسه أنه لا يهتم بأمر الوشـاح، لأنه لا يروق له، تخيّلها وهي تقترب من الوشـاح بعد أن فرغت الصالة، وتسأل عمّا يخبئه من أسرار. لماذا أرادت أن تعرف؟ كان من الأسهل ألا تعرف، حتى وإن كانت لديها شكوك.

ضغط شفتيه، وتجرأ على إصدار صوت، لا يشبه أي صوت سبق له أن أصدره. كان صوتاً مفعماً بالرعب واليأس؛ إشارة إلى رغبته في الكلام، لكنه لم ينقض قاعدة الصمت.

قالت آنّا بسخرية: «أظن أنه يحق لكل شخص أن يدلي بخطاب أخير، ولكن اجعله موجزاً».

فكّر في أن الكلمات التي سيقولها ستعني شيئاً، إنها سبيله الوحيد للنجاة. فكّر في كل الأيام التي جلس فيها أمام حاسوبه المحمول، ووجد نفسه يكتب كلمات غاضبة، ثم يمسحها، ويعيد الكرّة من جديد. نادراً ما كان يعثر على ما يريد كتابته منذ المرة الأولى، ودائماً ما يكون أسلوبه خاطئاً، وتظهر خلفيته من وراء الكتابة بشكل واضح، لكن الآن عليه أن يحاول صياغة جمله بشكل مثالي.

بدأ بالقول: «صدقيني أنني كنتُ معجباً بوالدتك، لا أظن أن أياً مما كتبته ألحق بها أذى، على الأقل ليس بالطريقة التي تظنينها».

لم تُبعد المسدس عن وجهه، فقد كانت على الأقل تستمع إليه.

ردّت عليه: «ألا تعتقد أن عدم تقديرك لها ألحق بها الأذى؟ بالطبع لا، كانت دعابة، وكما تعرف عندما تُكرر الدعابة كثيراً لا تعود مضحكة، وعلى الرغم من أنك تظاهرت بأنك تُسلّط الضوء على نقاط الضعف في أعمالها، إلا أنك كنت تحاول خلق نقطة ضعف فيها، وهذه النقطة أدت في النهاية إلى انتحارها، أليس كذلك.»

«لكنها كانت تعاني من ضعف أليس كذلك؟». نظر إلى الأعلى وبدت عيناها ترجوانه، وعندما نظرت إلى الأسفل، لمح في عينيها نظرة مرعبة، سبق له أن لمح مثل هذه النظرة لدى خالته نورا التي توفيت منذ فترة طويلة.

سألته آنّا: «ما الذي تعنيه؟». بدا جلياً أنها لم تكن تعرف عن مرض والدتها أيضاً. اعتقد أنه من الخطير الكشف عن الأمر الآن. لأنه من الأفضل أن يطلب منها أن تبحث بنفسها.

فكّــر في أن الطريقة الفضلى، تتمثل بالتحدث إليها ليظهر لها في البدء كم هو صادق، وأنه لا يتحمل مســؤولية انتحار إيلينا، وبعدها يكشــف لها أنه من المحتمل أن يكون والدها، لأنه إذا أخبرها بهذا الاحتمال أولاً، فربما يثير ذعرها، وهو لا يعرف ما سيترتب عليه.

نظرت آنّا إلى اليوميات. للحظة لم تعد توليه كل اهتمامها، ففكر بانتشــال المسدس من يدها، ولكنه اكتفى بالتفكير في الأمر، ولم ينتقل إلى مرحلة التنفيذ، فهو دائماً ما يبالغ في التفكير، ماذا لو أطلقت عليه رصاصة؟ وهي التي وعدته بأنها ستطلق على رأسه. ماذا لو انطلقت الرصاصة وأصابت وسط وجهه خلال عراكــه معهــا من أجل انتزاع المســدس من يدها؟ ماذا لو حصل ما هو أســوأ وأصابتها الرصاصة في مقتل، واتهم بجريمة قتل أخرى؟

«أيــاً يكن مــا تظن أنه يمكنك إثباته...» بدأت، الآن مركّزة تماماً على إبين مرة أخرى.

«أنا واثق من أنني أستطيع أن أثبت. من فضلك، اطلعي فقط على اليوميات. أعدك أنني لن أتحرك، اطلعي عليها فقط.»

إذا كانت الرســالة من إيلينا ســيكون الوضع أفضل، بدا جلياً أن آنّا تفكّر في ذلك - يمكنه أن يرى ذلك الآن من خلال طريقة خفضها للمســدس قليلاً، اقتربت بتردد من اليوميات الزرقاء. وصل الوقت الذي أدرك فيه أنها ستضطر إلى التوجّه لالتقاطها، وهذه ســتكون فرصته. كان الباب مفتوحاً الآن خلفها، حيث تنتظره حريته، وبراءته، وبقية حياته خلف هذا الباب.

لكنها استدارت، وفي هذه اللحظة، توقف عن التفكير وترك الأمر لجسده، ليقف ويبدأ في الهروب. لكن بمجرد أن خطت خطوة واحدة إلى الأمام، كانت قــد ضغطــت على الزر في الجهاز الخاص لتغلــق الباب، فبدأ يُغلق في الوقت الذي حاول فيه الوصول إليه، وبسبب حجمه لم يستطع أن يتسلل. شعر بالباب يكاد يســحق ذراعه، فسحبها إلى الوراء، ووجد نفسه على الجانب الخاطئ من

الباب، وقريباً من جسد آنّا، التي دفعت بفوهة المسدس إلى فمه الذي فغره من شدة الرعب.

صاحت في وجهه: «هل هذا كل شيء، هيّا اهرب».

«لكنني لم أكذب بخصوص اليوميات. من فضلك... يجب عليك أن...»

«سأطلع عليها في وقت لاحق.»

لقد عنت بوقت لاحقاً، بعد أن يموت. شعر إبين فجأة بتسرب البول مرة أخرى. نظرت إليه مشمئزة. على الرغم من أن لديه ورقة رابحة واحدة متبقية، لا يبدو أن الوقت مناسباً لاستخدامها. احتج: «إذا قتلتني ستندمين، وستمكثين سنوات في السجن».

«سأدخل السجن من أجل سبب وجيه، وسأُخلّد». أدرك من خلال نبرتها أنها هي نفسها لا تُصدق ما تقوله.

همس: «ليس هناك سبب وجيه يحملك على قتل أي إنسان، إذا أردت أن تُخلّدي فافعلي شيئاً آخر».

«أوه، إذا قتلتك سأُخلّد، فأنا لن أقتل شخصاً عادياً، أليس كذلك؟ فكّر في عدد الكاتبات اللواتي سأنقذهن منك؟ سأنقذ كل الكاتبات الجديدات اللواتي تخطط لتدميرهن، سأسدي خدمة للدولة، بأن أخلّصها من شخص سيجعل الكاتبات يشككن بأنفسهن، سأؤدي خدمة للدولة لأن الكاتبات لن يضطررن لحذف كثير من الجُمل لأنهن يخشين من انتقاداتك لهن بسببها، سأُخلّد لأنني سأُعتبر منقذة».

بدت الآن أكثر هدوءاً، وكأنها ستنفذ جريمة سياسية تضفي على فعلها الشرعية، ولكن إذا نظر إليها بعناية- وقد فعل ذلك عندما اصطدم بها- يستطيع أن يرى كم هي خاوية، لم تكن كلماتها تُعبّر عن حقيقة ما تشعر به، لقد كانت كلماتها منفصلة عن حقيقتها، وكأنها تريد أن تظهر وكأنها شخص مختلف عمّا هي عليه.

لقد كان النقاش معها مستحيلاً، فأدرك أنه ميت لا محال، أغمض عينيه، وحاول العودة إلى حال الظلام الذي كان عليه قبل عدة سنوات، عندما كانت إيلينا في قمة قوتها وتأثيرها، وقتها بدا واثقاً أنه لن يستطيع أن يُحقق شيئاً، لذا قرر أن ينتحر، لكنه لم يستطع الانتحار بالطريقة الصحيحة بخلاف إيلينا، صحيح أنه وقف على كرسي، وربط حبلاً حول عنقه، ولكن الحبل انقطع بسبب وزنه، وانتهى به الأمر على الأرض، وقد فقد إحدى أسنانه، وأمضى المساء عند طبيب الأسنان. ربما كان الحل الوحيد أن يُفكّر بأن شخصاً قد جاء ليفعل ذلك بالطريقة الصحيحة هذه المرة.

«ودّع العالم يا إبين، فهو سيكون أفضل من دونك».

ضغطت المسدس أكثر على جبينه، عندما لامست فوهة المسدس جلده شعر بالألم، وبدا من عينيها أنها جادة في تنفيذ ما تهدد به.

«لقد انتحرت لأنها كانت... انظري، أنت لا تفهمين، أو لا تريدين... حقيقة والدتك هي... حقيقتي هي أنني...».

لم يستطع إبين إخراج الكلمات. كان هناك جزء منه يتساءل عما إذا كان مخطئاً بعد كل شيء. أو إذا كانت تلك الأوراق خدعة أخرى. بمجرد أن يُطلق تلك الكلمات، لن يكون هناك طريق لإرجاعها.

«انظري، آنّا، أنا والدك...»

أطلقت رصاصة من المسدس، وترافق ذلك مع سقوط أشياء من الأعلى، بدا له الأمر وكأن المبنى انهار فوقه، وكأن العالم كله يتفكك. فوجد نفسه على الأرض وقد غطاه لوح السقف، وقد غطى الجبس والغبار عينيه، بحث عن جرح في جسده، منتظراً أن يشعر بالألم، ولكنه دهش عندما لم يرَ جرحاً، ولم يشعر بألم، بدا أنه نجا بشكل عجيب، أو انتقل إلى الحياة الآخرة، والتي بدت له على نحو غريب أشبه بهذه الحياة. لو عرف أن الموت سهل هكذا، ربما كان انتحر منذ وقت طويل.

إنها تشـــبه هذه الحياة مصحوبة بأصوات الأشياء الساقطة من الأعلى، كما لو أن المبنى كله انهار فوقه.

لكن الآن، بينما كانت عيناه مفتوحتين، رأى فجوة مستطيلة كبيرة في السقف فوق رأسه، بعد أن سقط لوح السقف، وظهرت فتحة التهوية.

وقـــف ورأى مـــا حدث. إنه البواب، الذي التقى به هذا الصباح، ركل لوح سقف وفتحة تهوية ونزل إلى الغرفة من خلال السقف. لقد ألقى آنّا على الأرض وثبّتهـــا، كانت تصـــرخ عليه، وتركله، وتحاول التحرر منـــه. لكن البواب انتزع المســـدس من يدها، وألقى به بعيداً، وصاح عليه أن يأخذه، ولكنه وقف لبرهة متردداً في حمل ذلك الشيء الذي كان سيودي بحياته. عندما رأى الطريقة التي تتعارك فيها آنّا مع البواب، واعتقد أنها على وشك أن تتحرر منه في أي لحظة. وضع المســـدس في الجيب الداخلي لســـترته. وقال لنفسه، إذا لم أحصل على شيء فقد حصلت على الدليل الذي أحتاج إليه لبراءتي.

الآن، لم يكن لديه متسع من الوقت، فقد كانت آنّا تمدّ يديها لتمسك بملف وتضرب به رأس دان، فتطايرت الأوراق في الأرجاء، وبدا أن كفة الصراع تميل إلى جهتها. جعلته فكرة أنه قد يجد نفســـه في مواجهة جديدة معها يُســـرع نحو الباب، ولكنه لا يزال مغلقاً، لم يكن هناك مفتاح، بل جهاز مقسّـــم إلى قسمين، يدور على الأرض بجوار آنّا. هل يســـتطيع هذا الجهاز أن يُطلق إنذاراً، ماذا لو نشط جهاز إخماد الحريق، وتدفق ثاني أكسيد الكربون إلى الغرفة. لم يرد تحمل المخاطر، وإن كانت هذه المخاطر ستجعله قريباً من الحرية.

ركض إلى الجانب الآخر من الأرشـــيف، ونظر إلى الفجوة الســـوداء في السقف. بدت وكأنها تبتسم له؛ مثل فم طفل فقد بعض الأسنان.

دان

مكتبة
t.me/soramnqraa

2:00

أخيراً، استعاد جهازه الخاص، ولكن كان هناك مشكلة. في محاولته لإيقاف حبيبته عن ضربه بالملف، التف حول الجهاز وحطّمه إلى قسمين. لم تكن هناك طريقــة لإعادة جمــع الجهاز مرة أخرى. حمله وحاول عبثاً جمعه وتمريره إلى الأعلى والأسفل أمام شريط الاستشعار، ولكن ذلك لم يجدِ نفعاً.

«انظري ما الذي فعلتِه»، اســتدار وصرخ عليها، وهو يشــعر بتأثير الملف علــى خــده. لم تكن تنظر إليه؛ كانت تحدق إلى فتحة التهوية، التي اختفى فيها الرجل الذي كانت تهدده للتو. لا يزال عاجزاً عن تصديق ما اكتشفه، حيث كان يزحف نحو مخرج الطوارئ؛ وهو طريق مختصر، وقد أُدرج في التقرير الأخير عن الســلامة على أنه فخ خطير. أثناء زحفه على بطنه في النفق الضيق، ســمع أصواتــاً تنبعث من خلال فتحة التهوية، وعندما نظر إلى الأســفل رآها تصوّب مسدســاً إلى وجه الرجل الذي يقف أمامها، لم يكن أي رجل، بل الرجل الذي لم يكن هناك رجل أكثر منه انتظاماً، الذي كان يتجول في المبنى يومياً.

قال وهو يلتفت ليواجهها: «اللعنة، ما الذي كنتِ تفعلينه؟». شــعر بشــيء رطــب علــى خده، ورأى بقعة الدم على يده حيث جرحه الملف. بدت له وهي تتقدم نحوه وتبحث بين الأوراق عن مسدســها، وكأنها لم تُصب بأذى باســتثناء جرح سببته ورقة لأذنها، حاول مقاومة الرغبات المألوفة عندما رأى محيط ثدييها من خلال البلوزة الحمراء. إنها شخصية مريضة، ذكّر نفسه.

صاحت عليه بيأس: «أين هو، كان هنا...».

أجابها دان: «أظنه أخذه معه». متذكراً أن الرجل كان يحمل بيده شيئاً أسود، عندمـــا كان يقفـــز إلى فتحة التهوية، التـــي أعدها لها دان عن طيب خاطر. كيف يســـتطيع شـــخص مثلها أن يحصل على مســـدس ويُحضره معه إلى العمل؟ لم يستطع دان أن يُصدق أنه بعد كل ما فعله ليخرج من السجن، والعمل في مؤسسة مثل هذه، قاد نفسه إلى هذه الكارثة.

صاحت به غاضبة: «لقد أفســـدت كل شـــيء، كنتُ على وشـــك أن أنهي المهمة، وفجأة ظهرت... هل تعرف منذ متى وأنا أنتظر هذه اللحظة».

صـــاح في وجهها: «إن وظيفتي اللعينة تحتم عليّ الحيلولة دون وقوع مثل هذه الأمور. هل من أجل تنفيذ مهمتك، كنت تتعقبينني، وتغرينني، وطلبت مني تعديل عمل الكاميرات؟ يا إلهي كم كنتُ غبياً...».

أولته ظهرها كطفلة غاضبة.

«ما كان يجدر بك أن تتدخل».

«آسف، أنتِ محقة؛ أعني لا بد أن هناك خطباً مهماً مع هذا الرجل، لذلك أنا آسف لأنني حلت دون قتلك له وقضاء بقية حياتكِ في السجن.»

كان يتمتع بخبرة ليميّز بين من كان ينوي القتل ومن كان يهدد به فقط. من خـــلال فتحة التهوية رأى إصبعها الملتف حول الزناد بالزاوية المناســـبة تماماً، جاهزة للضغط. في غضون ثوانٍ قرر تبديل مهمته، وركل لوح السقف بكل قوته.

«كيف تمكنتِ من النزول إلى هنا بهذه الســـرعة؟ كنتِ بالقرب من مخرج الطوارئ منذ عشر دقائق؟». سألها، محاولاً الوقوف على قدمه التي تؤلمه «لقد تعافيت للتو من تمزق في أربطة كاحلي.»

كانت تحاول الصعود على الطاولة، لتلقي نظرة داخل فتحة التهوية، وترى إن كانت تستطيع الصعود وراء إبين، حين تعثّر دان وأمسك بساقيها.

صرخت: «افلتني». وحاولت رفع ساقيها، ولكن دان لم يفلتها.

«حسناً، كفي عن هذا؟ لا يمكنكِ الاستمرار بهذا الشكل. احتجاز هؤلاء الأشخاص في الطابق العلوي، ثم التهديد بقتل ذلك الأحمق... ليس صحيحاً.»

ما الذي سيحدث الآن للمحتجزين وهي هنا؟ تمنى أن يكون بعضهم قد استمع إلى معلومات السلامة ويعرف كيفية الوصول إلى مخارج الطوارئ عبر الدرج. على أي حال، لا يوجد حاجة لفعل أي شيء الآن سوى الانتظار حتى تصل السلطات. طالما أن مصدر الخطر موجود معه هنا، لم يعد هناك تهديد للمبنى، تفيد القاعدة 129 على أنه إذا تم تحييد أحد الإرهابيين ولم يكن مسلحاً، فإن أفضل طريقة للدفاع هي الاحتفاظ به حيث هو، وإن اقتضى الأمر، التحدث إليه في حديث سطحي لتشتيت انتباهه.

«هل تريدين التحدث عنه؟». حاول أن يبدو مرحاً وهي تحاول التملص من قبضتيه «ما رأيك أن نتحدث؟ أنا متأكد أننا نستطيع إيجاد حل لأي شيء. لا يمكن أن يكون سيئاً مثلما تعتقدين.»

في النهاية لانت، وسمحت له بإنزالها عن الطاولة، وانزلقت إلى الأرض، ووضعت رأسها بين يديها. تذكّر دان الطريقة التي سمعها بها وهي تتحدث إلى نفسها وهي تدفع المحتجزين إلى الأمام. تسأل وتجيب نفسها. ربما لم تكن مدركة تماماً ما فعلته، ربما اعتقدت حقاً أن شخصاً آخر هو من قام بهذه الأمور.

«أعرف أنك ربما تحتاجين إلى دقيقة لتهدأي، ولكن انظري إلى الجانب المشرق: لم يحدث شيء كبير هنا. أعني، أعلم أن هناك شخصاً أُصيب في الطابق العلوي، ولكن إذا تبيّن أنه بخير، فلن يكون خطأك كبيراً، أليس كذلك؟».

قالت بهدوء: «لقد أفسدت كل شيء، لقد كان كل شيء عبثياً».

من العبث النقاش معها الآن، لقد انتقل الألم من كاحله إلى وركه، جلس إلى جانبها، وشرع يستكشف الغرفة، لقد كانت إحدى غرف الأرشيف التي أحبها. بدا غريباً بالنسبة إليه أن يرى كتباً حقيقية، وورقاً حقيقياً في كل مكان، لقد مرت فترة على المرة الأخيرة التي دخل فيها إلى هنا.

كان يكتفي بالتحقّق من أن الكتب لا تزال في مكانها من خلال مشــاهدة لقطات كاميرا المراقبة بين الحين والآخر. لم يرَ دان منطقاً في ذلك. ألا يفترض أن تُحرس الأشياء - التي لا يوجد منها نسخة أخرى في العالم - بشكل أفضل؟

مؤخراً، شعر كبير البوابين باهتمام شديد بشأن بعض الأقسام في الأرشيف، حيث أصرّ على أنه الوحيد المؤهل للتعامل معها.

فكّر دان، افعل ذلك، إنه ليس هنا الآن. مد يده ليلتقط أحد الكتب من الرف.

«توقف عن ذلك!» ســمع صوتاً من زاوية الغرفة «هذه كتب والدتي، وإذا كنت مصراً على لمسها، فالرجاء ضع هذا». رمت له قفازاً.

قــال وهــو يضحك عليهــا: «القاعدة 778»، ثم وضع القفــاز. قالت: «من فضلك، لا تضحك عليّ».

تفحص الكتاب الذي حمله. عينان محاطتان باللون الأســود تحدقان إليه من غلاف كتاب انتحار الحيوانات المنوية، حيث يسبح حيوان منوي واحد في كل بؤبؤ. سبق له أن شاهد الفيلم في الأيام التي كان يستأجر فيها شقة مع بعض طلاب السينما. توفي العديد من الرجال في اللقطات الأولى، وكانت زوجاتهم في حيرة من أمرهن. لم يتذكر الكثير عن الفيلم حقاً.

قالت، وهي تحدق إلى الأعلى نحو النفق الأســود في الســقف: «لا أزال أستطيع الوصول إليه إذا ساعدتني في الوقوف، أستطيع...».

«يا إلهي لا، ماذا فعل لك وجعلك ترغبين في قتله؟». أمسك بذراعها برفق، جاذباً إياها نحوه، تماماً كما فعل مليون مرة من قبل «دائماً ما أراه هنا في المكتبة، إنه مزعج، ويتصرف بشكل غير لائق قليلاً، لكنه في الأساس لا يشكّل خطراً».

ردّت: «إنه لا يُشكل خطراً، إذ لم يؤثر بطريقة أو بأخرى على حياتك، لكنه تسبب بمقتل والدتي وأخذ مني كل شيء».

نظــر الآن إلــى التمثال النصفي، الذي نقله إلى هنا منذ أســابيع. إنه ملقى على الأرض وهناك شــق في وســطه. عندما اقترب منه، اعتقد أنه رأى شــيئاً

أبيض بداخله، هل كان هناك ورقة مخبأة هناك؟ انحنى ليرى، محاولاً أن يتخيّل الشخصية الأنيقة التي يجسّدها هذا التمثال وقد انتزعت منها الحياة.

«لا تلمسه» صرخت به، وسحبته نحوها: «من فضلك اتركه، ولا تلمسه حتى لا تكسره، لا أستطيع تحمل النظر إليها...».

أجاب دان: «حتى الآن لا أستطيع تخيّل أنه يستطيع قتل شخص ما»، متذكراً أن إبين كان يحشر نفسه بشكل غريب في فتحة التهوية «من المؤكد أن رجلاً مثل هذا لا يمكنه حتى أن يضع إصبعه في مؤخرة ذبابة».

«لن يعترف بذلك أبداً. ولكنه فعل».

«كيف؟». فجأة بدا دان فضولياً، وقد ترافق فضوله مع شيء من الإعجاب.

«لم يرتكب جريمة بالمعنى المتعارف عليه، أعني أنه لم يطعنها أو يسممها، إنه ليس مريضاً نفسياً أو شيئاً من هذا القبيل. لقد جعلها مكتئبة، وغاضبة، بسبب مراجعاته، ما أدى إلى...».

«مراجعات» قال هذا وهو يفتش في جيبه عن لفافة ليدخنها. أحتاج إلى شيء الآن. فلتذهب إلى الجحيم القاعدة 823: يُمنع وجود مواد غير قانونية في المبنى، لا سيما بالقرب من أي مواد نادرة. أظهر الضوء الموجود على الباب أن جهاز إخماد الحريق معطل، وجد اللفافة جاهزة في جيبه فوضعها في فمه، باحثاً حوله عن ولاعة.

قالت بغضب: «لا يمكنك التدخين هنا». وانتزعت الولاعة من قبضته، وألقت بها وسط الغرفة، حيث اختفت وسط الأوراق المتكدسة. أزال اللفافة من فمه ووضعها على الرف بجوار بعض يوميات إيلينا. سيستخدمها لاحقاً، عندما ينتهي من كل أعماله. ربما قبل أن تأتي الشرطة من أجله، ليزيل الهموم عنه.

استدار ونظر إليها بجدية وقال: «لا يمكن قتل شخص ما من خلال المراجعات، إنه ليس تصرفاً مميتاً».

تأثرت بما قاله، لقد بدا تأثرها عميقاً مثل الحبر المتأصل بعمق في كل تلك

اليوميات، سواء كان هناك أي منطق في ما قاله أو لا.

قالت متلعثمة: «لم أعتقد أنه سيكون له هذا النوع من التأثير أيضاً». أراد أن يضمها، ويخبرها أن كل شــيء ســيكون على ما يرام. رأى أنها في أكثر حالاتها لطفاً وضعفاً الآن. الأمر الذي كان مثيراً للسخرية، عندما تذكّر أنها كانت ستفجر رأس شخص ما منذ قليل.

«تصاعد الأمر إلى حال من انعدام الأمن العميق لدرجة أنه لم يكن هناك أي عــودة إلــى الوراء، على ما أعتقد. وهكذا، نعم، لم يقتلها، ولكن ما فعله... كان العامل البادئ الذي أدى إلى مقتلها. لقد كانت بداية النهاية، بطريقة أو بأخرى، سواء كان أي شخص يهتم بالاعتراف بهذا الأمر أم لا».

سألها: «ألا يمكن أن تكون هناك أسباب أخرى؟».

سألت: «مثل ماذا؟».

عندها تفاجأ بنظرة عينيها؛ توقع أنه، من بين جميع الناس، يمكنه التوصل إلى سبب أفضل، بين الحين والآخر.

«حســناً، لا أعرف»، أجاب بســرعة، حتى لا يفقد الاهتمام الذي أولته إياه «أعني كثيرة هي الأسباب التي تجعل الناس يتفوقون على أنفسهم، وليس دائماً لسبب واحد فقط، حتى وإن ادعوا خلاف ذلك».

أدرك دان أن ما ســمعته لم يكن ما رغبت بأن يقوله. أرادت أن تســمع أن الأمر برمته كان واضحاً تماماً كما تخيّلته، أرادته أن يلقى باللوم على إبين. أرادت إثبات أنها محقة بوقوفها هنا الآن، متســخة بغبار الســقف المتناثر على قميصها الأحمــر، وقد تمزقــت الجهة الخلفية من تنورتها، وأصيبت وجهها بالخدوش، وشــعرت بغياب ثقيل في يدها حيث كانت تمسك المسدس. احتاجت إلى كل تلك الأشياء اللازمة لتبدو عقلانية تماماً.

وقفت ببطء.

«لــم أدخل إلى هنــا منذ ذلك الحين... كان من المؤلم جداً رؤية كل هذه

اليوميـــات، لكنني ســعيدة بوجودها هنا لتروي قصــة، وتُخبر الحقيقة. أردنا أن يتمكن من قراءة ما فعله بنفســه، قبل أن يتمكن أي شــخص من الوصول إلى اليوميات. يمكنني أن أُثبت ذلك لك». قالت وهي تحاول الحصول على اليوميات ذات الغلاف الأزرق، التي طُبعت عليها صور طيور صفراء.

«انظري، لست بحاجة إلى إثبات أي شيء لي، حسناً؟ يكفيني أنك تقولين إنه فعل ذلك. هل تفهمين؟».

بدت غير مقتنعة بمنطقه فقالت: «هو من فعل ذلك، على الأقل هو شخص يمكن أن نحمّله المسؤولية. إنه من تسبب بما حصل ذلك اليوم. أعتقد أن هذه هي الطريقة التي أرادت أن تســير بهــا القصة. أرادت أن يلاحقه أحد ويتحداه، لتجعلــه يــأكل كلماتــه، بكل ما للكلمة مــن معنى ويختنق بهــا. أرادت دائماً القيام بشــيء في الحياة - أن تجعل هؤلاء الرجال في منتصف العمر الأنانيين والمتغطرسين يدركون أنهم ليسوا مسيطرين. فعلت ذلك من خلال السماح لهم بالاعتقاد أن لديهم القدرة على إنهاء حياة كاتب. هل ترى؟».

«لم يفعل». بدا الأمر وكأنه مزعج عندما تتمكن من البدء في انتحارك.

«كان علينا أن نفعل ذلك، حسناً؟».

نحــن؟ هــل كانت تقصد هو وهي؟ هل تعتقد أنه كان جزءاً من هذا الآن؟ فكر مرة أخرى في الطريقة التي تحدثت فيها إلى نفسها أمام المحتجزين. تذكر رجلاً سبق له أن تقاسم وإياه الزنزانة: يكون وديعاً كالحمل يوماً ما، ولكنه يتحول إلى وحش في يوم آخر.

«كما تعرفين يمكنك الحصول على مساعدة، هناك أدوية لمثل هذا الحال».

«أنا لا أعاني من خطب، كنت فقط أحقق رغباتها، سأثبت لك ذلك».

بدأت تقلّب صفحات اليوميات بسرعة.

قالت: «انظر، ها هي، هذه هي اليوميات. كُتب اسمه هنا في مكان ما، أعتقد أنه هنا في الصفحة الأخيرة». أعني حاول خداعي وجعلني أفكّر أنه كتب شــيئاً

آخر، لكن...».

قال بهدوء: «لا تفعلي هذا بنفسك». ثم تراءت له صورة أمه حينها وهي تبكي في الممر في ذلك اليوم الذي شنق فيه والده نفسه، وطُلب منه عدم الدخول.

قال: «لست بحاجة إلى رؤيته، حسناً؟ ولا أنتِ أيضاً، حسناً، يمكنك إلقاء اللوم عليه إذا أردتِ، يتخذ الناس القرارات في نهاية اليوم. لم يقتلها في الواقع، أليس كذلك؟ ليس فعلياً. عليك أن تري ذلك».

شعر بالقشعريرة عندما قال ذلك، قال لنفسه ذلك مراراً وتكراراً في أعقاب جرائمه؛ رغم عدم تصديقه لتلك المقولة حقاً حتى قالها لها بصوت عالٍ: «يتخذ الناس القرارات». انتزع اليوميات من يديها ووضعها على الطاولة، رأى شيئاً من الخوف في عينيها، بالإضافة إلى شيء آخر لم يستطع معرفته تماماً؛ طفى الحزن على السطح تحت بشرتها الشاحبة والشفافة. أدرك أنه لم يسبق لأحد أن ناقش رغبتها في الانتقام من هذا الرجل المسكين. تحولت هذه المناقشة إلى شيء جديد، شيء حيوي، ورأى أهمية الموضوع بالنسبة إليها، خصوصاً وأنه هو ما قاله. تبدّد الإحراج بينهما، ولم تعد تبدو غريبةً هذه المرة.

تقدم ببطء راغباً بتقبيلها، وهو يشعر بالقلق من التغيير الذي طرأ عليها، قلق من أن يرفع الوحش رأسه مرة أخرى. لقد تأكد أنها استسلمت، لم تستسلم فقط بل قبّلته طيلة خمس دقائق بشغف أكثر من أي وقت مضى؛ وكأنها المرة الأولى، لم تكن تقضي الوقت فحسب، أدركت جيداً أن وقتهما معاً سينتهي قريباً، وسيتعين عليها اغتنام ما تبقى منه.

هكذا بقيا، طيلة خمس دقائق أو أقل. خرقا القاعدة 654 منع الاحتكاك بين موظفي المكتبة على أراضي المكتبة. كانا يتبادلان القُبل على المواد النادرة التي يُفترض أن تُرى فقط من بعيد، وليس عن قرب، ولكنهما لم يقتربا من اليوميات الزرقاء التي كانت على الطاولة بجوارهما.

نان

2:15

تأقلمت نان مع غياب شقيقتها بأسرع مما توقعت، وأدركت أن هذا ما كانت تنتظره، وإنها فرصةٌ لتسيطر بمفردها على الوضع. لطالما علّقت والدتهما على الطريقـة التي كانتا تتجادلان وفقها. عرفَـت نان أنها أضعف بكثير من مواجهة شقيقتها، ولكن ما من شك أنها تمتلك أيضاً الحرية في أن تكون مثلها إن أرادت. وجـدت أنه من الأسـهل الاتصال البصري مع الجمهـور الآن، بينما بدا الأمر مسـتحيلاً قبل دقائق. نظر البعض بعيداً، وعاودوا النظر إلى السـقف، ولم يهتم البعض الآخر.

بذلت بيل وليلي وسـمر قصارى جهدهن لإيصال رسـالة ما إلى نان. يبدو أن سـمر تتسـاءل ما الذي تفعله بحق الجحيم؟ مع كل طرفة عين، كان هناك بعـض الحنـان في عيني ليلي، بالطريقة التي بـدت وكأنها تتفحص الغرفة بحثاً عن مهربٍ - ليس من أجلها فقط - بل من أجل نان. ارمي سلاحكِ، واخرجي من هنا بأسـرع ما يمكن يا نان. اركضي ولن نخبر أحداً. إنها ليلي الجميلة غير الأنانية. تجرأت نان على مواجهة نظراتهن، ولم تتوانَ. أمسكت سلاحها، لتذكر الجميع بأن السيطرة لها. بكت سمر عندما رأت هذا، والتفت حول نفسها كالكرةِ ملامسةً الأرض وهي تحتضن ليلي بقوة.

أدركَت أن كل تلك القصص عن لقاءاتهما الرومانسـية مع الرجال كانت مجرد قناعٍ، وخيال. لماذا لم تستطع رؤية هذا من قبل؟ هل هذا ما تطلبه الأمر

حقاً حتى يسقط القناع؟ أن تكون شامخةً أمامهما، وهي تحمل مسدساً في يدها؟

لم تنظر بيل إليها على الإطلاق. لم يكن بوسع نان إلا أن تخمّن مقدار الغضب الذي سيتراكم بداخلها، ويلتف حول الطفل التعيس المحتجز داخلها. ستستشيط غضباً لأنها ظنت أنه مجرد تدريب. الآن، إذا طُلب منها الاستلقاء مع الآخرين، وكأن وجود روحٍ أخرى بداخلها لا يستدعي أي اعتبار، فسيدفعها ذلك إلى الجنون. كانت مختلفة؛ وكان عليها أن تنظر إلى الجمهور لرؤية ذلك. لم تستطع الاستلقاء لسبب واحد، لأن بطنها المنتفخ منعها من ذلك. كانت بيل الأعلى صوتاً. لم تستطع إلا أن تتأوه وتئن وتفرك بطنها باستمرار لتميز نفسها كمَن يعاني أكثر من أي شخص آخر.

فكّرت نان في محاولة لإقناعها بطريقة ما. لكنها لم ترغب في شجار قد يسبب لبيل مخاضاً مبكراً كالذي سبق لها أن ظنت أنها تعاني منه. لم تستطع تحمّل المزيد؛ أن تشهد على قدوم حياة جديدة إلى الصالة. كائن جديد تماماً، نقي مثل أي شيء آخر، لديه كل شيء ليعيش من أجله ولم يُدمّر شيء من حياته بعد.

كانت الأستاذة نائمة بعمقٍ، وربما ميتة: لم تجرؤ على التحقق. لم يكن - لوك - كما اعتقدت أنها سمعت أحدهم يناديه - طبيباً، وكان يمسح على خُصل الشعر الرمادية المتبقية للأستاذة. لا يزال كينفين ودورا يتجولان بين البقية، ويصران على تقديم الطعام والشراب، وعند ذكر شيء عن الكعك، فتح نيكولاس إحدى عينيه ونظر إلى الأعلى. تعمدت دورا أن تولي ظهرها للسلاح (أول من تجرأ على فعل ذلك) وبدأت في إطعام البروفيسور وكأنه طائر يتضور جوعاً. في تلك اللحظة، فكّرت نان في إطلاق الرصاص عليها-ذكّرت أنه ربما قد تعيش لخمس سنوات إضافية إن كانت محظوظة- ثم ارتعشت من هذه الفكرة. كل هذه الرغبات، والتخيلات، كانت جديدة. شيء ما كان يتغير. أو شيء ما كان مفقوداً؛ لم تستطع تحديد أيهما تماماً. اعتقدت أن البقعة البيضاء تنتشر.

قال الطبيب: «قد تشعرين بالارتباك بشأن أعمق أفكارك وأكثرها ظلمةً، ستقولين وتفعلين أشياء يصعب على الآخرين فهمها».

سرعان ما عادت الأمور هادئة كسابق عهدها، لقد نسيتْ كيف يبدو هذا الجزء من المكتبة خالياً من الأجساد المتناثرة. تذكّرت أنها سارت نحو الشرفة صباح يوم وفاة والدتها، ورأتها فارغة بدلاً من رؤية المشهد المألوف والمريح لأمها جالسة هناك: وسادةُ فارغة، كوب نصف ممتلئ من الشاي، وهي تعيد قراءة أحد الكتب التي خبأتها تحت سريرها للمرة المئة بعد أن حُظر الورق. رأت علامات الغياب بعد أن كانت هناك حياة سابقاً، وهذا ما هزم نان. ليس الموت نفسه، ولكن الفراغ الذي يقف فيه الشخص، الحيّز الذي كانت والدتها تشغله، والتي يمكنها الآن أن تتعود عليه بحرية متى أرادت. إنه الفراغ الذي تركته والدتها لها.

بالطبع، شعرت آنّا بالأمور بشكل مختلف. كانت في الأسفل عائدةً من المتجر عندما حصل الأمر. لم ترَ سوى النتائج، الاندماج المروع الذي لا يمكن إنكاره بين الجسد والرصيف. على ذلك الرصيف فاضت الروح. رأت آنّا ذلك، وادعت لاحقاً أنه جعلها أكثر حزناً وصدمة من نان، التي لم ترَ شيئاً على الإطلاق.

لم تتحرك نان بينما صرخت شقيقتها طلباً لمساعدتها. سألتها آنّا: «لماذا لم تنزلي، على الأقل من أجل مواساتي؟». قالت نان إنها أصيبت بصدمةٍ شديدة لدرجة أنها عجزت عن التحرك. وهذا لم يكن كذباً. كل ما في الأمر أن نان لم تقل ما الذي سبب لها الصدمة. لم يكن هذا الحادث المدمّر الأخير، لأنها عرفت أن ذلك سيحصل بطريقة ما، ولكن السبب كان في ما قرأته في الرسالة. الرسالة الأصلية المكتوبة بخط اليد التي تُركت لها فقط، وليس رسالة البريد الإلكتروني التي قرأتها بصوت عالٍ لآنّا في وقت لاحقٍ من ذلك اليوم، والتي أُرسلت بالفعل إلى الجميع، مدعيّة أن إبين بريشرتش قد استمر في انتقاد والدتهما حتى الموت.

لقد كشفت رسالة إيلينا إلى نان عن شيء آخر تماماً. في الواقع، كشفت

عن عدة أشياء أحدها أنها كانت تعاني من شكل نادرٍ من الخرف المبكر، مرض كروتزفيلد جاكوب؛ وهناك احتمال ضئيل أن ترثه هي وشقيقتها. ستحتاجان إلى فحص نفسيهما عندما تصلان إلى سنها. وكتبت أيضاً، بالطبع هناك فرصة كبيرة بأن لا ترثانه، وستكونان محظوظتين بما يكفي إذا ورثتما الصحة من المتبرع.

ذكرت إيلينا أنهما عندما تبلغان من العمر خمسين عاماً عليهما أن تفحصا نفسيهما، وهو العمر الذي تستطيع فيه نان أن تكشف أخيراً لآنّا عن السبب الحقيقي وراء رحيل والدتهما المفاجئ عن الحياة؛ لكن نان عرفت، ربما حتى قبل وفاة والدتها، أن هناك خطأً ما. لقد لاحظت تلك الاختلاجات الغريبة وغير المتوقعة؛ فقد مزّقت ذات يوم مخطوطة نادرة جداً من العصور الوسطى وهي تستعد لتحميلها في الآلة، مزّقت الصفحة إلى نصفين، ويومها بقيت طيلة المساء تصلح الضرر باستخدام اللاصق، تفرك يديها باستمرارٍ لتنظيفهما، خائفة من استخدام القفاز الأبيض حتى لا تنتقل أي نثرات إليه، مما قد يفضح فعلتها. بعد أن مدت الشريط اللاصق فوق الصفحة الممزقة، كانت قلقة للغاية من حدوث اختلاج آخر، وإزاحة الصبغات أو الأحبار من مكانها، وحدوث المزيد من الدمار. بطريقةٍ ما، تمكنت من ذلك، ووقفت هناك تنتظر اختفاء الشريط مرة أخرى من الورقة الرقيقة. شعرت بالارتياح بعد تحميلها في الجهاز ورؤيتها على الشاشة، حيث وجدت أنه خطأ لن ينتبه له أحد إلا إذا كان يعرف بوجوده، لكن كثيراً ما عادت نان إلى تلك الصفحة، منبهرة كيف يمكن للخطأ الذي ارتكبته أن يُصبح خطأً عالمياً.

بعد شهرٍ من وفاة والدتها، زارت الطبيب، فأجرى لها فحوصات الدماغ والتشخيصات التي أكدت أخيراً أنها تملك المرض نفسه، حيث قال الطبيب إن المرض كان كامناً في دماغها، منذ ولادتها. وقتها شعرت بالقرب المؤلم من والدتها وذلك بعد فوات الأوان؛ لقد كان هذا شيئاً واحداً على الأقل تشاركته هي ووالدتها وكان من الممكن أن يمرا به معاً. لو شخّص مرض نان في الوقت

الذي كانت فيه والدتها لا تزال على قيد الحياة، كان عبء الاهتمام بهما سيقع علــى آنّا. لطالما قالت والدتها، في الوقــت الذي لمعت فيه عيناها بمحبة: «آنّا ليس لديها خاصية الرعاية، فهي شخص يُحب أن يُعتنى به».

عندما ســأل الطبيب نان إن كان لديها أشــقاء يحتاجون إلى فحص، نفت ذلك. خشــيت أن يتبيّن لها أن آنّا لم تكن مصابة بالمرض، وأنها هي الشــخص البائس الذي حصل عليه، بينما ورثت شــقيقتها كل الخير، وليس من المصدر الذي تخيلته أيضاً.

لطالمــا أثار الإصرار على أن آنّــا كانت بطريقة ما الطفلة المدللة، وأفضل طفل يمكن أن تحتَضِنه غضب نان أثناء نشــأتها. مع أنها أكبر منها باثنتي عشــرة دقيقة فقط. إلا أن آنّا تمكنت بطريقة ما من التحرر من مســؤولية كونها الطفلة الكبــرى وقلبت رواية المولود الأول رأســاً على عقــبٍ، وكان ذلك بطريقة ما تكريساً لفكرة أنها كانت الأقرب إلى والدتها، لأنها رأتها أولاً.

هذا ما جعل نان مهمشة، كانت الشخص الذي يجلبُ الشاي عندما يتناقشن بخصوص روايات والدتها، الشــخص الذي يخزن مستنداتها وكتاباتها الإبداعية بطريقة موظف الأرشــيف المنظمة، ويكدّس الروايات، ويُخفي أي أوراقٍ تالفةٍ وممنوعةٍ. نان، الشــخص الضعيفُ، لطالما شــعرت أنها يجب أن تكون ممتنة لحصولها على أي دورٍ بسيطٍ في عالم والدتها وشقيقتها الخاص.

قبل أن تتلقى الرسالة، لم تدرك نان أن إيلينا اعتبرتها متفوقة على شقيقتها مــن جميــع النواحي. لقد وثقت والدتها بأنها لن تخبر أحداً بالحقيقة أبداً. ربما اعتقدت إيلينا أن نان، وبقدرِ ما كانت محبوبةً، أو ربما لأنها كانت محبوبةً بتلك الطريقة، لا تحتاج إلى مشاركة المعلومات؛ كي يقدّرها الآخرون. ربما كانت آنّا ستركض إلى شخصٍ ما، أو رجلٍ ما، وتكشف له أن الخرف هو ما أودى بحياة والدتها. ربما أثارت ضجةً تشــكو فيها حقيقة أنه يمكن للمرض نفسه أن يقتلها هي الأخرى ذات يوم، حتى لو أثبتت اختباراتها أنها ســليمة منه. لم تكن هذه

الرواية التي أرادتها إيلينا، وعندما أعلمت نان بتلك الحقيقة، ضمنت أن واحدة من ابنتيها فهمت سبب انتحارها.

لقد كتبت: «أنا أثقُ أنك ستشرحينَ الأمر لشقيقتك بطريقةٍ ما. ستجدينَ طريقةً لإخبارها، طريقة بسيطةً بالنسبة إليها، للتأكد من أنها تعتبره شيئاً جيداً. أو على الأقل ستفهمُ أنني كنت متصالحةً تماماً مع موتي. بالطبع، لن يزيدَ الأمر سوءاً أن تُشعِرَ رابطة سماذرهود بالذنبِ قليلاً بسبب كل ذلك، والاستمتاع ببعض المرح معها».

على الرغم من أن توصيات والدتها كانت تقضي بإتلاف الرسالة فور قراءتها، إلا أن نان احتفظت بها. غالباً ما تساءلت ما كان سيحصل لو لم تحتفظ بها، ما كان سيحصل لو أنهما لم تضعا الخطة مطلقاً، ربما كانت في هذا الوقت قد نسيت ما ورد فيها. لكن كلما قرأتها أكثر، تضخّمت في ذهنها، وبشكل لا يوصف، فكرة الاستمتاع ببعض المرح مع رابطة سماذرهود، لدرجة أنه عندما ناقَشت مع آنّا إمكانية احتجاز إيبن - بصفته مسؤولاً بالمطلقِ- ذهبت أفكار نان إلى أبعد من ذلك، وقالت إنه لا ينبغي فقط إبقاؤه أسيراً، بل يجب عليهما قتله. بحلول ذلك الوقت، كانت فكرة الاستمتاع ببعض المرح مع إيبن مربكةً للغاية نظراً لامتعاضها من الشيء الآخر الذي كشفته الرسالة، حتى أنها لم تستطع فهم الموقف كاملاً. لا يزال يُشعِرها بالتوعك، ذلك القسم الذي كانت تقرأه بارتيابٍ مراراً وتكراراً، عائدة إليه في كل مرة وكأنها المرة الأولى التي تقرأه فيها:

كتبت إيلينا: «ستعلمان أنني لطالما اعتزمتُ تربيتكما من دون أب، وبذلك أغيرُ الجريمة البغيضة التي تدعو كثيراً من النساء للسير من دون وعيٍ نحو زيجات غير سعيدة. لطالما أصررتُ، وما زلت أصرّ، على أنه لا يهم كيف كوّنتكما، بل كيف رعيتكما. لكن جزءاً مني لم يستطع مغادرة هذا العالم دون تأكيد نَسبكما الكامل، وتأكيد المخاوف التي كانت تراودني لفترة طويلة، وهي أن المتبرع رقم 215# هو إيبن بريثرتش بالفعل. مع أنني لا أرغب في أن تسعى أي منكما

إلى التعمق في أي علاقةٍ معه، إلا أنني أشعر بالقلق من أن حالتي الخاصة تعني أنني قد أكشف هذا له، أو للجمهور الأوسع في مرحلةٍ ما، وآمل أن موتي بهذه الطريقة لن يتركَ فرصةً لحدوث ذلك على الإطلاق.

لذلك، فمن مصلحة الجميع أن أغادر هذا العالم قبل أن أتراجع عن الخير الذي قدّمتهُ، قبل أن أفقد قدرتي على الكتابة، أو قبل أن أتعرض للإهانةِ لقبولِ حيوانات منوية من رجلٍ أحتقرهُ. أستودع هذه المعلومات حكمتك، يا نان، لأنني أعرف أنك أفضل شخصٍ يمكنه أن يقرر، نيابةً عنك وعن شقيقتك كيف يجب أن يحدث هذا الآن. أنا واثقةٌ أنك سترغبين مثلي في التأكد من عدم الكشف عن هذه المعلومات مطلقاً، وأن إبين يستحق أن يُهان في رسالتي الأخيرة، بالطريقة التي أهانني بها أنا وأعمالي.

كمـا تعرفين، لا يمكن الوصول إلى تلـك المعلومات إلا إذا بحث الابنُ بنشـاطٍ عن المتبرع، وأنا واثقةٌ من أنك لن تسـمحي لآنّا بذلك، مهما توسلت إليك. فأنا أرى شيئاً في آنّا، وربما ليس فيكِ، نوعاً من الطبائعِ التي يسهل التأثير عليها والتلاعب بها على يدِ رابطة سـمادزهود. سيكون أمراً مدمراً بالنسبة إليّ، إذا انتهى بها الأمر وهي تقف إلى جانبهم، مؤمنةً بنظرياتهم. عليكِ ضمانُ عدم حدوث ذلك».

كما توقعت إيلينا، في ظل شـدةِ محنةِ آنّا، بدأت تصبحُ مهووسـة بفكرةِ العثور على والدهما، وشـعرت بحاجة ماسـة إلى استبدال أحد الوالدين بآخر، علـى الرغم مـن أن نان ذكّرتها مراراً وتكراراً، أنه ليس ممكناً ملء الفجوة التي تركتها إيلينا: «كانت والدتنا ووالدنا. كانت أكثر من مجردِ شـخصٍ واحدٍ. مثلنا تماماً». تظاهرت آنّا بالاستماع، ولكن نان شعرت بشرارة التحدي في عينيها.

فـي وقتٍ لاحـقٍ، وجدَت بحثاً على الحاسـوبِ حول تتبـع المتبرعين بالحيوانـات المنوية، وعثـرَت بعد اختراقها لبريد شـقيقتها الإلكتروني، على طلبٍ مُرسَـلٍ إلى عيادة التبرع بالسـائل المنوي في المدينة. وجاء الرد أنه نظراً

لأنهما توأم، فإنها ستحتاج موافقةَ شقيقتها للبحثِ عن المتبرع، وأنه يجب على الشقيقتين زيارة العيادة معاً لإثبات اتفاقِهما على الكشف عن هويته. ابتسمت نان عندما قرأت هذا، وفكّرت كيف أن العينات المضاعفة العشـوائية، والبويضات المنقسمة، والتي لطالما تحدثت عنها والدتهما، والشخصُ الوحيد الذي لم تكن تتوقعه إيلينا، أصبح الآن ضماناً يعترض طريق كل ما لا تريد لآنّا أن تعرفه.

انتبهت نان إلى الأشـخاص أمامها - أولئك الذين سـيطرت عليهم، بينما فقدت شـقيقتها شجاعتها. تساءلت عما كانت سـتفعله إيلينا إن كانت مكانها، وكيف كانت نان تستمتع بطريقةٍ ربما لم تتوقعها إيلينا. كادَت تشعر الآن بنظرةِ والدتها إليها، قالت لنفسها - إن الضوء الذي لاحظت مرورهُ من النوافذ المرتفعة، يعود لوالدتها بالتأكيد، إنه يجعل وجودها محسوسـاً في الصالة - اعتقدت أنها بحاجة إلى إتمام ما بدأته. فعلُ شيء آخر من شأنه أن يميزها عن شقيقتها. قالت لنفسها: «نحن لسنا متناظرتين، لسنا متناظرتين». نحن شخصان، انقسما في رحمٍ واحدة لسـببٍ ما، حتى لا نبقى ملتصقتين إلى الأبد. حتى أن الطريقة المتناظرة التي يمكن أن يُقرأ بها اسماهما، يمكن أن تأخذَ شكلاً مختلفاً. يمكن لاسم نان أن يُصبح -نينز- بسهولةٍ (على الرغم من اعتراضها على لقبٍ يحوي أحرفاً أكثر من أحرف اسـمها الفعلي)، أو آن، إن أردتَ تسـخيفهُ. ويمكن أن يتغير اسم آنّا إلى آن أو آني؛ رغمَ أنه ليسَ مريحاً أيضاً.

صرخَ أحدهم وكأنه يقرأ ما تفكر فيه: «نينز! يجب عليك أن...»، لقد كانت بيل التي لم تُطلق عليها اسم نينز في حياتها.

قاطعتها بصوتٍ عالٍ: «لا يجب عليّ أي شـيء». لقد اكتفت طيلة حياتها من أن يُملي عليها أحدٌ ما يجب أن تفعله. سـواء كانت والدتها أو شـقيقتها: لا تقولي لي يجب عليك.

اسـتلقَت بيل مرة أخرى بصمتٍ تام. وبـدت نظرة عينيها غريبة؛ نظرةٌ من السـواد، نشوةٌ غريبة تترسخ. مشت نان لإلقاء نظرة فاحصةٍ، وذلك عندما رأته؛

تدفقٌ ثابتٌ يشق طريقه أسفل بنطالها القطني، إلى الأرضية، مشيراً إلى استعدادِ شخص آخرٍ لدخول الصالة؛ لملء الفراغِ بحضورهِ الصغير. لن تستطيع فعل أي شيء لإيقافه، لأنه لا يعرف أنها تحمل مسدساً بيدها، وليس لديه أدنى فكرة عن نوعِ العالم الذي سيدخله.

شـــاهدَت كل شـــيء يحدث، مرعوبة تماماً مما تراه. المزيد من الدم يسيل في الصالة، جدول من اللون القرمزي والأرجواني، بينما كانت بيل تئن وتشخر مثل حيوان يتلوى هنا وهناك. أسرع لوك، بعد التشجيع من صديقته، لفعلِ ما في وسعه، ووجد صعوبة في تثبيت نظرهِ إلى المنطقة التي يُفترض أن ينظر لها، قبل أن يمسك أخيراً الطفل المسكين بذراعيه المبللتين بالدماء. بعدها، تنفست بيل، ولوك الصعداء مع باقي المحتجزين الذين تجرؤوا على رفع رؤوسهم. جعلت الولادة بطريقةٍ ما الأمرَ أكثر أماناً، وكأن حضور الطفل قد غيّر كل شيء تماماً.

انطلقَت همســـاتٌ احتفالية خائفةٌ بين الجمهور من دون أن تبارح نظراتهم المســـدس فـــي يد نان. عرضت دورا على بيـــل قطعةً صغيرةً من كعكة الفاكهة. وقـــف كينفين بكل توازنٍ واســـتعدادٍ فوق الفوضى. أصـــرت الفتاة التي ترتدي حمالة الصدر الأرجوانية على أن يخلع لوك قميصه ويلف المولود الجديد فيه؛ وهـــو مـــا فعله، محتضناً الطفل إلى صدرهِ العـــاري مثل الأبِ الفخور بينما كان الطفل يتلوى بين ذراعيه، لا يزال الحبلُ السري موصولاً به، حبلٌ أبيضٌ نابضٌ مثيرٌ للاشمئزاز، ما جعلَ لوك في حيرةٍ من أمره لمعرفة ما يجب فعله به.

صرخ لوك، وهو يبذلُ جهداً في التمسك بالطفل الزلق المغطى بمادة مقززةٍ ولزجة: «هل يجدر بي قطعهُ؟ هل يعرف أحدٌ ما عليّ فعلهُ هنا؟».

لا تزال بيل تشـــخر. أخفضت نان مسدسها وحدقت إليه. تذكرت كلمات والدتهـــا: «لم أكن أعرف أن شـــخصاً آخر كان فـــي طريقه للقدوم إلا بعد قدوم الأول. لـــم أذهـــب أبداً لإجراء فحوصاتي، ورفضت ذلـــك رفضاً قاطعاً، لأنني تجاوزتُ الخامسة والثلاثين من العمر. اعتبروني مسنّةً، وأنا أعرف أنهم مارسوا

كل أنواع الضغط على الأمهات اللواتي يسمونهن مسنات لاتخاذ قرارٍ في حال لم يكن الطفل ســليماً تماماً، ولكنني لطالما علمتُ بغريزتي، بطريقةٍ ما، أن كل شيء سيكون على ما يرام».

اســتمر الشــخير. كان أمراً غريباً أن نرى عن قرب، نوعية الولادة الفظيعة والوحشية، وما تفعله بالمرأة. تساءلت نان: هل أجرت بيل الفحوصات اللازمة؟ أم أن امرأة مثل بيل لديها الســخط نفســه الذي شــعرت به والدتها، معتقدة أن لديها ما يكفي من الغريزة لرؤية ذلك من خلال نفسها؟ من المؤكد أن هذا هو مــا كانت المهمة تدور حوله في المقام الأول؛ لوضعها في مكان تســتطيع من خلاله الحصول على فهم أفضل لبداياتها.

خرج الآن، شيء شبيه بسمكة الراي ذي لون بني داكن لزج.

إنــه المشــيمة، ولم يكن طفــلاً آخر. بعد الولادة، تحولت الســعادة التي شــعرت بها إلى شــيء من الغضب عندما تذكّرت ذلك المصطلح الذي أُلقي عليها عندما كانتا أصغر سناً: «لقد كنتِ مجرد ولادة ما بعد الولادة، يا شقيقتي، ولادة ما بعد الولادة!» وقد تمســك بعض أطفال المدرســة بهذا المصطلح غير المألوف بأنفسهم، يتقاذفونه مثل كرة التنس فوق رأسها، ذهاباً وإياباً. «ولادة ما بعد الولادة! ولادة ما بعد الولادة!».

أصبح المحتجزون يتحركون بحرية الآن، وكأنهم نسوا من له الكلمة العليا هنا، لقد أشعرتهم الفوضى والفرح اللذان ترافقا مع ولادة طفل بالجرأة. ركضت صديقة لوك نحو طاولة، وجلبت مقصاً، وأسرعت به نحو بيل والطفل.

صاحت بيل: «لا أريدها أن تلمس الحب السري، فهي لا تمتلك خبرة في هذا الشأن، كما أن المقص غير معقّم، وسيكون مهداً للجراثيم التي انتقلت إليه من الكتب والخرائط وغيرها من الأشياء التي يعرف الله وحده ما فيها، إذا قصت الحبل بطريقة خاطئة فربما تلحق ضرراً بالمولود... من فضلكم ليساعدني أحد».

ركّزت نان نظرتها على المحتجزين الآخرين، وهي تحرك مسدســها إلى

جانب ساقها.

«ألم تسمعوها، هل يستطيع أحد أن يساعدها».

كانت كولين الوحيدة التي خطت فجأة إلى الأمام.

قالت: «أظن أن لديّ قليلاً من الخبرة... أنا لست محترفة طبية، ولكنني أريد المحاولة، لديّ بعض المناديل المعقمة هنا...».

أجهشت بيل بالبكاء عندما تقدمت كولين لتأخذ المقص من الشابة وتعقّمه. بكت وهي تقول: «ما كان يُفترض أن يكون الأمر على هذا النحو، ما كان يُفترض بكولين أن تكون قابلة. نان إذا حدث أي شيء للطفل....».

قالت كولين وهي تحاول تهدئة بيل: «تعالي إلى هنا، لقد توقّف الحبل السري عن النبض، وهذا يعني أن الطفل حصل على كل العناصر الغذائية التي يحتاج إليها. أوه. إنه صبي، وهو سليم الصحة، تحلّي بالهدوء، سنقوم بكل ما هو ضروري».

صاحت بيل مرة أخرى: «أنت لا تعرفين ما الذي تقومين به». وبدا صوتها أقرب إلى الهمس وهي مستلقية على ظهرها، تنظر إلى السقف، مستسلمة لمصيرها، وضعت بيل يديها على عينيها، وباعدت بين أصابعها، وفشلت في حجب دموعها التي كانت تتدفق بين أصابعها.

أجابت كولين بصوت يرتعش قليلاً: «لا، دعينا نقول إنني شاهدت أحدهم يقوم بذلك منذ فترة طويلة، مرة واحدة، ولم يقم به بطريقة جيدة. لذلك أعتقد أننا سنقوم بالأمر بشكل أفضل، أليس كذلك؟ من أجل هذا الطفل»، حاولت الاستمرار بنبرة مرتبكة الآن: «الذي لم يحصل على الفرصة التي يستحقها».

يبدو أن كل من في الصالة حبس أنفاسه عندما سحبت كولين الحبل نحوها ووضعت شفرة المقص فوقه، وعندما أوشكت أن تقطع، بدت وكأنها تعيد النظر وتحرك الشفرة إلى الخلف بضع بوصات. أخيراً قطعته، فتناثرت الدماء في الهواء، وعندها أخرجت مشبك كتاب صغيراً من جيب سترتها لتغلقه.

قالت: «لقد انتهى كل شـيء»، في الوقت الذي وضع فيه لوك المولود بين ذراعي بيل.

شـخص مـا، في مكان مـا، تجرأ على بدء جولة من التصفيق. لقد نسـوا أنفسـهم تماماً، على ما يبدو. أخيراً، توقفت بيل عن البكاء، وقرّبت وجهها من جسد طفلها حديث الولادة، وشمته. تساءلت نان إن كانت ستعرف يوماً ما عن طفل كولين الميت لولا ما حصل اليوم، ربما تعلّمت عقب وفاته. الحبيبة كولين، والدة الطفل الراحل. فكّرت في نفسها، كان هناك شيء جيد في ما كانت تفعله؛ وعلى الرغم من أنها كانت تأخذ منهم كل شـيء، إلا أنها كانت تمنحهم شـيئاً أيضاً. الحق، بطريقة أو بأخرى، في أن يكونوا على طبيعتهم أكثر مما كانوا عليه منذ سنوات.

مع ذلك، أبعدت فكرة الخير جانباً عندما بدأت تشعر بفقدانها السيطرة التامة على حشـد الناس المحيطين ببيل. وبينمـا كانوا يتجمعون حول الأم الجديدة، بدأت تشك في أنها كانت خدعة، وأنهم كانوا يخططون لشيء ضدها، وهمسوا بالتعليمات، بعضهم لبعض، أثناء قيامهم بذلك.

هكذا أطلقت رصاصة أخرى. صوب السقف. فقط لإظهار أنها كانت هي المسيطرة بعد الولادة، لن يتفوق عليها طفل.

واحداً تلو الآخر، عادوا إلى وضعياتهم السابقة على الأرض، بينما حاولت بيـل دفـع الطفل صوب ثديها. كان هناك بعض التحرر في الشـعور بأن هؤلاء الأشـخاص من حولها يفترضون الآن أنها كانت هكذا طوال حياتها. أنها كانت قاسية، وعديمة الشعور، وباردة، وخطيرة. رأت في أعين سمر وليلي أنهما شعرتا بأنها خدعتهما. طوال الوقت، بينما كانت تتشـارك وإياهما كعك الشـوفان في استراحة القهوة، كانت نان تنتظر الأيام التي يمكنها فيها قتلهن جميعاً، وسحقهن كما تفعل مع البسكويت.

غامرت بيل: «نان هل تريدين حمله؟».

أجابتها: «لا». من دون أن تلتفت لتنظر إليها «من فضلك لا تتكلمي».

«إذا حملته، فسترين الأمور بشكل مختلف، من فضلك، نان، تعالي إلى هنا، تعالي واحمليه». توسلتها بيل، وبدأ الطفل في التحرك بين ذراعيها، مُصدراً أصواتاً غريبة تشبه أصوات القطط الصغيرة عندما يُضغط عليها.

«قلت لا تتكلمي». صرخت نان، وهي تسير نحوها حاملة المسدس، بحيث كان المسدس على بعد بوصة واحدة من وجهها، ولكن عندما تحركت نحوها، أصبح عقل نان فارغاً مرة أخرى. فارغاً مثل ورقة بيضاء ونظيفة.

في تلك اللحظة لم تفهم شيئاً. لم تعد تعرف من هي المرأة التي تقف أمامها، ولم تفهم الغرض من الشيء الذي في يدها. بدا المخلوق الذي يتلوى بين ذراعي بيل غريباً، وكأنه من عالم آخر، وهو شيء لم تستطع أن تعرف اسماً له. شعرت بأنها على وشك أن يُغمى عليها. فجأة أصبحت كل عضلة في جسدها ثقيلة وخامدة. أرادت أن تقاوم لكن الظلام كان يلفها، ويتسرب عبر خط رؤيتها، وعندما سقطت فيه بتهور، كان فهمها الحقيقي الوحيد لما كان يحدث هو أنها أصبحت صغيرة وتافهة مرة أخرى، ومستنزفة القوة. عندما فقدت وعيها. بدا أن سمعها قد تلاشى هو الآخر، فلم تعد تسمع سوى أصداء خافتة بعيدة، لا علاقة لها بها.

انطلقت رصاصة، وانطلقت بعدها صرخة! ثم بعيداً مرة أخرى، سمعت صرخة صغيرة جداً ترتفع في الهواء.

إبين

2:30

لـــم يكـــن لدى إبين فكرة عن المكان الـــذي هو فيه. منذ اللحظة التي ترك فيهـــا النور ودخل الظلام، كان يتحســـس طريقه عبر كثيـــر من الأنفاق الصغيرة فوق فتحة الهواء، يسحب نفسه إلى الأمام، محاولاً طوال الوقت إبقاء المسدس إلى جانبه، لقد تعرّقت أصابعه، وبعد أن تحسس طريقه عبر النفق الضيق الثاني والثالث والرابع، عرف أن الوقت قد فات على التراجع، حتى أن فكرة التراجع بدت مستحيلة بحدّ ذاتها. لقد أسلم نفسه إلى هذه المتاهة الخانقة التي لا تسمح له ســـوى بالحد الأدنى من التنفس. عادت إليه كوابيس القلق من المســـاحات المظلمـــة، كوابيـــس كان يغرق فيها، ويصارع من أجل التنفس، في الوقت الذي تسحبه إلى الأسفل موجة قاتلة من الظلام.

كل صباح، عندما يســـتيقظ من هذه الكوابيس، كان يستنشـــق الهواء بيأس، ويدرك أن سبب الكابوس هو أنه يحاول التنفس من خلال أنفه، الذي كان ببساطة عديـــم الفائدة؛ لأنه كان دائماً مســـدوداً ومليئـــاً بالمخاط. لم يكن الأمر مختلفاً عما كان عليه الآن، حيث كان ينزلق عبر مادة لزجة فظيعة، وبدا له الأمر وكأنه داخل أنفه.

الأفكار النيرة جعلته يستمر. الثريا اللامعة فوق طاولة مطبخ والدته. شريط الإضاءة حول وســـطية مطبخ فرانكتون الجديدة. اللون الأبيض الشبحي الذي يكتنف المكتبة في الليل، عندما كان ينظر إليها من شـــقته كان أجمل منظر في

العالم. ومضات صغيرة من السطوع في عالمه الرمادي الباهت. قال لنفسه إنه سيقدّر مثل هذه الأشياء عندما يراها مرة أخرى، لقد نجا من الموت مثل جندي، من خلال السقف. تخيّل النظرة التي سترتسم على وجه فرانكتون عندما يروي له القصة، ربما بشيء من البهجة مدعياً أنه انتزع المسدس من امرأة مجنونة.

شعر أن المسدس، بالرغم من صغر حجمه، يحتل مساحة إلى جانبه، ومع ذلك بدا له أنه يزوده بالأمل، إذا فشل في كل شيء، سيكون قادراً على إطلاق الرصاص على أي شيء، أو أي شخص يعترض طريقه، إنه يستطيع الآن استخدامه من أجل إحداث فتحة في الأسطح حوله، ليحاول الخروج بسرعة أكبر، ولكن ربما لن يكون مضطراً إلى المخاطرة إلى هذا الحدّ. فماذا سيحدث إذا ارتدت الرصاصة من المعدن وعادت إليه؟ ماذا سيحدث إذا اصطدمت الرصاصة بشيء كهربائي؟ ماذا لو انفجر النفق بأكمله واندفعت النار إليه والتهمته؟

عندما كان في قمة قلقه، لم يتخيل سيناريو يتمثل باحتراقه حياً. في الوقت الحالي، كان الشيء الأكثر أماناً الذي يمكنه فعله هو الاستمرار في المضي قدماً عبر المادة اللزجة، التي سهّلت حركته، ولكن ما هي بحق السماء؟ جعلته رائحتها يرغب بالتقيؤ، وعندما ظن أنه سيتقيأ، تفاجأ بأن سرعة تحركه ازدادت، وقبل أن يدرك ذلك كان يستسلم لقوة الجاذبية، ويندفع إلى الأسفل، وذراعيه تنسحبان فوق رأسه، مثل طفل في حديقة مائية، لم يعد النفق يريده. هبط بقوة، وشعر بخيبة أمل عندما وجد نفسه في غرفة أخرى.

لقد بدت له القدرة على مد ذراعيه نعمة وبركة، ووجد نفسه في مكان بارد. نهض بحذر، بحثت أصابعه عن أي سقف منخفض، وبذل جهداً في محاولة استعادة وتيرة تنفسه الثابتة. أين هو المسدس؟ بحث عنه فوجده مغطى بالمادة نفسها التي سالت فوقه وهو يهبط.

كان هذا الظلام أفضل مقارنة بالظلام المترافق مع الخوف في النفق، ومع

أنه لم يستطع رؤية أي شيء، إلا أنه شم رائحة مألوفة. فتذكّر الإثارة التي يشعر بها عندما يدخل المكتبة، التي تعده بمعرفة كل ما يريد معرفته، إنها الرائحة التي تشمها عندما تفتح صناديق كبيرة ومنسية منذ فترة طويلة في العلية، إنها الحماسة التي لا تستطيع أن تطيق عليها صبراً لمعرفة ما لديك قبل أن تُسلمها إلى السلطات.

لكن الرائحة سرعان ما اختفت، ولم يعد قادراً على شمها؛ سيطر عليه شيء لاذع وحاد، مواد كيميائية تغرق الإحساس، وتمسح الذكريات.

لا شك في أن الرائحة تعني أنه قريب من الكتب الحقيقية، إنه قريب من شيء أصبح من المستحيل العثور عليه، ما من رائحة حقيقية يمكنها أن تثير نوعاً من الحنين الطفولي مثلها. جعلت جزيئات الغبار تنفسه أفضل بطريقة أو أخرى، ربما عثر على المخبأ المخفي تحت الأرض الذي سمع همساً عنه في حفلات العشاء التي أقامها فرانكتون؛ المخبأ الذي لا يفتح أبوابه للجمهور، والذي حافظ على الأعمال الفنية القيمة آمنة خلال الحرب العالمية الثانية. يبدو أن أحداً لا يعرف ما يحتويه المخبأ الآن، مع أنه تردد أنه يخفي أعمالاً محظورة اعتقدت الحكومة أنها ستثير تفكيراً متطرفاً.

تعثر وهو يمشي ماداً يديه أمامه، مثل رجل أعمى، واتسعت فتحتا أنفه مثل أنف كلب، ولامست أصابعه ما بدا كأنه ورق حقيقي، مادة سميكة ومُحززة ومتراكمة بجوار حائط. إنه ورق، تلك المادة القديمة المنسية، تقدم خطوة تلو الأخرى، وشعر بحجم الأغلفة السميكة للكتب الصلبة التي لا لبس فيها، مكدسة في برج صغير؛ والتي لم يُرَ مثيل لها في أي متجر أو مكتبة منذ سنوات.

فجأة وجد نفسه في زمن سابق لهذا الزمن المفعم بالترهات، قبل الوباء العظيم، عندما كان يستطيع تصفح الكتب في المتاجر، قبل أن يقرر أي كتاب يريد. ألم يكن هذا الأمر مسلماً به؟ تصفح كل ما هو أمامه بتكاسل، مع أنه قد لا يشتري أي شيء منه. لم يستطع أن يتذكر اللحظة التي تبدّل فيها كل

شـــيء، اللحظة التي اســـتبدلت بالرفوف تلك الشاشات الصغيرة، تلك الشرائح البلاســـتيكية، التي صنعت لتبدو وكأنها صف من الكتب. لقد افترض أن الأمر حصل بشـــكل تدريجي قبل أن يصبح حظر الورق رســـمياً - رفاً تلو رف، كتاباً تلو كتاب - لكنه كان منغمســـاً جداً في حياته الخاصة، وفي ســـعيه لتدمير سمعة إيلينا، فلم يلحظ ذلك.

اســـتمرت كتب إيلينا في الظهور في واجهات العرض الفخمة، حاجبة أي كتب أخرى، وكان يعرف أنه يفسد ترتيب واجهات العرض عندما لا يكون مدير متجـــر الكتب ينظر إليـــه فيضع كتب إيلينا في الخلف. الآن يمكنه رؤية الوضع علـــى مـــا هو عليه؛ وكيف أنه عندما عاد لينظر إلى متاجر الكتب، كان الأوان قد فات، فلم يعد في داخلها أي كتب.

لـــم تكـــن الكتب في هذه الغرفة مرتبة بالدقة المعتادة لمجموعة مكتبة، بل كانت مبعثرة بشـــكل عشـــوائي في كل مكان، وكأنها انتزعت من الصناديق، أو ألقيت فتحطمت أغلفتها، وبدا أن بعضها الآخر قد مدّ ألسنته الصفراء احتجاجاً. عندما لم يعد الظلام دامســـاً، بدأ في تمييز العناوين الذهبية المنقوشـــة، والتي كانـــت بعض أحرفها ممحية، وهذا ما جعل من التعرف إليها مســـتحيلاً. علاوة على ذلك، رأى مرة أخرى أن هناك أكواماً وأكواماً من الكتب في جميع أركان الغرفة الأربعة، تصل إلى أبعد ما يمكن أن تراه العين. لم يبدُ له أن هناك ســـقفاً لهذه الغرفة؛ بدا وكأنه هبط أســـفل المكتبة، في مســـاحة تصل مباشـــرة إلى قمة المبنى الضخم، وبدا أن كدسة الكتب تصل إلى القمة. لقد استغرب عندما رأى الإهمال الذي تُعامل به الكتب، وخُيّل إليه أنها تُركت لتتدبر أمر الاهتمام بنفسها

هناك خطب ما هنا. فجأة شعر بالحنين إلى أرشيف إيلينا الصغير والمرتب، حيـــث وضعـــت مقتنياتها بالترتيب، رفاً بعد رف. وبدا له أن هذا المكان أشـــبه بجحيم خاص بالكتب تعمّه الفوضى، فلم تحظَ الكتب بالتقدير الذي تستحقه، بل كان يُنظر إليها على أنها مصدر إزعاج، تعيق ما يعتبر أنه مساحة جيدة لو لم

تكن الكتب موجودة. لقد كان هذا المكان نقيض الأرشيف، مكان لم توثّق فيه الأشياء، أو تُسجّل، أو يُحتفظ بها في الأماكن المخصصة لها، بل انتزعت بطريقة ما، وسحقت حتى لا يراها أحد مرة أخرى.

أدرك إبيــن أنــه فهم الفكرة، لقد وضعت الكتب في مكان لا يُفترض بأحد أن يراها فيه، مكان لا يفترض بأحد أن يعرف بوجوده.

دان

2:45

بدا التغيير الذي رآه فيها مذهلاً، فهي بدت خالية من الحقد والشر اللذين سـمعهما فـي صوتها عندما كان على الشـرفة، ولكن هنـاك حقائق لا يمكنه تجاهلها. لقد خدعته، وجعلته يضع لقطات فيديو غير صحيحة، وسرقت جهازه الخاص من جيبه، واحتجزت كل هؤلاء الأشـخاص، لتسوي حساباً خاصاً مع ذلـك الباحث الأحمق. كان يعرف أنها أقدمت على كل هذا، ومع ذلك، داخل هذه الغرفة، بدا أن المعلومات تلاشـت فجأة مرة أخرى، وكأن خيال علاقتهما داخل أرشيف إيلينا لم يمس.

ما عادا يستطيعان التوقف عن تبادل القبل. لقد خلعت ملابسها بطريقة لم يسبق لها أن فعلتها، وسحبت بلوزتها حتى انزلقت إلى خصرها، وأبقت تنورتها عليها، ولم تفرج سـاقيها. كان الأمر على النقيـض تماماً من الطريقة المعتادة؛ تراجعت إلى الخلف وحدّقت إلى السـقف وكأنها تنتظر أن يفحصها الطبيب. هـذه المـرة، تجوّلت يداها على وجهه وصدره، بـدلاً من أن تبقيا بعيدتين، بدا الأمر وكأنها تستكشفه بالكامل للمرة الأولى، وتستوعبه، وتقرأه بطريقة مختلفة، وبعمق.

عندما ولجها، سمع صوتاً سبق له أن سمعه في المرة الأولى التي فعلا فيها هذا. تنهدت فشعر بالصدمة من سماع هذا، تراجع ليتأكد أنها على ما يرام، لكنها أمسكت به وكأنها تخشى أن يتركها، وسحبته أكثر إلى مكان أكثر نعومة، واستمرا

في ما يقومان به حتى انتظمت أنفاسها من جديد. هذه المرة نظرت مباشرة إلى عينيه، بدلاً من أن تنظر بعيداً كما تفعل عادة، ولم تقطع الاتصال البصري به، حيث كانت شفتاها تتباعدان تدريجياً أكثر فأكثر مع كل زفير.

دفعها إلى أعلى الطاولة حتى يثبتها، فبدأت تمسك الكتب الموضوعة فوق رأسها وتقذف بها عبر الغرفة مع كل دفعة، فسقطت بعض الكتب على ظهره، وكلما أصبحت زاوية عاموده الفقري أكثر حدة ازداد إثارة. همست في أذنه، وأخبرته أنها قرأت عن مثل هذا في الكتب، وأنها حلمت بفعل ذلك معه. أخبرته عما تشعر به، وهو يتحرك داخلها، ومتى شعرت بالرعشات. لقد كانت ترسم خريطة لتلك الرعشات عبر جسدها حتى يستطيع تتبعها بيديه وعينيه وفمه، وبدت كلماتها وأصواتها مثيرة بقدر جسدها، فلم يعد قادراً على ضبط نفسه.

قالت: «من فضلك، ليس الآن موجهة يده إلى الأسفل تحت تنورتها، حيث حرك كفه بلطف نحوها حتى لم تعد تتكلم ولم تعد الخريطة ضرورية. كانت تجريدية، وهي تشاهد جسدها يرقص تحت حركة يده، دون أي عائق على الإطلاق، وللمرة الأولى.

قال بعد أن انتهيا: «أنا آسف لأنني لم أستطع الصمود، فلم يسبق لي أن رأيتك مثيرة إلى هذا الحدّ».

قالت وهي تبتسم له: «حسناً، أتمنى أن يكون الأمر استحق الانتظار».

لم يعرف دان كيف يرد عليها، ما الذي كان مختلفاً؟

تابعت: «سأتذكر ذلك دائماً، إنه جزء من قصة الحياة، أليس كذلك؟ المرة الأولى، ولحظة الحقيقة».

لم يكن متأكداً أنه فهم ما تعنيه: المرة الأولى لها؟ هل هذه هي المرة الأولى التي تصل فيها إلى النشوة معه؟ لقد ظن ذلك، عندما أخذ بالاعتبار الطريقة الباردة والهامدة التي كانت ترقد فيها تحته في المحاولات السابقة، والتي تبدو فيها بالكاد تطيقه. إن كان هذا ما قصدته، فلم يشعره بالارتياح لأنه استغرق

كل هـذا الوقـت لإرضائها، على الرغم من الطريقة التي كان يشـعر بها أيضاً، والطريقة التي كان بها كل شـيء مختلفاً. فجأة، بدا أن كل شـيء تغير، وعادت الكيمياء بينهما إلى وضعها الصحيح. هل كان ذلك بسبب ما فعلته؟ هل كانت مثارة بسـبب تهديدها للناس؟ ربما أشعرها الأمر بالحماسة، ربما لأنها شعرت أنها قوية؟

«مهلاً...نان». قال اسمها للمرة الأولى في هذه الغرفة المظلمة «هل تعنين بقولـك إنهـا المرة الأولى، أنها كانت الأفضل...؟ عذراً لأنني أسـألك، أنا لا أشـعر بالضير إن لم تريني جيداً في المرات السـابقة، ولكن إذا لم أطرح عليك هذا السؤال فسأبقى أفكر فيه».

نظرت إليه. لم يكن هناك شـك في أنه قال شـيئاً فظيعاً حقاً. فجأة ابتعدت عنه، وكأنه ضربها، أمسكت ملابسها على عجل، ورفعت حمالة ثدييها، وزررت قميصها بطريقة خاطئة.

قال: «اسمك نان أليس كذلك؟ انظري إليّ من فضلك».

صرخت عليه: «أنا لست هي، ألم تلحظ ذلك، لماذا لم تُخبرني أنها فعلت هذا معك».

حـدق إليهـا دان، وقبل أن يعرف ما حدث، صعدت إلى الطاولة واختفت عبر فتحة التهوية، تاركة إياه واقفاً وحيداً ومحتاراً في غرفة بدت قبل دقائق فقط أنها المكان الأكثر أماناً في العالم، كان التمثال النصفي لإيلينا يُحدق إليه، يحدق ويبتسم بسخرية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

آنّا

3:00

تدفقت دموعها عندما وجدت العتمة تلفها. عندما ناداها باسم نان، أدركت بشكلٍ مدمّرٍ وغير قابل للشك أنه يظنها شقيقتها، شعرت أن الفتحة فوق رأسها غدت نعمة، وفرصةً لتطوي نفســها بعيداً في قلب العدم مرة أخرى، فتمحو ما حدث بينهما.

فــي الواقع، هي من دفعــت دان ليعتقد أنها تلاحق إبين. كل ما أرادته هو الابتعاد عنه قدر الإمكان، حتى أن مجرد النظر إليه في هذه اللحظة، وهي تعلم أن شقيقتها نظرت إليه بالطريقة نفسها، أشعرتها بالألم.

عبقت الرائحة الكريهة المنبعثة من الأسفل في أنفها، وازدحمت في عقلها صور لما قد تكون شــقيقتها قد فعلته مع دان، الأمر الذي كان مزيجاً مركّزاً من الأسى يكفي لجعلها تتقيأ أكثر من مرة، وتصرخ بصوتٍ وحشي يتردد صداه في كل مكانٍ حولها.

تحسست طريقها إلى الأمام عبر النفق، وتلمّست بأصابعها السقف فوقها، بحثاً عن فتحات تعرف أنها موجودة في مكانٍ ما، فهي واحدة من القلائل الذين اســتطاعوا الوصول إلى الغرف التي تعلو الأرشــيف مباشرةً. رُفعت مرتبة تلك الغرف الصغيرة مؤخراً لتصبح: غرف حفظ، مع أن ما يُحفظ فيها ظل لغزاً بالنسبة إلى غالبية الموظفين، عرفت آنّا أن هذه الغرف اختيرت بعناية بســبب مســاحة الزحف الموجودة أســفلها. إنها طبقةٌ ســريةٌ بينها وبين الأرشيف، حيث يمكن

وضع المواد فيها بشكلٍ سري، من دون أن يعرف أي شخص أنها خرجت من الغرفة.

لم تتوقع يوماً أن تجد نفسها داخل مساحة الزحف، متجهةً نحو المنزلق مثل الكتب. مرةً أخرى، وبالعودة إلى ما حدث لها منذ لحظات، كان يناسبها بشكل غريب أن تشعر بالرفض الشديد، والتجاهل الشديد، كأنها غير مهمةٍ لأحدٍ، مع أنها على العكس من ذلك. فقبل لحظات فقط، شعرت بأنها أهم شخص في هذا العالم عندما كانت بين يديّ دان.

بالطبع، كان هذا دليلاً على نجاح الخطة، بحيث يعتقد أنهما شخص واحد، فبعد كل شيء، ألم تحاولا جاهدتين، خلال شهر أو نحو ذلك منذ وصوله، أن تعطياه هذا الانطباع؟ ولكن بالرغم من ذلك، أزعجتها حقيقة معرفته اسم شقيقتها، وجهله اسمها.

ألم تتعهّدا أيضاً على إبعاد فكرة الأسماء كلياً، كي تصبحا كياناً واحداً من دون اسم لأطول فترة ممكنة؟

قالت آنّا: «لكنه ربما يسأل أحداً عنا».

أجابت نان: «لن يسأل، فهو لا يتحدث إلى أي شخص ما لم يكن مضطراً إلى ذلك».

طوال هذه الأسابيع، لم تثر أي منهما اهتماماً لديه بما يدفعه لإجراء بحثٍ عن هويتيهما على الحاسوب، (كانتا تخترقان سجل بحثه على النظام كل مساء: تجدان أحياناً أنه فتح مواقع إباحية، ومواقع متخصصة بمعدات صيد الأسماك، بالإضافة إلى بحث عشوائي عبر غوغل عما يستطيع وما لا يستطيع المرء أن يفعله خلال فترة إطلاق السراح المشروط).

كان كل شيءٍ سطحياً جداً بالنسبة إليه، لم يكن هناك مزيد من التعمق، ولا التحقق، ولا أي بحثٍ يتعلق بحياته العملية اليومية. مع دان ماثيوز، ستحصل

فقط على ما تراه وهو يقوم بدورياته في الممرات، مُنكساً رأسه. شعرت آنّا بنوع من الغيرة لأن شخصاً استطاع أن يعيش بهذه الطريقة، ساعةً تلو ساعة، لا ينظر أبداً إلى الوراء، ولا ينظر أبداً إلى الأمام، يعيش فقط في واقعه اللطيف والهادئ، مرة أخرى، لا شك أنه بدا سعيداً بهذه الحياة البسيطة، إذا استرجع ذكريات ماضيه.

من خلال تقارير اختراق حاسوبه، علمتا أن تدخينه الحشيش خرّب جزءاً من دماغه، كذلك علمتا أن هذه العادة لم تجعله ذا شعبية لدى غيره من البوابين المتشددين في أحكامهم، لذلك لم يكن لديه أصدقاء حقيقيون، لأن أحداً لم يثق به، في بعض الأحيان، وجدت آنّا هذا الأمر محزناً جداً.

بين الحين والآخر، عندما كانت تتنزه مساء هي وشقيقتها، كانت تنظر إلى تلك النافذة الصغيرة التي تعلو الممر، تتساءل عمّا يفعله هناك، فبحسب شروط إطلاق السراح المشروط كان ممنوعاً عليه الخروج بعد الساعة السادسة مساءً، وهكذا أصبح بوسعهما التجول معاً بأمان في المدينة في هذا الوقت.

تتجمع عند نافذته النوارس، تماماً كما تفعل عند نافذتهما، حسدتها آنّا على قربها منه في ليالٍ كهذه، فهما لا يتقابلان بعد أن يحل الغسق، وهذا ما جعل موجة من الشوق إليه تتجمع في صدرها.

لا يعني ذلك أنها أسرّت لنان بأنها تكن له مشاعر حقيقية، فلم تكن الغاية من مغازلتهما اليومية الوصول إلى أي شيءٍ جدي، كما لا ينبغي أن تقدم له سوى القليل من الإلهاء. لقد استمتع التوأم بهذه اللعبة التي سمحت لهما فعل شيء لم تفعلاه مطلقاً في الواقع، وهو الاستمتاع يومياً، في كل ظهور لهما، وكأنهما شخص واحد، من دون أن يكون لأي واحدةٍ منهما انعكاسها الخاص في النهاية.

«لا يمكن لنا الظهور معاً في الوقت نفسه».

همست كل واحدة منهما للأخرى في الممرات، وكانتا تضحكان عندما

تخطئـــان، أو إذا صادفـــت إحداهما الأخرى في حمام الموظفين، وعندما تقفان أمام المرآة ولا تعودان اثنتين بل أربعة.

كانتا تتصرفان وفقاً لقواعد وضعتاها بسببه.

قالت نان: «إذا أصبحنا أكثر قرباً منه، علينا أن نجرّب شيئاً ما، لا يمكننا أن نستسلم، ولذلك: يجب أن نجعله يريد المزيد.. يريدنا».

أصغت آنّا إلى شـــقيقتها، واتبعـــت القواعد، بغض النظر عن توقها إلى أن يقبّلها، وما إلى ذلك. الآن، تعتقد آنّا أن نان أقنعتها أن ترفض محاولات دان كي تتمكن هي من تجربة شيء ما، لمرةٍ واحدة، من دونها. الآن، تذكرت أنه في كل مرة كانت آنّا تفعل ذلك، وتدفع يده بعيداً، كان ينظر إليها بغرابة، فقد كانت تمنعه عن شـــيء ســـبق له أن حصل عليه، ارتعدت آنّا وهي تفكر في تلك الليالي التي أمضتها وحيدةً في الشقة، وهي تخلع ملابسها، وتستلقي على السرير، وما كانت آنّا تتخيله، حدث في الواقع، في تلك الأيام، على مسافة أقل من ميل واحد.

هذه المرة، لم يكن الأمر مجرد تخيّل، لقد أحست به داخلها، وكانت ذكرى علاقتهما لا تزال تسري في جسدها. مكتبة سُر مَن قرأ

لـــم يكن الأمر مؤلماً بالقدر الذي توقعتْه، أو يمكن القول: كان ذلك الألم مشوباً بالكثير من المتعة لدرجة أنها تقبّلته باعتباره مقدمة لا بد منها.

شعرت بأحاسيس لم تعرف أنها تستطيع الشعور بها، فتحررت جميع أنواع العجائب في أعماقها، فشـــعرت بالحب والرغبة معاً، عندما ضمها إليه بلطف، بينما أســـندت رأسها في المساحة التي بدت مخصصة لها، عند ترقوته، مع أنها عرفت الآن أن هذا كان مجرد هراء، لأن دان لم يحبها، مثلما أحب نان، وربما رأى فيها فرصةً لمداعبةٍ أخيرة قبل أن ينهار العالم كله فوقه.

لكنها شعرت بالحرية في اللحظة التي سمحت فيها لنفسها بخرق القواعد، وفعـــل مـــا لم يكن يفترض بها أن تفعله، مـــن دون أن تدرك أن ما تقوم به، كان

كالعادة نسخة من عمل سبق له أن قام به مع شقيقتها، وأن تجربتها لم تكن إلا تجربة عن الفعل السابق نفسه؛ نسخة رقمية من الأصل الثمين.

حتى لو افترضت أن محادثتهما تلك لم تحدث مسبقاً، فقد استمع إليها، وتعامل معها بعقلانية قائلاً: «يتخذ الناس القرارات في نهاية اليوم، هو لم يقتلها في الواقع، أليس كذلك؟ لم يكن ذلك حقيقياً، لا بد أنك قادرة على رؤية ذلك».

فكّرت في أنها لم تسمح لنفسها بالترفيه، كما لم تفعل شقيقتها، وعندما اختارت إيلينا أن تفعل هذا، لم تفعل ذلك من أجلها فحسب، بل من أجلهما أيضاً.

رأت بصيصاً من الضوء فوقها، لقد وجدت في النهاية إحدى الفتحات المؤدية إلى الغرف، فدفعتها بيدها نحو الأعلى لكن الغطاء لم يتزحزح، فقد كان مغلقاً بإحكام من الجانب الآخر.

حاولت أن تجرّب أسلوباً آخر، استلقت على ظهرها، ثم دفعت بقدميها نحو الأعلى، تخلخلت الفتحة قليلاً، ولكن ليس بما يكفي لتتمكن من تمرير يدها من خلالها، مع ذلك، سمعت عبر الفتحة أصواتاً قادمة من المبنى فوقها، سمعت صوت رصاصة أخرى: «نان».

ارتجفت وهي تفكر، لا بد أن نان أطلقت رصاصة على شخصٍ آخر، إذا كان صحيحاً ما فكّرت فيه. ما كانت تستطيع فعل شيء عدا تقبّل الأمر، وتقبّل الحقيقة التي أدت إلى حدوث ذلك، لماذا؟ كي تجد نفسها فقط عالقة هنا في هذا الفضاء اللامكاني الغريب، بين عالم وآخر، من دون أن تحقق شيئاً سوى أن تنكمش على نفسها أكثر كي تغدو أصغر حجماً وأكثر تفاهةً مما كانت عليه في أي وقت مضى، ضائعة وسط الغبار والعتمة؟

فكّرت في أن نان قد تكون في طريقها إلى هنا الآن، وأنها قد تصل إلى منطقة الزحف في أي لحظة، وأنها ستحثها على الاستمرار، وستدفعها لاتخاذ

القرار قبل أن تكون مستعدة له، وربما ستقرر الخوض في الأمر بمفردها بمجرد أن تعرف مكانه؛ رغم أن آنّا تستطيع أن تؤكد جهل شقيقتها بوجود غرف الحفظ، والطابق السفلي، أو حقيقة ما يكمن هناك. قد يكون هذا كافياً لإيقافها مسارها، لولا إدراكها أن ما اتخذته المكتبة من قرارات مؤخراً كان أسوأ من تلك التي سبق لوالدتها أن اتخذتها.

الآن، شعرت آنّا بالتعب، شعرت بتعب شديد، وآلمتها أطرافها بسبب كل هذا الجهد. وعلى الرغم من أنها كانت تمتلك فكرة مشوشة عن مكان إبين - مفترضةً أنه رحل عبر مساحة الزحف حتى انزلق إلى المزلق - إلا أنها لم تكن متأكدة أنها تمتلك ما يكفي من الطاقة لملاحقته. كان هناك شيءٌ مريح في حالها هذا، فهي لم تعد مضطرةً لاتخاذ القرارات أو وضع الخطط بعد الآن، ربما تستطيع الاستلقاء هنا، في الظلام، من دون أن يُطلب منها أي شيء حتى تختفي تماماً في أساسات المبنى.

تذكّرت محاولة الانتحار الأولى للشاعرة المفضلة لدى والدتها التي تنتمي إلى إحدى الدول الكبرى، الشاعرة التي تناولت جرعةً زائدةً وجلست أسفل الدرج تحت منزل والدتها لتموت هناك.

بحث الجميع عنها لمدة يومين كاملين، من دون أن يعرفوا أنها كانت أمامهم مباشرة؛ أو بالأحرى تحتهم. فكّرت آنّا في الوضع الذي عاشته والدة الشاعرة، وهي تسير فوقها، بينما كان أولئك الذين يبحثون عنها ويحاولون العثور عليها في الأنهار والغابات والمساحات المفتوحة الشاسعة.

طوال الوقت كانت الشاعرة الشابة محشورة في أضيق مساحة ممكنة، تتقيأ جرعتها الزائدة التي انتشرت في جسدها، وكانت أضعف من أن تصرخ؛ ولكنهم في النهاية وجدوها وأنقذوها قبل فوات الأوان، لكن لا بد أن يكون هناك قليل من العزاء في كل ذلك، هذا ما فكّرت فيه آنّا؛ في الوقت الذي تقضيه هناك

وأنتَ معلق بين سطحين، لتجعل نفسك جزءاً من مبنى، ولا تشعر بأنك أكثر من مجرد بناء، يمتزج الدم والمادة الصفراء والماء والملاط والطوب وألواح الجبس والكابلات والأوردة معاً لتغدو شيئاً لا يمكن تمييزه.

في نهاية المطاف، وفي وقت لاحق من حياتها، استطاعت الشاعرة أن تنتحر، وكانت تلك المهمة شاقة بما يكفي لتجعل آنّا تفكر في أنها تتلاعب بالموت عندما اختبأت أسفل المنزل في المرة الأولى؛ كأنها تلعب معه لعبة الغميضة المتقنة، وهي تتساءل من سيعثر عليها أولاً، الموت أو الحياة.

ثم فكّرت في والدتها والحافة، النوع المعاكس من الانتحار، أرادت إيلينا أن تكون مباشرة، وأن ينظر الموت إليها، كأنها أرادت شهوداً، للحصول على عرضٍ منه، على الرغم من أن نان وجدت تبريراً لها، وقالت إنه من المنطقي بالنسبة إلى والدتها أن تموت بالطريقة التي لا تنسى، بعد أن أمضت حياتها المهنية، وهي ترتب حالات لا نهاية لها من الموت التراجيدي لشخصياتها، إلا أن آنّا لا تزال غير قادرة أن تغفر لها ذلك، فحياتها، بعد كل شيء، لم تكن مجرد رواية، ولم تكن ترغب لا هي ولا شقيقتها أن تكونا جزءاً من الرواية، كل ما أرادتاه أن تكونا طفلتيها، هناك شيءٌ وحيدٌ كان يريح آنّا رغم كل ما قاله الآخرون عن والدتها الروائية، هو أنها كانت شخصية عظيمة، شخصيةً لا يمكن المساس بها تقريباً، لكنها كانت بالنسبة إليهما على العكس من ذلك، كانت كياناً مادياً، امرأةً كان حضورها ولمسها أمرين ضروريين بالنسبة إليهما، بعد أن سقط رأساهما في المخاض بشكل مريح في حضنها الدافئ، أصبحت أيديهما الصغيرة تبحث عنها في الليل عندما تشعران بالخوف.

حتى عندما كبرتا؛ ظلتا قريبتين منها، لم تشعر الوالدة أبداً بالحاجة إلى شريك، ولم تشعر الفتاتان بذلك أيضاً، وبدا أن أي شخصٍ أو شيءٍ لن يهدد الرابطة بينهن أو يدخل بينهن. في النهاية، وجدن خطورة شديدة في أن يقطع أي

شــيءٍ ذلك الثالوث المقدس الذي شكلنه معاً، ذهبتا برفقتها إلى المهرجانات، وإلى احتفالات توزيع الجوائز، وسافرتا معها إلى وجهات مختلفة حول العالم، وكانت أيديهن الست متشابكة في كل هبوط وعر؛ شعرن دائماً بالارتياح لأنهن وصلن إلى الجانب الآخر وهن أحياء، وكان يســكنهن الرعب دائماً لأن الحياة التي كن يعشنها جيدة للغاية، ولأنها كانت دائماً معرضة لخطر الانتهاء.

كن يفعلن كل شــيء معاً، وعلى الرغم من ذلك، قررت إيلينا في النهاية، أن تفعــل الأمر بمفردهــا، لتفرط عقد المجموعة، واختارت توقيت ذلك عندما كانــت كل واحــدة منهما في مكانٍ مختلــف، وكأنها تريد أن تؤكد أن اتحادهن انتهى بموتها.

كانت آنّا الشاهدة الوحيدة على الانتحار، من دون أن تستطيع فعل أي شيء حيال ذلك. ربما كان عجزها هذا هو ما تراه الآن شــيئاً فرضته عليها إيلينا؛ ألا تملك القدرة على فعل أي شــيء لوقف هذا الســقوط الذي قادها إلى هنا، من دون سلاح ولا جثة كما خططت، عالقةً في هذه الظلمة، ليذكرها هذا، أكثر من أي شيء آخر، بعجزها في هذه اللحظة، ويجعلها تستيقظ وتخبر نفسها بأنها إذا بقيــت هنا لفترة أطول، فلــن ينتهي بها الأمر إلى الاختفاء في المبنى أو الموت بشــكل لائق على الإطلاق، بل يُرجح أن يعثروا عليها ويعتقلوها، من دون أن يكون هناك ما يدل على ذلك سوى شقيقة مختلةٍ خلّفت وراءها أثراً من الجثث، هكذا قد تعاقب آنّا بسبب شيءٍ لم تشارك وإن بجزء منه.

مع أنها تقبّلت الآن، بطريقة ما، أن دان كان محقاً، وأن إبين لم يقتل والدتها بالفعل - فهو لم يجعلها تتسلّق إلى نافذة الحمام لتلقي بنفسها من تلك الحافة - إلا أنها لا تزال تشعر أنه من الضروري العثور عليه، أو على الأقل قتله، كما كانتا تعتزمان، ومهما تكن حقيقة الأمر. بدا جلياً أن إيلينا أرادت أن تلقي باللوم على أحدهم، ويفترض بآنّا أن تحترم إرادتها، وعلى الأقل جعله يعتقد أنه قد يموت،

وإلا ما الذي كانت ستحقّقه؟ كان من المستحيل أن توصف بالشقيقة التي فقدت شجاعتها في منتصف الطريق واختبأت، كان ميراثها الوحيد هو الأشياء الفظيعة التـــي فعلتهـــا خلال عملها، وحتى لو لم تتمكن فعلياً من الضغط على الزناد في النهاية، ستكون نيتها واضحةً على الأقل، وستجعله يواجه الأذى الذي سببه.

سمعت آنّا ضجيجاً، كأن أحداً ما كان يمشي في قاع الظلام، صوت شخصٍ يتحرك في أعماق المكتبة، ثم، فوق رأسها، صوت شخص يركض، تاركاً المبنى.

لا شك أن إبين موجودٌ في مكانٍ ما، وعليها أن تصل إليه قبل نان.

إبين

3:10

خشـــي أن تطمره كدســـة الكتب، ففي كل مرة حاول فيها سحب كتابٍ أو العثور على فتحة، وجد نفسه محاصراً أكثر، فكلما كان يمسك كتاباً يتفتت بين يديه، وبدا من المســـتحيل أن يســـتطيع سحب أي شيء بطريقة آمنة. شم رائحة كريهة تنبعث من المادة الصفراء أســـفل قدميه، إنها المادة نفسها التي أتاحت له التحـــرك عبـــر النفق، وها هي تتيح لـــه التحرك على الأرض، أو على الأقل هذا ما كانت عليه، قبل أن يتزحلق وينتهي به المطاف في إحدى الزوايا الفارغة في غابة الكتب هذه.

قال عندما رأى الكدسة تهتز، وبدت على وشك أن تسقط بعد أن اصطدم بها: «سأُشتهر بأنني الرجل الذي نجا من إطلاق الرصاص، ولكنه مات مهروساً تحت كدســـة الكتب». أغمض عينيه منتظراً تســـاقط الكتب عليه، ولكن أياً منها لم يســـقط. بعد الارتجاج الأولي، استقرت الكدسة التي تشبه الشجرة متشابكة الأغصان. لقد استعادت الكدسة ثباتها، وكأن الكتب استعادت تماسكها.

نهـــض إبين وركل الكدســـة، بدت له الكتـــب ناعمة الملمس، وصلبة مثل الرصاص، وعندما تفحصها عن كثب تبيّن له أنها لم تكن كدســـة كما ظنها في البـــدء، بـــل كانت مندمجة ببعضها، ومندمجة في البناء، وكأنها جزء من الجدار، وحيث وجّه بصره، رأى كدسات أخرى، وكانت متفاوتة التحلل، وكانت كلماتها ونصوصها تتلاشى لتصبح عديمة المعنى.

ما الذي كانت عليه هذه الكتب المختارة؟ من أين أتت؟ كيف يمكن لمكتبة أن تبرر ما حل بهذه المؤلفات، وهي التي يفترض بها أن تؤرشفها، وتحتفظ بنسخة من كل كتاب نُشر في هذه الدولة، فحتى لو حوّلتها إلى نُسخ رقمية، يفترض بها أن تحتفظ بالنُسخ الأصلية، فهذا امتياز خُصت به دون الآخرين، لأن الأفراد لا يمكن الاعتماد عليهم للتعامل مع الكتب بالطريقة الصحيحة من دون أن يصابوا بالمرض. إن لم تكن المكتبة هي من ستحتفظ بالكتب بالطريقة المناسبة فمن سيفعل؟ حاول أن يقرأ عناوين الكتب، مع أن أحرف بعضها كانت ممحية، لم يتعرف إلى أسماء الكتب المدوّنة على جوانب الكتب، وهو الذي ظن نفسه يعرف تاريخ الدولة الأدبي أكثر من الآخرين، ومن خلال الاطلاع على أسماء الناشرين، تبيّن له أن الكتب كلها طبعت في هذه الدولة، ولم يكن بينها كتاب واحد طبع في الدولة المجاورة. وعندما انتزع علامة تبويب من أحد الكتب أسفل الكدسة قرأ مجموعة الكتب النادرة وقد شطبت بقلم أسود.

سرت القشعريرة في جسده عندما أدرك ما الذي كان ينظر إليه، إنها مجموعة الكتب النادرة التي يفترض أنها أتلفت بسبب الحريق الذي نشب قبل عدة سنوات بسبب سوء استخدام أحد العاملين لمواد قابلة للاشتعال، بحسب ما أفادت به المكتبة. تذكّر ما أعلنته رئيسة الحكومة عندما ذكرت أنهم تعلموا الدروس من هذه الكارثة، وأن الكتب الحقيقية تبقى دائماً عُرضة لخطر أن تُسرق أو تُدمر، وهذا ما لن تسمح به الدولة، بعد أن أصبح الورق سلعة نادرة، وأنهم فعلياً بدأوا بتقليص عدد الكتب المطبوعة بسبب الدور الذي أدّته بانتشار الجائحة، أضافت رئيسة الحكومة أن الطريقة الوحيدة لحماية هوية الأمة، تتمثل في رقمنة الكتب، وعدم طباعة أي نُسخ إلا عند الضرورة، ومنع أي كتب في الأماكن العامة، وأكدت أن الكتب القديمة سيحتفظ بها بأمان في الأرشيفات.

صرّحت الرئيســـة بطريقة واضحة: «لأكون صريحة بشـــكل كامل. نحن لن نسعى من خلال هذه الخطوة الجذرية إلى التخلص من الكتب، بل سنسعى إلى خفـــض بصمتنا الكربونية، وســـنكون رواد العالم وأول من يقدم على مثل هذه الخطوة التقدمية».

الآن أدرك إيبن حقيقة ما حصل، فخاطب نفسه هامساً: «لأكون واضحاً، لم يحصـــل أي حريق، ولـــم تتلف الكتب، بل رميت هنا بعيداً عن الأنظار». ولكن بالرغـــم من معرفته هذا الأمر، لم يفهم المنطق الكامن خلفه، إنهم لم يرموا كل الكتب هنا، فقد وجد كتب إيلينا في أرشـــيفها، حيث اســـتطاع تصفحها. فما هو المعيـــار الـــذي اعتمدوه لمعرفة أي الكتب يُحتفظ بها، وأيها يُرمى؟ وهل كانت هناك تفضيلات؟ قرأ أســـماء الكتب مجدّداً، وتبيّن له أنه لم يســـبق له أن ســـمع ببعضهـــا، ربمـــا رمُيت الكتب الأقل أهمية وشـــعبية، ولكن كيف عرفوا أن هذا الكتـــب أقل أهمية وأقل شـــعبية؟ هل لأنها لم تقرأ، هـــل هذا ما كان فرانكتون وأصدقاؤه ينبهون إليه طوال الفترة السابقة؟ للحظة فكّر في مؤلفي هذه الكتاب الذيـــن كتبوها وبعدها ماتوا ودفنوا فـــي الأرض حيث تحللوا، تماماً كما دفنت كتبهم هنا لتتحلل، وهم الذين كتبوها لتخلد ذكراهم، ولكنهم لم يتخيلوا ما الذي سينتهي به الأمر في مثل هذه الدولة الغبية، التي تسعى عامدة متعمدة لتخليص نفســـها من تاريخها وتراثها. كيف سينتهي الأمر بهذه الكتب التي لم تتلف بعد، التي كانت جميعها ستصبح بعد فترة جزءاً من الجدار؟

توجّـــه نحـــو برج الكتب في زاوية الغرفة. هذه الكتب بدت أكثر نعومة من الآخرين. لقد كانت أفضل حالاً من سائر كدسات الكتب، ربما نُقلت حديثاً إلى هنا، لفت نظره كتاب أخضر، بدا بشكل أو بآخر أفضل من سواه. كان تقريباً في حالة جيدة، لقد نجح في إنقاذ أحد الكتب، تخيّل نفسه وهو يُطلع فرانكتون على ما قام به، فهو لم يتمكن من النجاة فقط، بل أنقذ كتاباً من مصير أسود كان ينتظره،

لا بد أن صديقه سـيهنئه على هذا العمل البطولي. وبينما كان يبحث في الظلام عـن عنـوان الكتاب، لفت أمر ما انتباهه، كان الكتاب جزءاً من سلسـلة تحمل عنوان سلسـلة المائدة المسـتديرة، من كنوز هذه الدولة الصغيرة، وقرأ ما كتب أسفل هذا العنوان بحروف ثخينة وكأن هذا الكتاب هو من اختاره وليس العكس:

«إبين الشاعر: مختارات.»

دان

3:20

إنها المرة الأولى التي يدرك فيها أنهما اثنتان وليس واحدة.

لم يخطئ بسماع اسمها عندما ذكره كينفين، فالطريقة التي نظرت فيها إليه عندما خاطبها قائلاً نان، كانت كفيلة بإثبات أنه أخطأ لأنه لم يخاطبها باسمها، لقد أدرك مقدار الإساءة التي تسبب لها فيها، لأنه أخطأ في اسمها. لم يبحث كثيراً في الأرشيف حتى تتبدد شكوكه، فقد رأى في العديد من اليوميات صوراً لإيلينا وهي تحمل طفلتين صغيرتين يكاد يكون من المستحيل التمييز بينهما.

جلس دان على أرضية الأرشيف، بين الأوراق المبعثرة بشكل فوضوي. حاول أن يعرف السبب الذي جعلهما تضللانه، ليعتقد أنهما شخص واحد. لقد بدا جلياً بالنسبة إليه أنه كان على علاقة مع توأم هذه الفتاة التي شعر بأحاسيس مختلفة عندما كان بين أحضانها قبل قليل، الفتاة التي أشعرته بالرغبة والشغف، أراد أن يتعقبها ويعرف إجابة عن كثير من الأسئلة كانت تجول في رأسه الآن، لكنه يشعر بالألم في كاحله بسبب سقوطه، ولم يكن واثقاً أن كاحله سيتحمل وزنه إن وقف. لاحظ شيئاً في الطريقة التي نظرت فيها إليه، لقد بدت محبطة بشكل واضح، كثيراً ما رأى هذه النظرة في السنوات السابقة، رآها في نظرة والدته وجدته وفي نظرات الأشخاص الذين قرروا أنه من الأفضل ألا يروه مجدّداً. كانت كل نظرة من تلك النظرات تذكّره بأبواب تسبب في أن تُغلق في وجهه. حتى تمثال إيلينا النصفي بدا أنه ينظر إليه بالطريقة نفسها، لأنه توقع منه المزيد.

على الرغم من أن الفتاة - ليست نان بل الأخرى، مهما يكن اسمها - بدت أنها تغلق الباب في وجهه في تلك اللحظة، ألم يكن يملك أيضاً سبباً ليشعر بخيبة الأمل منها؟ فهي استخدمته بعد كل شيء، وخدعته كي يعتقد أنها ليست كما كان يعتقد تماماً، وقد حازت كل منهما على ثقته حتى جعلتاه يعود إلى حياة الجريمة، فعدّل لهما كاميرات المراقبة حتى تتمكنا من المضي في ذلك وقتل شخصٍ ما.

ارتعد وهو يفكر في ما رآه من خلال فتحة التهوية، مسدسٌ موجهٌ مباشرة إلى رقبة الرجل المسكين، لكنه بعد أن تحدث معها، لم يشعر إلا بمزيد من الشك فيها، كما شعر بالارتياح أيضاً لأن شخصاً مثله جاء في الوقت المناسب ليخبرها أن ما تفعله غير عقلاني، صحيح أنه لم يتمكن من منعها من الذهاب، إلا أنه يأمل أن يكون على الأقل قد أضعف عزيمتها بما يكفي كي تفكر مرتين قبل أن تسحب المسدس على إبين المسكين مرةً أخرى.

كانت الفوضى تعم الغرفة، تناثرت اليوميات والأوراق المهملة في كل مكان، الأمر الذي يعد متعةً حقيقيةً لمجرم ورقي، لكنه حاول إبعاد هذا الإغراء.

إحدى المخاوف الرئيسية التي حذّر منها البواب، وفقاً لضابط المراقبة، تمثلت في أن وضع شخص مثل دان في مؤسسة مليئة بما يمكن اعتباره الآن «ممنوعات» كان بالفعل أمراً محفوفاً بالمخاطر.

قال كبير البوابين: «سوف يملأ جيوبه بالورق كل يوم»، من دون أن يدرك أن اهتمام دان لم يكن يكمن في الأوراق بل بالعكس تماماً، في عالم الإنترنت الخالي من الأوراق، العالم الذي يشعر فيه بأنه في بيته تماماً، حيث يمكنه تحقيق هدفه في أن يصبح مجهول الهوية، وغير مرئي، أثناء بحثه عن مجموعة من الضحايا الغافلين.

وُلد دان مع موهبة متأصلة في هذا، فهو يقرأ الرموز والأحرف مثل النوتات الموسيقية. جميع تلك العمليات من ضغط البيانات، أو البرمجة، أو ترميز

الخطوط كانت بسـيطةً جداً بالنسـبة إليه، أما القرصنة فكانت في غاية السهولة، وكان يعرف بشـكل غريزي تقريباً طرق تجاوز الأنظمة، وإنشـاء كيانات مزيفة، والعثور على نفسه داخل دماغ الحاسوب، والتوحّد معه.

عندما طلبت أو طلبتا منه تعطيل كاميرات المراقبة، شعر بالفعل بأنه يستعيد قيمته، الأمر الذي أسعده، فاستعرض تلك العضلات، وبدأ بفعل ما كان يتقنه.

كانت كاميرات المراقبة سـهلة مقارنة بالأمور الأخرى التي سبق له أن قام بها، وجعلت معرفته إلى أين يمكنه أن يصل في المرات القادمة الأمر مثيراً، إذا اختار استعادة ما كان، فهو لم يبلغ الذروة في ما يمكنه فعله حتى الآن.

إنـه يملـك القدرة على إسـقاط أنظمةٍ بأكملها، وحكومـات، وعمليات عسكرية، إذا أراد، لكنه حتى الآن، لم يرتكب إلا خطأً كبيراً واحداً في ممارسة الاحتيال عبر الإنترنت من غرفة نومه، وسـرقة آلاف الجنيهات الإسـترلينية من العديد من الشركات الكبرى، والمقامرة بكل شيء في الكازينو.

ما كان يُسـيطر عليه شـعورٌ بأنه إذا عاد إلى تلك الحياة، لن يتوقف الأمر على المال وإثارة غضب الشركات الكبرى فقط، بل سيثبت أنه قادرٌ على العبث بالعالم كله، وإخضاعه، إن أراد ذلك.

لكنه عبث بما يكفي من الأرواح، هذا ما كان يُفكر فيه وهو يشعر بالذنب.

سـار كل شـيءٍ على ما يرام، حتى وقع الحادث مع مدير حسابات إحدى الشركات الكبيرة، الذي اعتقد أن الإفراغ المفاجئ لحساب الشركة البنكي حدث بطريقة أو بأخرى نتيجةً لخلل ما من جانبه، وراح يتأرجح لأنه كان على وشك الانهيار العصبي، عبر مدير الحسـابات أمام سـيارة على طريق سريع مزدحم، ولسوء الحظ، مات هو والمرأة التي كانت تقود السيارة.

تعقّـب زوج تلك المـرأة دان في النهاية، وأصبح مهووسـاً بالعثور على الشخص المسؤول عن هذه السلسلة الرهيبة من الأحداث، ونتيجة لذلك وجهت له مجموعة من التهم الأخرى، وفجأة، أصبح لألاعيبه المتخفية وجوه، وكانت

حقيقية بشكل مخيف، وخاصة مدير الحسابات والمرأة اللذين ماتا بسببه، وكان كل منهما يبتسم له في الصور التي ظهرت في الصحف، وهو محاطٌ بأفراد أسرته المحبين.

تساءل في نفسه كيف ستشعر نان أو الأخرى تجاهه لو علمت بأنه أيضاً، قام بشكلٍ غير مباشر، بإنهاء حياة شخص بالطريقة التي ظنت أن ذلك الرجل قد أنهى بها حياة والدتها، هل ستفهم أن ذلك لم يكن خطأه، وفقاً للطريقة التي ترى بها الأشياء؟ وتساءل أيضاً إن كان يحق له محاولة الدفاع عن براءة إبين أصلاً لو أنه لم يكن قد وقع أيضاً ذات مرة في الطرف المتلقي للنوع نفسه من النقد اللاذع، وشعر قليلاً بالأسف تجاهه.

ربما لا يعني أي من هذا شيئاً الآن، فهي على الأرجح لن ترغب في رؤيته مرة أخرى أبداً، ومن الوارد ألا تعود أي منهما إلى هنا مرة أخرى، ولا إلى أي مكان آخر، يمت إلى هذه المسألة بصلة.

سحب نفسه وتأرجح نحو الطاولة، وهو يسحب كاحله المصاب آسفاً عبر يوميات إيلينا، ثم قفز إلى الطاولة، مستخدماً ركبته ليرفع نفسه، مترنحاً من الألم، حتى تمكن من وضع نفسه على قدمه ذات الكاحل المتورم ودفع برأسه عبر الفتحة، لكنه لم يجد لها أثراً هناك، ثم التقط أنفه رائحة تفوح من جهة الفتحة، رائحة لم تكن غير مألوفة تماماً، فهي تأتي لتحيته غالباً عندما يقوم بجولاته ليلاً، ولا تخرج إلا من أجزاء معينة مخفية من المكتبة.

تذكّر البواب الذي كان يطلق على تلك المادة اسم «مضاد الجراثيم الأثري المتخصّص».

قال: «سيجري تسليم آخر هذه الليلة، لن تمانع أنت وجونو بالتأكيد من العمل بضع ساعاتٍ إضافية لمساعدتنا في رفع الحمولة إلى السطح؟ ثمة مساحة تخزين كبيرة فوق. بالطبع، سنزوّدك بمعدات الحماية اللازمة».

سبق له أن وقّع هو وجونو تعهداً بعدم إفشاء الأسرار منذ أن نقلا البراميل

الضخمة إلى السطح وهما يرتديان أقنعتهما. قال كبير البوابين: «إنها أشياء قوية كما ترون يا رفاق. لا يمكن أن نجعل الجميع يعرفون بامتلاكنا لها».

ظــن كل مــن دان وجونو أن هذا التعهد لا علاقة له بالحفاظ على الكتب، لكن جونو نصح دان أن يبقي فمه مغلقاً، وأن يوقّع على النموذج، ويحتفظ برأيه لنفسه، عندها تساءل دان إن كانا قد وقّعا على التعهد لأن المادة المنقولة سامة، وهل سينتهي بهما الأمر بالموت بسبب مرضٍ لن يتمكن الأطباء من تفسيره في السـنوات القادمة مثلما حدث للكثيرين في بلده على مر القرون، عندما وجدوا أنهـم تنازلوا عن حقوقهم في مقاضاة أصحاب العمل بسـبب التعرض للمواد الكيميائية، الآن يتساءل مرةً أخرى ماذا سيحدث لها إذا تعرضت لها مباشرة، من دون قناع يحميها؟ وماذا لو ماتت وكان ذلك خطأه لأنه فشـل في حمايتها؟ لن يسمح بحدوث ذلك، لذلك رفع نفسه في الظلام، وسحب جسده عبر المساحة الضيقة نفسها التي شغلتها هي وإبين قبل دقائق، وسحب نفسه إلى الأمام، وجر كاحله خلفه مثل وزن ثقيل.

بينما كان يفعل ذلك، سمع ضجةً في الأسفل، تعرض الباب للضرب بشكل متكرر، قبل أن يستخدم ما بدا جسماً ثقيلاً وكبيراً لتحطيم القفل.

سـحب نفسه إلى الفتحة، واندفع مثل فأر عبر مساحة الزحف، بينما سمع من خلفه الباب يتأرجح بعد أن فُتح.

هل كانت نان في الأسفل؟

تساءل هل يُحتمل أن تقتله، لأنه لم يعد مفيداً لها، ثم استلقى ساكناً تماماً وفاجأته جملة من الأصوات في وقت واحد.

هـل نجح المحتجزون في قلب الأمور؟ ربما يسـتطيع العودة وإخبارهم بوجـوده هنـا؟ ولكن بعد أن أصبح الآن مقيداً بالظـلام، لم يعد خيار الرجوع متاحاً، لا مجال أمامه إلا التقدم في الظلام، محاطاً برائحة تلك المواد الكيميائية.

تعرّف فجأة إلى إيقاع الحركة، وإلى دوي الأصوات، ثم اسـتطاع تخمين

طرفي الشـــجار: لا بد أن كبير البوابين ومرافقيه قد عادوا أخيراً، بعد أن نبهتهم كاميرا المراقبة المعيبة إلى ما كان يفعله ودفعتهم إلى هنا بســرعة الضوء، ومن بعيد، ظن أنه يسمع طلقاتٍ نارية أيضاً. هل وصلت الشرطة إلى المبنى؟

افترض أن كبير البوابين طلب الدعم، إذا تمكّن من إعادة الشاشات ورؤية ما كان يحدث بالفعل.

«أين هو دان ماثيوز الذي لا يصلح لشيء؟». سمعه يصرخ في وجه البوابين الآخرين. «أريد أن أعرف أين هو الآن».

فكّر دان في نفســه أن أفضل خيار الآن هو البقاء ســاكناً تماماً، إذ ستجذب أي حركة عبر ألواح السقف الواهية هذه الانتباه، ولن يتمكّن من إنقاذه إلا شيءٌ وحيد وهو درجات الظلام المتفاوتة من حوله. حاول أن يمدّ يده قدر استطاعته، كي يتمكن من خداع أي شخص قد يمد رأسه عبر الفتحة، وجعله يظن أنه جزءٌ من نســيج تلك الفتحة السقفية، أو جزء من العزل أو اللوح الجصي المتساقط. فكّر دان، أنه إذا فشل كل شيء آخر، سيتعين عليه فقط أن يتظاهر بأنه بحاجة إلى المساعدة. ربما في هذه اللحظة بالذات، لا يزال بوسعه تمثيل دور الضحية، لأنه لم يرتكب أي خطأ كبير، باستثناء أنه لا يصلح لشيء كما هو في نظرهم دائماً.

ثــم تذكّــر لقطات كاميرات المراقبة وحقيقــة أن التوأم لا تزالان تتجولان بحرية في المبنى وتقومان بأدوارهما بشكل مثالي أمام الجميع.

لا، يجب عليه أن يضغط الآن، إذا لم يكن هناك أي شيء آخر، فهو يفضل بالتأكيد الانضمام إلى شــقيقة نان بدلاً من مجموعة البوابين غير الأكفاء الذين لا يصلحون لشيء.

في الوقت الحالي، قرّر أن يثق بالصمت وينتظر ليرى كيف ستسير الأمور.

أمضى البوابون خمس دقائق يتجولون بلا هدف في الأرشـيف، ويقرقرون كالدجاجات حول رئيسهم، بحثاً عن إجابات.

ســمع كبير البوابين يصيح: «أشــعر أنه هنا في مكان ما، أعثرا عليه وعلى

الرجل الآخر».

لم ينتبه أي منهم إلى الفتحة في السقف التي توازي جسم إنسان، تساءل دان، كيف انتهى به الأمر إلى العمل مع مجموعة بارعة من الدمى الحمقاء.

وضع دان أذنه على أرضية النفق الرقيقة، واستمع إلى ضجيج البوابين وهما يقلبان الأرشيف رأساً على عقب، لم يكن من المنطقي أن يتمكن أي شخص من الاختفاء في الأرشيف، مهما يحاول ذلك.

تناهى إلى سمعه أصوات البوابين وهما يفرغان الصناديق، ويفتحون الكدسات، ويسحبون الكتب من الرفوف وكأنه يستطيع الاختباء بينها، بعد ذلك، سمع صوت الضربة المتوقعة للعصا الفضية التي كان يحملها كبير الحمالين وهو يضرب السقف.

سمعه يقول: «أوه لا! لا تقل لي أنهم فعلوا ذلك! ليس هناك، يا أولاد! فليذهب أحدكما ويلقي نظرة، جونو! اذهب أنت».

جونو هو أحد البوابين القلائل الذين أحبوا دان حقاً، وكان عليه أن يتظاهر بأنه لا يحبه بالطبع، عندما يكونان في العمل، لأن نظام حزام البواب كان يُسجل كل شيء، لكن جونو غالباً ما كان يستدعيه ليدخن، ويضحك على سخافة النظام.

أظهر دان قليلاً من الإعجاب بالطريقة التي هاجمه بها جونو مع بقية البوابين عندما كانوا في العمل؛ لأن جونو، على عكسه، كان يعرف الألاعيب التي ينبغي إتقانها لتحتفظ بحياتك في هذا العمل، وكان أداء جونو الرائع، يوماً بعد يوم، هو السبب الرئيسي وراء الثقة به للقيام بالشيء الصحيح الآن، فقد اعتقد كبير البوابين أنه إذا كان أي شخص سيخون دان ويصر على معاقبته، فهو بالتأكيد جونو.

استطاع دان أن يسمع تنفس جونو، بهدوء، وثبات على بعد ياردات قليلة منه وهو ينظر يميناً ويساراً باتجاه تلك الفتحة.

لم يكن باستطاعة جونو رؤية البواب الممدد أمامه مجرد قطعة من اللوح

الجصي أو من العزل، ومن المؤكد أن دان قد شعر بيدي جونو تلمسان ساقه، للتأكد تماماً مما رآه.

ثم سمع كبير البوابين وهو يصرخ: «حسناً؟ هل مر أحدٌ عبر هذه الفتحة؟».

قال جونو ببرود، مستخدماً أفضل لهجة لموظفٍ مدني: «نعم، يبدو أن هذا ما حدث».

تذكّر دان جميع تلك الليالي التي أمضاها وهو يقلد مع جونو هذا الأمر، بعد أن يوقفا من دماغيهما، صدى تلك الأصوات المتشائمة المتطابقة التي اكتسبها تدريجياً جميع البوابين في المبنى، قبل أن يصبحوا مجرد أشخاص آليين.

قال كبير البوابين: «اللعنة، لا يفترض بأحد أن يمر عبر هذا النفق! لا أحد! هذا خطر! سيتعين علينا إصلاح هذا السقف في أقرب وقت، وعلينا أن نخبر الشرطة أن أحدهم قد عبث به، جونو! هل هناك أي شيء آخر هناك؟».

توقف جونو مؤقتاً، تذكر دان محادثاتهما السرية: افعل الحد الأدنى دائماً، وحافظ على الوضع الراهن، أجب فقط عن السؤال المطروح، ولا تفعل أبداً أي شيء يفوق راتبك.

أجاب جونو متراجعاً: «لا أستطيع رؤية أي شيء».

ظل دان ساكناً، ولم يكن جونو يكذب، فقد كان المكان مظلماً جداً، ولم يتمكن جونو من تحديد الشكل الدقيق في الطرف البعيد من مساحة الزحف تلك، قد يكون أي شيء. من الناحية الفنية لم يكن يكذب، ولم يخرق أي قواعد للسلوك، وكان يجيب فقط عن السؤال المطروح.

بهذا تراجع جونو، واستبدل اللوحة، وتراجع بأمان عن أداء أي شيء أعلى من راتبه، وعن أي شيء يهدد الوضع الراهن، وعاد إلى المكان الرطب الذي ينتمي إليه.

استلقى دان هناك لدقائق قبل أن يسمعهم يغادرون الغرفة واحداً تلو الآخر، كما سمع تكليفهم بأوامر أخرى أكثر إلحاحاً، وسمع كبير البوابين يتمتم بشيء

عن ولاعة، فلام نفسه ساخطاً لأنه ترك هذا الدليل خلفه.

من الواضح أنهم يملكون الآن ســبباً أكبر لانتقاد دان بدلاً من توبيخه لأنه يدخــن بعــض المواد النادرة، لكن هذا الأمر على كل الأحوال لن يســاعد في قضيته الحالية.

أصبــح جلياً لدان أن خيار العــودة إلى الوراء لم يعد متاحاً بعد الآن، ولا مجال لاســتئناف مهامه أو العودة إلى مركز البوابين وكأن شــيئاً لم يحدث، فقد سمعهم يذكرون الشرطة. ها قد فتح المبنى مرةً أخرى، ولا شك في أن الفريق الأمني كان يحرر المحتجزين ويعتقل نان، إنها مســألة وقتٍ فقط قبل أن يصل أشخاص آخرون إلى المبنى أيضاً، وربما كان هذا الحادث سبباً لتنبيه الميليشيا التي تأسست حديثاً في الدولة، والمكونة من العديد من مواطني البلدة ممن لا يملكون عملاً أفضل، ويحبون الأزمات الجيدة وفكرة القدرة على امتلاك سلاح.

يعرف دان أنه لن يستطيع العثور على عمل بعد أن يترك هذا المكان، ومن المحتمــل أيضــاً أن ينتهي به الأمر مرة أخرى في الســجن؛ أو يُمنح المزيد من خدمة المجتمع في مكان آخر طوال مدة إطلاق السراح المشروط.

ربمــا لن يرى نان أو شــقيقتها مرة أخرى! هــذه الفرصة الجديدة له، هذا الفصــل الجديد، ســوف ينتهي بالفعل، ومرة أخرى، لــن يخرج منه بأي نتيجة مفيدة.

نظــر إلى أســفل الفتحة، حيث ازدادت قوة الرائحــة أمامه، وقرر أن هناك اتجاهــاً واحــداً فقط للرحيل الآن: إلى الأمام نحو الظلام الذي يحيط به أصلاً، نحو الفتاة التي لم يعرف اسمها ولا نواياها، ومهما تكن الكارثة، كانت الرائحة الكريهة والفوضى أمامهما متساويتين.

نان

3:25

عندما فتحت نان عينيها، وجدت نفسها جالسةً على كرسي رفقة العديد من المحتجزين المتجمعين حولها في نصف دائرة، ينظرون إليها بفضول.

شـــعرت بشـــيءٍ غريب في رقبتها، ثم أدركت ببطء أن السبب يعود إلى أن شخصاً ما أخذ الوشاح منها، وترك رقبتها باردة ومكشوفة، في مكانٍ ما، صرخ طفل وبكى. إذا كانت بيل في الصالة فهي صامتة تماماً، بينما كانت نان تعاني من الإزعاج الرهيب وتشـــعر أنها المســـؤولة عن كل ما يحدث، تذكّرت أنها فكرّت وهـــي تغيـــب عن الوعي في أنه لا ينبغي لها إطلاق الرصاص على الأطفال: «لا تطلقـــي الرصـــاص على الطفل، لا تطلقي الرصاص على الطفل» لكن لم يخطر ببالها أن تترك المســـدس، فقد تشـــبثت به طوال حياتها العزيزة، وبدت مطالبتها الأخيرة بالوعي كآخر شيءٍ يتعلق بالمنطق.

ترى هل أطلقت الرصاص على شـــخصٍ آخر؟ هل كانت هذه هي العلامة التي على يدها؟ ألم يكن ســـبب ذلك وقوعها الغريب، أم اهتزاز المســـدس في يدها؟ ثم تذكّرت تلك الاختلاجات التي كانت تحدث في بعض الأحيان، فهل كانـــت هي الســـبب؟ هل قررت هذه المرة إنهـــاء الحياة فعلياً، وليس فقط على الورق؟

أصبح المســـدس الآن في يد ليلي، وقفت أمامها مباشـــرة وصوّبته نحوها بيدين مرتعشتين، بدا جلياً أنها تحتاج إلى جميع هؤلاء الأشخاص حولها لكي

تبدو أقوى منها، وأكثر تهديداً، ولتصبح مثل الأسد. فجأة، فكّرت نان وهي تتذكر المحادثة السابقة بينهما، تدرك نان أن ليلي ليست من النوع الذي يتولى زمام المبادرة في أي موقف عادةً، ومع اقترابها منها، تحرك معها أشخاصٌ من الجانبين، في تزامنٍ تام، مثل كورس في مسرحية موسيقية، وراحوا جميعاً يراقبون بصبر نافد حركة ليلي، كانت أصابعها ترتجف، وهي تنقل السلاح بصعوبة من كف إلى كف، كان الجميع ينتظرون اللحظة التي سيسقط فيها، ومتى سيضطر أحدهم أن يتولى زمام الأمور بنفسه.

شعرت نان بالهدوء التام هذه المرة، اختفت جميع الاختلاجات التي سبق لها أن شعرت بها، ولم تعد خائفةً من أي شيء الآن، وبالتأكيد لن تخاف من ليلي، فهي تعرف جيداً أنها لن تستطيع إجبار نفسها على إطلاق الرصاص عليها، وهذا مرة أخرى، ما كانت ليلي ستقوله قبل ساعات قليلة، إذ لم تكن ستصدق أن نان يمكن أن تطلق النار عليها مهما يحدث.

صرخت سمر من الطرف الآخر من الصالة: «إنها لا تزال على قيد الحياة».

فكّرت نان: «بالطبع لا أزال على قيد الحياة، فلن يمتلك أحد الشجاعة ليقتلني».

«لوك، تعال إلى هنا الآن!» صرخت سمر بصوت لاهث مذعور، فأدركت نان أنهم لا يقصدونها بتلك الكلمات، وبينما انفصل الجمع من حولها مثل قطعتي ستارة، رأت فجأة جسداً شاحباً ممدداً على الأرض، وهو ينزف من الجانب، ومن بين الساقين.

«لقد أطلقت الرصاص عليها». كانت ليلي تبكي وهو تقول ذلك، وقد اختفت شجاعتها الأولية، وأصبحت مجرد أم، تابعت: «أنتِ متوحشة يا نان».

كانت الفوضى تعم الصالة، تفرّق الجمع، وركض معظمهم عائدين إلى أعلى الدرج، وطرقوا أبواب الممرات التي جاؤوا منها للتو، فوجدوها مغلقة تماماً، فألقوا كل ما وجدوه من صناديق وطاولات وكراسي عليها، لكن الزجاج

المضاد للرصاص بقي ثابتاً في مكانه.

لم يكن بوسع نان أن تفعل شيئاً سوى أن تراقب الحشد الذي جمعته بنفسها وسيطرت عليه بعناية شديدة، وهو يتفرق الآن، وينتشر في كل الاتجاهات، لا يملكون أي فكرة بأنهم في الحقيقة يحتاجون فقط إلى النزول على سلم واحد من أجل الحصول على الحرية والخروج من هنا.

أين هي كولين؟ لا شك في أنها جعلت الموظفين يمررونها وسيغدو بمقدورهم إخراجها من مخرج الطوارئ، لكنها لم تستطع رؤيتها في أي مكان.

تساءلت نان: هل هربت بمفردها؟ هل وجدت بأن هذا الخيار هو الأفضل بدلاً من المخاطرة والقلق بشأن الآخرين، والمآسي الأخرى، التي قد تبطئ حركتها؟

بهدف القيام ببعض المحاولات البطولية المضللة، بقيت سمر وليلي في هذا المكان، كما فعل البروفيسور نيكولاس المسكين، الذي بدا شاحباً وساكناً ولا يملك الخيار في هذا الشأن.

صرخت سمر: «إنها تخسر كثيراً من الدماء، لوك افعل شيئاً بحق الجحيم».

الآن بدا كل شيء غير منطقي، وكأنها تعيش في وهم.

استطاعت أن تتخيل الطريقة التي ستتبجح فيها بيل وهي تقول إنها عاشت تجربة الحياة والموت في غضون ثلاثين دقيقة، لم يعترِها أي شعور أو عاطفة معينة متعلقة بالفكرة التي لا يمكن تجاهلها: إذا ماتت بيل، فإن مسؤولية موتها تقع عليها.

بقي لوك هنا، لا تستطيع نان إلا أن تُعجب بإخلاصه، كان يركع بالقرب من بيل، وكانت كتفاه ترتعشان، في الوقت الذي تحرك فيه شعره بهذا الاتجاه أو ذاك.

رحلت صديقته منذ فترة طويلة، تركت المشهد في أول فرصة سنحت لها، وضعت الطفل المسكين في الجزء الأدنى من عربة الكتب المهجورة حيث

استمر المخلوق الصغير في التلوي والصراخ ملتفاً بوشاح نان، ما جعل العربة الصدئة تصدر صوتاً مع كل ركلة.

«أنا لست طبيباً، ارحمنا يا الله! أنا فقط... متعبٌ جداً».

بدأ لوك بالابتعاد عن بيل الآن، واستسلم قائلاً: «لا أستطيع القيام بشيء، لا أستطيع القيام بشيء لقد وقعنا في الفخ».

راقبته نان يخرج كيساً بلاستيكياً صغيراً توجد داخله مادةٌ خشنةٌ خضراء اللون، مثل تلك المواد التي كان دان يدخنها.

«يا إلهي، لوك». صاحت سمر وانتشر صوتها في المكان.

«ما الذي تفعله الآن؟ هلّا ساعدتني؟ ليساعدني أي شخص، يا إلهي، أي شخص، ساعدوني أرجوكم، ستنزف حتى الموت...».

أخرج ورقة رقيقة ووضع في وسطها بعض الكتل الخضراء، ثم قال بهدوء: «اسمحي لي بالتدخين مرةً أخيرة، قبل أن أموت». من الواضح أنها ستعود، أليس كذلك -الأخرى- وتقضي علينا. لو كان أحدهم سيخلصنا، كان سيفعل ذلك من قبل، لا يبدو أن أحداً يهتم لأمرنا».

الأخرى! فكّرت نان، نعم، بالطبع هناك أخرى، بالتأكيد لم تنسَ توأمها، كان وعيها يستعيد آنّا في هذه اللحظة، بعد أن أزالها من السيناريو بأكمله في وقت سابق.

سيطر عليها شعورٌ منذ أن استيقظت بأن كل هذا بسبب شيءٍ فعلته وحدها، وهي التي جلبته لنفسها، وقد استغرقها الأمر دقائق كي تتذكر أنها وآنّا كانتا متفقتين على الأمر برمته، قبل أن تختلف رؤيتها عن رؤية شقيقتها، وتبعد آنّا نفسها عن الموقف، لتبدو كأنها تتبخر في الهواء.

في جميع الأحوال، عرفت نان بشكل غريزي بطريقة أو بأخرى أن لا مجال لخروج آنّا من أي مكان ولا إنهاء أي شيء، فمنذ كانتا طفلتين، تُرك الأمر دائماً لنان، كما لو أن الفرد الثاني من التوأم، ذاك الذي وصل إلى العالم أخيراً، سيحمل

إلى الأبد ثقل القيام بربط كل شيء، وترتيب كل شيء.

ظنت أن جسد البروفيسور نيكولاس الذي يترنح في زاوية الغرفة كان دليلاً على فشـل محاولة أن ينوب عنها أحدهم في منع شـخصٍ ما من الهرب عندما تكون شـقيقتها على اسـتعداد للوقوف جانباً والسماح بحدوث ذلك، لكنها لا تستطيع تبرير إصابة بيل بالطريقة نفسها.

بدأت سمر في البكاء، وضغطت رأسها على جسد بيل، ثم خلعت تنورتها لتستخدمها كرباط، ودفعتها إلى الأسفل في محاولة لوقف تدفق الدم من حوض بيل، لكنه ظل يتدفق بغزارة، ويلطخ وجهها، وأصابعها، وبطنها، وشعرها.

فجـأة توقـف الطفل عن البـكاء، في تلك الثواني القليلـة تخيّلت نان أن باستطاعة الجميع العودة إلى الصمت، فإذا كان الطفل راضياً، فهذا يعني بالتأكيد أن كل شـيءٍ على ما يرام في العالم، بل يمكن لهذا أيضاً أن يكون تأكيداً كافياً على عدم حدوث أي شيءٍ سيئ لأمه، لكن هذا الهدوء تكشف فجأة عن غياب مرعـب، فقد كان مجـرد فاصل، كما أدركت لاحقاً، الفاصل الذي يسـمح به الأطفال أحياناً خلال بكائهم، لجمع الزخم والقوة للموجة الضخمة القادمة من الصراخ، لجعل غضبهم مسـموعاً أكثر للعالم. لم يكن الفاصل نوعاً من إعلان السلام، بل على العكس.

انطلقت الموجة التالية من البكاء، كانت أطول وأعلى من السابقة، بعد أن تعلم الطفل، في بضع دقائق من بداية حياته، كيف يجعل الصالة مكاناً فظيعاً.

ببطء، ومن دون شـك، استجاب الحشـد لنداء الطفل بأن مدوا أذرعتهم، بطريقة لم يستجيبوا بها لنداء زملائهم المحتجزين.

ألقت نان نظرة خاطفة على الفتاة ذات حمالة الصدر الأرجوانية وهي تتوازن على أحد الأسـيجة، في الوقت الذي كان فيـه بعض من المحتجزين الآخرين يدفعونها نحو الأعلى باتجاه قبة السـقف، في محاولةٍ لفتحها باسـتخدام مطفأة حريق.

ركضت دورا وكينفين، اللذان كانا على وشك الهروب أيضاً، عائدين نحو بيـــل وخلعا مراويلهما لامتصاص ما تبقى من دم بيل، بينما اســـتلقت دورا إلى جوارها لإبقائها دافئة، تاركةً سمر تبكي بين يدي كينفين الذي كان يحتضنها.

بســـبب كل هذه الحركة، فقدت ليلي تركيزها، وحرّكت رأسها، فأخفضت المســـدس لثوانٍ، في غضون ذلك شـــعرت نان أن السخط يتصاعد داخلها، لأن شـــقيقتها تركتها وسط كل هذا وحيدة، وفكّرت في أن اضطرارها لاتخاذ إجراء آخر سيكون في الحقيقة ذنب شقيقتها، وعندما انقشع الضباب من عقلها أخيراً، وقفت ونظرت مباشـــرة إلى ليلي. شـــعرت ليلي بالصدمة لأن نان تجرأت على فعل شيء كهذا، لم يتطلب الأمر سوى القليل جداً من القوة كي تتمكن نان من انتزاع المسدس منها ودفعها مرة أخرى إلى الأرض.

«لقد كان حادثاً غير مقصود». صرخت نان في وجوههم، وعاد الصفاء إلى عقلها مرةً أخرى بعد أن عاد المسدس إلى قبضتها، كأن تلك القوة على بساطتها منحتها الشجاعة، فتابعت: «هذه هي الحقيقة، ما أريد أن يكون واضحاً أنني لم أقصد إيذاء بيل بأي شـــكل من الأشـــكال، في بعض الأحيان لا تعمل يدي كما ينبغي، فأفقد السيطرة عليها».

نظرت ليلي إليها بشـــفقة، فقالت: «أنا لا أريد شـــفقتك، أريدك ببساطة أن تفهمـــي مـــا أقوله لـــك، لم أرد إيذاء زميلتي، وبالتأكيد لا أريد ما هو أســـوأ من ذلك، قتلها».

تابعـــت وهي تقترب من ليلي: «أريدك أن تعديني أن تخبريهم بذلك، حتى لو لم يقل أي شخص آخر ذلك، فقد رأيتِ ذلك بأم عينيك، لقد كان حادثاً غير متعمد».

صرخت ليلي في وجهها: «والباقي يا نان؟ كل هذا؟ كيف يمكن أن يكون كل هذا حادثاً، ما الذي تفعلينه الآن؟ ماذا أصابك بحق الجحيم؟ لماذا تفعلين هذا بنا؟».

انتعشت ليلي وتابعت اندفاعها كزهرة زنبق مثل اسمها، ثم غدت كبيرة وجريئة، كأنها تفتحت منذ لحظات، فشعرت نان فجأة برغبة ملحةٍ في قتلها، في اقتلاع الزهرة من جذورها، لكنها كبحت نفسها، وتذكرت شيئاً قالته يوماً والدتها: «حذارِ من الخطيئة الأولى» لقد استوعبت هذه المقولة الآن بطريقة مختلفة عن السابق، وفي اللحظة التي اتخذت فيها ذلك القرار بالضغط على الزناد وإطلاق النار على ساق البروفيسور. سهّل ذلك عليها إطلاق الرصاص».

بالرغم من أن الأمر في حقيقته كان مجرد حادث غير مقصود، إلا أن تسلسل الأحداث، عندما سيناقش في المحكمة، سيوحي بعكس ذلك، فقد وضعت نفسها في موقف يجعل احتمال إطلاق الرصاص على شخص آخر وارداً دائماً، ولن يكون مهماً أنها لم تستطع أن تتذكر هل اتخذت بنفسها قرار إطلاق الرصاص على أي شخص أصلاً.

أدركت نان أن الأمر يحدث مرة أخرى، فقد بدأت في الانهيار في وقت كانت بحاجة فيه أن تكون متماسكة، هل كان لديها خطة، أو تسلسلٌ أو شيءٌ من هذا القبيل؟

مبنى من الرغوة، قممه بيضاء جريئة، والأيدي المغطاة بالصابون تعكس نوايا صاحبتيها بالضبط، ومن جديد، صدمها هذا الشعور بالفراغ، ذلك التواطؤ، والصداقة الحميمة في تراكم كل شيء، ماذا حدث عندما سقط كل شيء بعيداً؟ اللعنة أين كانت آنّا؟ لماذا لم تعودي مسرعة من حيث أنت مختبئة وتعترضي على كل ما يحدث هنا، وتمنعي هذه الكائنات من التسبب بكل هذه الضجة، ومن ضرب تلك الأبواب، وتحطيم ألواح السقف تلك؟

تلفتت نان حولها، متوقعةً أن تظهر شقيقتها خلفها في مكان ما، لتحثها على الاستمرار. تُرى كم مضى من الوقت منذ أن غادرت آنّا؟ استرجعت نان ذكرى بعض حركات آنّا، وشكلها المتحدي، وهي تتراجع، وومضت كتلة شعرها المعقودة في مكان ما عند حواف وعيها، لكنها ما لبثت أن أفلتت منها، إنها

تعرف من دون شك أين هي شقيقتها، تعرف ذلك في أعماقها، لكنها في الوقت نفسه، لا تعرف شيئاً على الإطلاق.

سـمعت نان صوتاً، إنه صوت غير مألوف، وكل شيءٍ كان محاطاً بالغرابة وهذا ما جعلها ترسـل موجات صادمة عبر جسـدها، فرفعت مسدسها، بعد أن أدركت تماماً من هي وأين تكون، وما الذي تنويه.

سـمعت تحيةً مصطنعةً وعالية النبرة، كأنها لا تنتمي إلى هذه الصالة على الإطلاق. يبـدو أنها قادمة من عالم آخر تقريباً، من مكانٍ ما فوق رؤوسـهم لا تستطيع الوصول إليه، ربما جاء من داخل رأسها.

«ضعي المسدس على الأرض، أكرر ضعي المسدس على الأرض الآن».

صاح الصوت مرة أخرى، كان ينطلق عبر مكبر صوت، وتابع: «نحن نحاصر المبنى، نريدك أن تثقي بنا، الرجاء إبعاد السلاح، وفتح الأبواب باستخدام الجهاز الخاص.

ضحكـت نـان كرد فعلٍ غريزي، كان الصوت مضحكاً، رقيقاً ومسـتمراً. تخيلـت وجهـاً خلف مكبر الصوت، وأصدرت حكماً فورياً عن مدى ملل هذا الرجل، وأن ما يجري الآن سـيكون الشـيء الأكثر إثارة الذي حدث له طوال حياته.

تخيّلت أيضاً كيف سيخبر القصة لعائلته هذا المساء على العشاء، ويستمر في سرد أحداثها طيلة سنوات قادمة لأي شخصاً يرغب في أن يسمعها.

تفحصـت نـان الصالة لترى ردّ فعل الآخرين، من المؤكد أنهم لن يأخذوا الصوت على محمل الجد، ومن المؤكد أن البقاء معها سـيكون بالنسـبة إليهم أكثر جاذبية من الاستماع إلى ذلك الأنين الغبي الصغير؟ تبادلت دورا وكينفين النظرات، فتش لوك، وهو يضع سـيجارة الحشـيش بين شفتيه، الصالة بحثاً عن صديقته، ليجد فقط لمحة من كعب حذائها وهو يتدلى من السقف المفتوح في الأعلى.

بعد ذلك، نظر الجميع إلى نان.

«لدينا الآن شاهدةٌ تؤكد أنك مسلحة، وأنك أطلقت الرصاص على شخصين ويحتمل أن تصيبي سواهما. من فضلك، هلّا تركتِ سلاحك وانتظرت حتى ندخل المبنى».

إنها كولين اللعينة، لقد استعادت طبيعتها الهجومية، التي تخلو من التعاطف مع أي شخص.

أصبحت نان تعرف جيداً أن ما ينبغي عليها فعله الآن هو التخلي عن سلاحها، وقبول أن الأمر قد انتهى، فهي متعبة ومرتبكة، وكان عقلها يتأرجح مثل جهاز حاسوب معطل، سيكون جميلاً أن تتخلص من كل ذلك، وأن تجلس في زنزانة لا تنتظر منها شيئاً، وهي محاطةٌ بأشخاصٍ لا يفكرون إلا في أسوأ ما فيها، حتى لا يخيب أملهم أبداً.

هكذا، وللمرة الأولى في حياتها، ستكون بعيدة عن آنّا.

«نرى أنك لا تزالين محتفظة بسلاحك، هلّا وضعت المسدس جانباً».

عاد النداء الصغير التافه مرة أخرى: «هذه فرصتك الأخيرة للاستسلام، وإذا لم تفعلي ذلك، فإننا سنتخذ إجراءاتنا لإيقافك».

الغاز، فكّرت نان، كان الغاز هو أكثر ما تخشاه شقيقتها. نظرت إلى الأعلى وحددت فتحات الهواء التي سيتدفق الغاز من خلالها، كانت أربع فتحاتٍ فوقها، وحوالى ثلاثة أو أربعة أخرى منتشرة فوق الحواف.

تجزم أن الميليشيا موجودة بالفعل في المبنى، خلفه مباشرةً، مستعدة وجاهزة لإطلاق تلك الإنذارات، ففي النهاية، إذا خرجت كولين، فمن المؤكد تقريباً أنهم دخلوا.

هل سيخاطرون حقاً بإطلاق تلك الغازات مع وجود طفل حديث الولادة في الصالة؟ لو وصلت آنّا إلى هنا، تخيلت نان، لا شك في أنها ستكون أكثر من مستعدة للاستسلام الآن.

قالت كولين: «هذا يكفي نان، لقد طفح الكيل».

ربمـــا كان ذلـــك يكفي بالفعل، فكّرت نان، وشـــعرت بيدها ترتخي حول المسدس، وتصوّرت ما سيحدث بالفعل.

سيكون من المريح عدم الاضطرار إلى حمل السلاح بعد الآن، أو تسليمه إلى شخص ليضعه جانباً إلى الأبد، ولكن ماذا عليها أن تقول لهم بحق الجحيم؟ لـــن تســـتطيع أن تقول إنها لا تتذكر كيف وصلت إلـــى هنا، على الرغم من أن ذلك كان جزءاً من الحقيقة، ستكون نظرةٌ منهم إلى بعض الفحوصات الأخرى والتقارير الطبية كافيةً ليعرفوا بأن دماغها قد تغير إلى الأبد بسبب وضعها الحالي، شـــيءٌ وحيدٌ بمقدورها أن تتذكره، وســـط تلك الأشياء نصف الواضحة، عندما ألقى الطبيب نكتةً ما: «حســـناً، يا آنســـة أوديغ، انظري إلى الجانب المشرق، فلو قررت يوماً ما ارتكاب جريمة، فلن تُحاكمي».

سمّى الطبيب تلك الحالة: المسؤولية المتناقصة.

ربمـــا لم تكن هذه الذكرى حاضرةً فـــي ذهنها عندما عرضت تلك الفكرة على شـــقيقتها، فكرة أنها لن تتحمل المســـؤولية أبداً، ولكن لن يكون لدى آنّا أي حجة من هذا النوع لتشرحها إذا مثلت أمام المحكمة، فقد اتخذت قراراتها بكامل إرادتها ووعيها. حتى لو كان الســـبب في ما حدث أنها صدّقت شـــخصاً سافلاً، كيف سيساعدها ذكر ذلك؟

حبس كل من في الصالة أنفاسهم بانتظار ما ستفعله، لم يسبق لها أن شعرت من قبل أنها مراقبة بمثل هذا القدر من الانكشـــاف، إلا أن الحزن اعتراها فجأةً لأنها أجبرتْ على التخلي عن هذه الصالة، وهؤلاء الذين كانوا فيها، كانت بيل، وليلي، وسمر، على الرغم من جميع زلاتهن وأخطائهن، زميلاتها، وهن جزء من حياتهـــا اليومية، أما هي فقد ظهرت كعنصر مثير للجدل في حياتهن، وهي الآن لا ترغب في شيء أكثر من أن تتمكن من العبور إليهن، واحتضانهن، وإخبارهن كم هي آسفة، وأن تطلب منهن أن يتحدثن عنها بلطفٍ عندما يدلين بشهاداتهن،

رغم أن إمكانية حدوث ذلك ضعيفة، فهن لسن مدينات لها بأي شيء الآن.

فـي نهايـة المطاف، كان صوت الطفل هو الذي أجبرها على التحرك، فقد بكى بصوت مرتفع، الأمر الذي رأت فيه إشـارة لها، فأطلقت الرصاص باتجاه السقف كي توضح نيتها، فدوى صوت الإنذار في اللحظة التي فعلت فيها ذلك، وعلى الرغم من أنها لم تستطع رؤيته أو شمه، كانت متأكدة تماماً من أن الغاز في طريقه الآن إلى الغرفة، ليلتف حول ضحاياه المطمئنين.

فكّت على عجل وشـاحها الملطخ بالدماء عن جسـد الطفل الذي استمر في الصراخ في وجهها، وحبست أنفاسها وهي تغطي أنفها وفمها به، كما أصبح مـن الواضح الآن أن المحتجزيـن الذين اندفعوا بجموح بعد إطلاق الرصاص اسـتعادوا حركتهم البطيئـة، كأن أفكارهم ترزح في الوحل. ثم سـقط الحذاء الأرجواني ذو الكعب العالي للفتاة الشقراء من الهواء، تاركاً قدمها العارية متدلية في الأعلى.

سـقطت سمر وليلي على الأرض، وبدت أعينهما الجامدة غريبة، أما لوك ففقد وعيه قبلهما.

حاربـت نان بـكل طاقتها ضد الثقل الذي يضغط علـى جفنيها، ودفعت المسـدس أسفل تنورتها، ثم تسـللت نحو باب جانبي مع أشيائها وعبرت إلى الهواء النظيف للممر، خلفها، بدا أن بكاء الطفل أصبح شـاقاً عليه، فاستسـلم أخيراً، وأوى إلى الصمت.

مكتبة
t.me/soramnqraa

إبين

3:30

كتب على الغلاف الأمامي للكتاب الأخضر الشاحب الصغير للشاعر إبين: «سلسلةٌ من الأعمال الأدبية الثمينة من دولة صغيرة»، لكن إذا كان هذا العمل الأدبي ثميناً جداً بالفعل، ما الذي يفعله هنا؟ لقد أصبح واضحاً الآن لإبين أن شخصاً ما، في مكان ما، يملك سلطة القرار باختيار من يستحق مكاناً في الوعي الوطني ومن لا يستحق ذلك، ومن الواضح أن الشاعر إبين لم يعد مناسباً كجزء من التاريخ الأدبي للأمة. عندما قرأ مقدمة الأعمال الثمينة، لاحظ بروز الشاعر إبين كواحد من أكثر الشعراء تميزاً في القرن الماضي.

ربما كان هذا التميز الذي يتمتع به هو مشكلة الشاعر أصلاً، وهذا التفرد الذي يُروى عنه، إذ كانت الدولة الصغيرة تميل إلى الإعجاب بأولئك الذين لا يشغلون مساحةً أكبر من اللازم في المشهد الثقافي.

فكّر إبين بصمت: «كان يجدر بك أن تنسحب».

كتب محرر السلسلة أن المحاكاة الأدبية هي التي أنقذت سمعة الشاعر إبين بشكلٍ جزئي، وأن غرائزه لم تكن قويةً جداً، وأنه كتب عدداً من القصائد التي توغل في التدين. كاد إبين أن يضحك لوجود كل هذه الصراحة، وكل هذا الإخلاص، في المقدمة فقط.

ظن أن الغرض الأساسي من مقدمات الكتب هو الكذب والتملق، تخيّل إبين ما سيكون شعوره لو كتب فرانكتون عنه شيئاً مشابهاً.

بالتأكيد سيكون نقداً لاذعاً، ولن ينال الموافقة على نشره أبداً، كما فكّر أنه كان قادراً بنفسه أن يكتب مقدمةً مثل هذه لبعض روايات إيلينا أوديغ، فقد وجد العديد من رواياتها السابقة دون المستوى، كما قال الكثير من هذا في مراجعاته، ومع ذلك، لا يمكن السـماح له أن يكتب ذلك، وبالتأكيد، لن يكتب مثل هذا الرأي على صفحات النص نفسه.

بدا واضحاً أن الشاعر إيبن دفع ثمناً باهظاً لصدق محرر هذه السلسلة، فقد كلّفته هذه الجملة تراثه الأدبي كاملاً، لم يعد مهماً أن الجملة التالية تشير إلى أنه كان بلا شك واحداً من أفضل شعراء الدولة، ففي الحقيقة كان الاعتراف بنقاط الضعف السابقة تلك وتأكيدها في الكتاب قد حسم مصيره.

بقيت كلماته حية لقرابة قرن من الزمان فقط قبل أن تصبح مجرد نزوة.

ذاب قلب إيبن عندما تذكّر تفاصيل صغيرة أخرى عن حياة الشـاعر إيبن: كان يجلد كتبه، وهو يأمل أن يرتفع راتبه بصفته مدير مدرسـة. كم عدد الكتب القديمة التي تحيط بإيبن الآن والتي يُحتمل أن يكون هو شـخصياً من أصلحها وجلّدها؟ لم يقتصر ما حدث على القضاء على سمعته الأدبية فحسب، بل تعدى الأمر ذلك إلى تفكيك الحرفة التي كان يجتهد فيها أيضاً.

عبر عقودٍ من الزمن، نجت تلك الكتب المجلدة، بالرغم من كل الصعاب، وكانت مهارة التجليد عاليةً لدرجة أن تلك الكتب كانت تقريباً آخر الكتب التي تفككت ضمن الكدسة المتحللة، وهكذا صان الشاعر إيبن نفسه جيداً من الدمار.

لكـن تلك المحاولات لم تكن كافية، فقد كان قدره ينتظره طوال الوقت، وبطريقة أو بأخرى، دوّن شخصٌ ما اسمه في قاعدة البيانات حتى يختفي.

هكذا وبشكلٍ مفاجئ أصبح معنى الخضوع للمد والجزر واضحاً أمام إيبن، لقد جرف المد هؤلاء الشعراء بلا رحمة خارج الزمن.

تحرك نحو صوت الطنين في نهاية الغرفة ليكتشف أن الكتب، في اللحظة التي تبدو فيها قد وصلت إلى مستوى معين من الدمار، كانت تُسحب نحو مخرج

صغير في نهاية الحزام الناقل، ثم توضع بعد ذلك في أسطوانة فضية ضخمة، وهذا يؤدي إلى مزيد من التخريب والطحن، وفي الجزء السفلي من الأسطوانة هناك أنبوب فولاذي طويل ينفث شيئاً أبيض اللون في الزاوية بسرعة، بدا من البعيد مثل أسنان ضخمة. خلع نظارته ومسحها وحاول التركيز مرة أخرى على مخرجات الأنبوب، ليرى فجأة ما هي تلك الومضات البيضاء المستطيلة، كانت عبارةً عن أوراق، وعندما يصل الورق إلى ارتفاع معين، بعد أن تتكدس مئة ورقة أو نحو ذلك، ترفعه آلة أخرى بعناية وتغلفه بورقٍ أحمر وأخضر فاتح، ثم تضعه في صناديق تتكدس بعد ذلك في الزاوية.

انتقل إبين ببطء إلى قسم آخر من الطابق السفلي، وتمشى حول الكتب المتهالكة، ثم رأى مساحةً كهفيةً أخرى مليئة حتى الحافة بصناديق تحمل شعار الحكومة.

كانت هناك عملية آلية تماماً تجري هنا أيضاً، تنتقل الصناديق على الأرض إلى المسارات، فتكدّسها آلاتٌ بلا عيون في برج متناسق، مختلف تماماً عن كتلة الكتب غير المتبلورة التي تركها قبل لحظات خلفه.

تحرّك بهدوء وحذر باتجاه الصناديق، ورأى فوق أحدها عنواناً لمكان ما في الدولة المجاورة، ووجد العنوان نفسه على صندوق آخر.

لم يكن عنواناً معروفاً، بل يقع في مكان ما في العاصمة، افترض أنه في مكان ما، ليس بعيداً عن المكتبة الوطنية للدولة المجاورة.

فجأة فهم إبين ما يحدث بالضبط، لقد سُحق تاريخ هذه الدولة الصغيرة بأكمله إلى أجزاء صغيرة لتوفير الورق للدولة المجاورة.

الآن فهم الغاية من مصادرة الكتب، والترويج للوباء العظيم.

في الحقيقة، لم تتلف الكتب وجميع قطع الورق، لكنها جمعت هنا لتعيش أيامها الأخيرة، جنباً إلى جنب مع مجموعات أخرى ادعت المكتبة أنها احترقت بفعل الحريق.

في المزيج المسحوق، طمست الآلاف من أفكار وانطباعات وأحلام الدولة الصغيرة من أجل توفير أوراق نظيفة ومحايدة وفاقدة للذاكرة لجيرانهم الناكرين للجميل ليخربشوا عليها بأي طريقة يريدونها.

ربما سيخربش الأطفال بسعادة على آثارهم القديمة.

كما ستُقدم مذكراتٌ فارغة كانت في السابق عبارة عن مجموعات شعرية رائعة. وسوف تمتلئ الدفاتر الموجودة في الردهة بقوائم البقالة غير الضارة وكأنها لم تكن أبداً النقيض المقدس.

حاول إبين أن ينقب في الكدسة علّه يجد بعض الأسماء التي يعرفها، ويحاول إنقاذ ما يمكنه منها، وبعد استعراض جملة من العناوين، أدرك أنه لم يجد عملاً واحداً لكاتبة، ومع توالي أسماء المؤلفين الذكور، أدرك حقيقة الأمر، كانت جميع المؤلفات التي يمكن التخلص منها لكتّاب ذكور، تصور الأمر كأن رواية إيلينا انتحار الحيوانات المنوية تعود إلى الحياة، أو بالأحرى إلى الموت، في شكلٍ ورقي. من الممكن تبرير ذلك بشكل مقنع وفق ما يسمى: «التحقّق الحتمي»، من المعروف أن رئيسة الحكومة كانت في السابق خبيرة إحصائية، ربما يتعلق الأمر برمته باحتمالات الأرقام فقط، فقد كان للرجال السبق في تاريخ النشر، وكان عدد الناشرين منهم يفوق ببساطة عدد الناشرات بفارقٍ كبيرٍ جداً.

بالتاليَ، إذا تعلق الأمر باختيار من سيحكم عليه بالفناء، سيكون القرار جاهزاً، وليس ثمة أمرٌ أكثر قبولاً من اتخاذ قرار بالتمييز ضد خمسين في المئة من الشعب، من أجل إفساح المجال لتدفق النساء إلى تاريخ الأدب، ولكن لماذا نتخلص منها من دون داعٍ، بينما تتيح إعادة تدويرها صنع الورق للدولة المجاورة؟

أوقفت هذه المعرفة مسارات تفكيره، مهما يكن ما يحدث هنا، فإنه بالفعل في حال حركة واستمرار، ربما منذ سنوات، وهكذا اختفى الشاعر إبين عن الوجود من فوق سطوح الورق الأبيض النظيف، ولم يبقَ له أثر سوى في

اقتباسات أشخاص مثل نيكولاس غريفيث. وحتى هذا الأخير، وهو الآن في سن متقدمة، سرعان ما سيختفي بدوره، ولن يبقى أحدٌ ليشهد حقيقة وجود الشاعر إبين، الشخص الوحيد الذي حمل هذا الاسم.

ما عدد المبدعين الذين رحلوا بالفعل، حاملين معهم عناوين وموضوعات إبداعاتهم العزيزة معهم؟ هل هناك رجالٌ آخرون، نصف مدفونين، يجلسون اليوم في دور المسنين المنتشرة في أنحاء الدولة، وهم يُحملون إلى المراحيض، وإلى كل مكانٍ آخر، يتمتمون بأسمائهم آملين أن يهتم شخصٌ ما، في مكانٍ ما، بها ويسجّلها قبل أن يرميها مقدم الرعاية في ماء المرحاض دون كثير من الاهتمام؟

تصوّر إبين أنه سيصبح واحداً من هؤلاء الأغبياء القدامى، حاملاً كل ذكرياته معه، ثم تخيّل فجأةً الفتاتين التوأم وهما تقفان هناك، عند باب الغرفة الصغيرة الكئيبة، التي سيقضي فيها آخر أيامه بلا شك، وتساءل في نفسه: هل سيأتي وقتٌ في المستقبل البعيد تعودان فيه من كل هذا، ربما سيرحب بوجهيهما عند الباب عندما سيخبره أحد مقدمي الرعاية أن ابنتيه ستزورانه اليوم، ألن تكون تلك الزيارة بمثابة متعة له؟ ليست ابنة واحدةً فقط، بل اثنتان، كائنان كاملان يحملان إرثه بعيداً إلى المستقبل وهما قادرتان على إبقائه حياً لفترة أطول قليلاً، ومن يدري؟ إذا أنجبتا أطفالاً، فسيكونون أجزاء منه، من الشاعر إبين، وبهم سيتمكن من الاستمرار إلى الأبد.

بعد لحظاتٍ، أدرك مدى سخافة الأمر، مع الأخذ في الاعتبار أنهما تريدان قتله، وليس في المستقبل البعيد، بل الآن.

لمس الأطراف الهشة لتلك الكتب مرة أخرى، وأدرك أن وجود أحفاد لهؤلاء الرجال المنسيين وعدم وجودهم سيان، فقد اعتمدوا جميعاً على الكتب من أجل الخلود، حين افترضوا بأن نصوصهم تحمي أسماءهم من الغموض، وضغط بأصابعه أكثر على الكتاب الأخضر الصغير للشاعر إبين.

كان من الأهمية بمكان أن يبقى هذا العنوان سليماً خلافاً لأي شيءٍ آخر، إنه متأكد أن ذلك سيعني شيئاً ما، وإذا استطاع إنقاذ كتاب الشاعر إبين من الانقراض، ربما سيســتطيع إنقاذ الآخرين، ومن يعلم عدد أجيال الشــعراء الضائعين تحت اللعاب اللزج لذلك السائل النتن؟

دان

3:40

وجد دان طريقاً أسرع لينزل إلى الطابق السفلي، من خلال تسلّق مساحة الزحف باتجاه إحدى غرف الحفظ، ساعده في ذلك أن إحدى الفتحات كانت متضرّرة، لذلك لم يتطلب الأمر سوى بضع دفعات إضافية، ليفتحها ويدفع نفسه من خلالها إلى الغرفة. عرف أن هناك باباً غير مقفل يقع خلف الخزانة يؤدي إلى ممر سري، كان ينقل عبره مع جونو صناديق السائل المضاد للبكتيريا. ومن هناك، سيصل إلى سلم صدئٍ مخصص للهروب سيوصله إلى الطابق السفلي. كان استخدام السلم ممنوعاً منعاً باتاً، فهو مهترئ وخطر للغاية، لكن دان شعر الآن أن الأمر يستحق المحاولة، فقد يستطيع الوصول إليها قبل أن تصل إلى إيبن، فإذا صمد كاحله ونجح، أو مات وهو يحاول، فلا بأس، لأن الجميع سيعرفون، عندما يجدون جثته تحت الصدأ والكتب، أنه حاول فعل شيئاً لتغيير الوضع، وهو أكثر ما أراد أن يقوله لأولئك البوابين الذين ذهبوا الآن في اتجاهٍ خاطئٍ تماماً.

أوشك أن يعبر، لولا أن رصاصة انطلقت ومزقت لوح الجص الرقيق، على بعد بوصاتٍ قليلةٍ من قدمه اليمنى، واستقرت في السقف فوقه، فتجمّد في مكانه لبرهة، وهو يحدق بارتياب إلى الثقب الذي أحدثته الرصاصة في الأرضية. لو أنه لم يتوقف لبضع ثوانٍ ليرتاح، ربما كانت هذه الرصاصة ستصيب قلبه أو بطنه، وربما كانت ستضع نهاية لحياته.

بالنسبة إلى دان لم يتعلق الأمر، بحياته التي تومض أمامه الآن، بل تعلق على نحو أدق، بالواقع المرير لنهايته. فمن سيهتم بوفاة البواب السابق الذي مات مختبئاً في مساحات الزحف داخل المكتبة وكأنه فأر؟

تخيّل الحد الأدنى من الحشد الذي سيحضر جنازته: أمه، وهي مجرد أم بيولوجية ترتدي الأسود، تستمتع بنوع الاهتمام الذي سيُغدق عليها بشكلٍ طارئٍ ومؤقت، وبالفطائر واللازانيا التي سيحضرها الجيران ذوو النوايا الحسنة. وشقيقه الذي سيخطط للهرب أثناء إنشاد الترانيم بعد أن حظي بإطلاق سراح موقّت، شاكراً شقيقه الأصغر على هذه الفرصة الذهبية.

ربما لن يكون هناك نعي، ومن المرجح أن تمر وفاته من دون أن يلاحظها أحد، أو أن يُترك هنا حتى يتعفّن، ويندمج مع المبنى الذي كان يحتقره بشدة، إلى أن يحفره علماء الآثار بعد قرون، ويضعون علامة فوقه، كهيكل عظمي لموظفٍ من المكتبة الوطنية في القرن الحادي والعشرين، مثل تلك الأغنية التي كانت والدته تستمع إليها دائماً، والتي تحكي عن روح بائسة عثرت عليها بعثة استكشافيةٌ إلى القطب الشمالي بعد مئة عام من ضياعها، وكان صاحبها محفوظاً بشكلٍ مثالي في الجليد، وكأنه لم يمر يوم واحد على وفاته.

الآن، أصبح الأمر أكثر إلحاحاً من أي وقتٍ مضى، نظراً إلى احتمال إطلاق رصاصةٍ أخرى في أي لحظة. عليه أن ينتصر، وأن يبقى على قيد الحياة، كي يروي قصته بنفسه ولا يموت تاركاً الجميع محتارين وغير مدركين. مع ذلك، أدرك أنه مُعرّضٌ للمزيد من الرصاص إذا تحرك مسافة بوصة واحدة.

وجد أن خياره الأفضل يتمثل بالركوع والنظر عبر الثقب، ليرى ما يجري في الأسفل.

خفق قلبه أسرع عندما ركع حذراً، في الوقت الذي تخيّل رصاصة تخترق عينه أو وجهه، وتخيّل نفسه ملقىً على السطح، والدماء تسيل منه. أخيراً، استجمع قواه ونظر إلى الأسفل، عبر الثقب الذي أحدثته الرصاصة، فرأى رواد

المكتبة الذين سمح لهم بالدخول في ذلك الصباح يتفرقون مذعورين قبل أن يصبحوا مثقلي الأطراف بشكل غريب ويبدو الجميع ناعسين، قبل أن يتوقفوا في النهاية عن الحركة، ورأى في وسطهم، نان، أو تلك التي افترض أنها هي، لأن شقيقتها التوأم سلكت درباً مختلفاً.

رآها تُقحم مسدسها في الجزء الخلفي من تنورتها، وتغطي وجهها بوشاح، وتختفي عن الأنظار بهدوء.

في غضون ذلك اقتحمت الميليشيا الصالة، عندما رآهم يرتدون الملابس الواقية أدرك أنه جرى إطلاق الغاز المنوم، ثم رآهم يندفعون إلى جانب المحتجزين المرتبكين، ويحاولون إيقاظهم قبل أن يستنشقوا مزيداً من الغاز، في الوقت الذي بذل فيه المسعفون قصارى جهدهم لإنعاش أحد الأشخاص بعد أن مددوه أرضاً، في تلك اللحظة، رأى شعراً أشقر يغطي الأرض، وصُدم عندما عرف أنها المغنية الأولى، تلك التي كانت تحتاج إلى الإسعاف قبل الجميع، بينما بدت المرأة النازفة في الزاوية في وضعٍ جيد إلى حد ما، كأنها استمدت شيئاً من القوة، من خلال الحياة الجديدة التي جاءت بها إلى هذه الغرفة، ساعدها مسعفٌ آخر في وضع الطفل على صدرها، الذي شرع يرضع بنهم، وسعادة، وهو لا يدرك أمر الفوضى التي تحيط به.

الآن رأى نان على حقيقتها: امرأةً مستعدةً لأن تدير ظهرها لكل شيء، ولا تهتم بما يحدث لهؤلاء الأشخاص الذين سببت لهم الرعب، فهي لم تتردد قبل خروجها كما فعلت التوأم الأخرى. كانت تتوقع الغاز وعرفت كيف تتخلص من آثاره، فاتخذت قرارات سريعة ومفاجئة، ونفّذتها بدقة.

إنها نموذجٌ معاكسٌ تماماً للأخرى التي كانت بين يديه قبل لحظات، والتي اندفعت عبر فجوةٍ في السقف من دون أن تُفكّر أن هروبها لن يؤدي إلى شيء، بل قد يفاقم مشاكلها.

شعر دان بالانزعاج لأنه ظن نفسه في غاية الذكاء عندما أقدم على خدعته،

والتي أتاحت له صنع نسخة أخرى مزيفة منه، تعرضها شاشات كاميرا المراقبة وهي تسير الآن عبر الممرات. كان أمراً مبتكراً.

بدت حيلته مثيرة للشفقة مقارنة بحقيقة وجود توأم فعلي، بل إن خدعته السخيفة، سهّلت عليهما كل شيء، إذ كانتا تعلمان أن شريط الفيديو الذي أعده ويبثه عبر نظام الكاميرات سيمنع تعقب كل ما فعلتاه، ومن المؤكد أن نان وتلك الأخرى ستسخران من محاولته، وهما تعيشان هذا الأمر في الواقع، الواقع الذي حرصتا على إبعاده عنه.

هل خططتا طوال الوقت حتى يبدو مذنباً أمام السلطات والجميع في ما يخص المكتبة؟ ليتورط بشكلٍ دامغ، ويبدو كمن صنع الفيديو لحماية عشيقته في الحياة الحقيقية؟

إذا كان الأمر كذلك، لماذا يستمر في ملاحقتها؟ قد لا تعرف نان ما كانت تفعله، إلا أن شقيقتها تعرف، لكنه لا يزال يشعر بوجود نقطة ضعفٍ في هذا التسلسل، ربما لحظةٌ واحدة من الصدق والأصالة في يوم مليءٍ بالخداع، عندما سمحت له بممارسة الحب معها! ورغم أنه تعهد في الحقيقة قبل بضع ساعاتٍ بمساعدة هؤلاء الزوار الأبرياء في الوصول إلى بر الأمان، يبدو الآن أن إنقاذ المرأة التي أرادت تدميره استحوذ على أولويته، ربما يريد أن ينقذها من نفسها.

توقف بشكلٍ مؤقتٍ قبل أن يتابع، ودرس سبل الانتقال إلى الجانب الآخر في حال إطلاق المزيد من الرصاص، أو مزيد من الغازات.

سيكون الأمر كارثياً، كما اعتقد، إذا سمع أفراد الميليشيا الضجيج فوق رؤوسهم واعتقدوا أنه نان.

انتظر حتى هدأت الضجة، وخطرت له فكرةٌ أنه لم يسبق له أن ورط نفسه بمشاكل مع القانون من دون أن يكون مسؤولاً بنفسه مسؤوليةً كاملةً عنها، ثم راح يحاول معرفة التهم التي يمكن أن توجّه إليه.

في البدء سيعد التلاعب بشريط كاميرا المراقبة جريمة، ولا شك أن كبير

البوابين سيطالب برفع دعوى إهمال ضده، لأنه سمح بحدوث شيءٍ كهذا، إذ سمح بأن يُحتجز خارج المبنى الذي يقع ضمن نطاق مسؤوليته، كما سمح بسرقة جهازه الخاص، ولم يُبلغ عن سرقته، مع أنه يعد من الممتلكات العامة. ألا تعد تلك السرقة خيانة من نوع ما هذه الأيام؟ مع ذلك، ليس هناك دليل على سرقته، ولا على تسليمه عمداً، وهو لم يكن جهازاً سهل الاستخدام. قد يجد الادعاء فرصةً للقول إن دان استخدمه من أجل فصل الهواتف الداخلية، وتعطيل نظام إخماد الحرائق، وقفل المكاتب.

ألا يمكن اعتبار دخوله مرةً أخرى إلى المبنى تعدياً على ممتلكات الغير، لأنه فعل ذلك من دون تنبيهٍ مسبقٍ للسلطات، ما تسبب في حدوث أضرارٍ لمدخل المقصف في الطابق السفلي؟

لو أنه لم يتلاعب في بكاميرات المراقبة، كان يستطيع الاتصال بالسلطات، لكنه في الحقيقة كان متورطاً بالأصل في ارتكاب كثير من المخالفات، فقد تابع في الطريق نفسه، الأمر الذي صب في مصلحتهما تماماً. لقد برمجتاه مسبقاً لاتباع الطريق الخاطئ، فشعر أنه في المكان الصحيح، وأن الأمر سينتهي به في النهاية إلى موقعٍ جيد.

لم يسلمه كبير البوابين المسؤولية لأنه ظن أنه قادر على تحملها، بل كي يمد له الحبل الذي سيشنق به نفسه.

إن ما يُشعره بالقلق هو الطريقة التي ارتقت بها هاتان الفتاتان بإمكاناته الإجرامية إلى مستوى أعلى، وها هو يرى اليوم وللمرة الأولى أنه ارتكب جريمةً أخرى ستُضاف إلى كل ما سبق ألا وهي عرقلة مسار العدالة والمشاركة في جريمة قتل.

هل فات الأوان على إنقاذ أي شيء؟ لا يزال يسمع الضجة في الأسفل، تذمر ونظر إلى الأسفل ورأى البروفيسور واعٍ، برفقة المسعفين، ورأى بعض المسعفين يحاولون تهدئة الوليد الباكي والملفوف كيفما اتفق، وقد فقدت امرأة

في زاوية الصالة وعيها، وقدّر أنها والدته.

لـــم يمت أحد، ولكن الفضـــل لا يعزى له، ففي الحقيقة، تمكنوا من إدارة الأمور بشكل جيد من دون أن يتدخل.

مــع ذلــك، لم يكن من الصعــب عليه أداء بعض واجباتــه، بأن يمنع نان والأخرى، من قتل إبين، فمن المحتمل أنه لا يزال قادراً على ممارســة ســلطته كحارس أمن للقيام بالمهمة التي جاء إلى هنا للقيام بها. ففي نهاية المطاف، ما من أحدٍ ســواه يراقب الجناة بالطريقة التي فعلها، كما لم يصل أي شــخص آخر إلــى الحــد الكافي من الغباء ليتقرب منهما كما فعل. ربما كان هناك فرصة، إذا تمكن بطريقة أو بأخرى من انتزاع مسدّسيهما، ربما يمكن تخفيض العقوبة التي سيحكم عليه بها؟ إن الأمر يستحق المحاولة.

الآن، رأى أفراد الميليشــيا وهم يقتحمون المبنى، بزيهم الرســمي المميز باللونين الأحمر والأخضر، والذي يحمل شعار الحكومة.

كان أفراد الميليشــيا أشخاصاً عاديين، يشبهون أقاربه الذين أرادوا يوماً أن يؤدوا دور الجنود.

يستطيع الآن أن يُسلم نفسه، ويخبرهم أن التوأم أجبرتاه على دخول منطقة الزحف، وأنهما أرادتا قتله، وأنه استطاع الهروب منهما، لكنه فكّر بعد ذلك في آثاره التي قد تشــي بخلاف ذلك، وليس أقلها بقايا حيواناته المنوية التي كانت بلا شك على أرضية الأرشيف في مكان ما، تقاوم موتها البسيط، وتشكّل وصمة عارٍ على التواطؤ الذي سيكون من المستحيل إنكاره.

آنّا

3:45

كانت منصة الهبوط المغطاة بالمسحوق، التي خففت من وقع سقوطها، مكوّنة من الكتب التي اختارت بعناية التخلّص منها. كانت هذه هي المرة الأولى التي واجهت فيها قراراتها التي اتخذتها نيابة عن المكتبة. فجميع هذه الكتب أدرجتْ عناوينها في تقريرها السري، الذي كلّفتها به كبيرة أمناء المكتبة.

من دون أن تعلم، كانت إدارة المكتبة تُقيّمها من أجل أن تُكلفها بدور جديد، قبل ستة أشهرٍ من وفاة والدتها. استُدعيت إلى مكتب كبيرة أمناء المكتبة لمقابلة ثلاث نساء لهن مظهر جدي أخبرنها أنهن يبحثن منذ سنوات عن شخصٍ معينٍ من أجل شغل منصب جديد، ينبغي أن يكون عضواً معروفاً في المكتبة وأن يتّصف بسمعة حسنة لدى الموظفين للقيام بأشياء حاسمة وتقديم أحكامٍ مصيرية حول الأعمال التي ينبغي أن تظل في قائمة الأرشيف. تذكّرت أنها شعرت في تلك اللحظة بسعادة غامرة لأنها نالت ثقة شخصٍ ما بهذه الطريقة، ولم تستطع الانتظار حتى تعود إلى المنزل كي تخبر والدتها. ولكن خبراً مزعجاً كان بانتظارها، إذ يجب أن توقّع على اتفاقية السرية المطلقة، وبالتالي لن يكون بمقدورها أن تشارك تفاصيل هذا المنصب الجديد مع أي شخص، حتى مع أفراد أسرتها. ومع ذلك، فقد أسعدها حقاً أن تعلم بأنها تفوّقت في شيءٍ ما. لقد برزت، ولم تعرف أي شخصٍ آخر غيرها تمكن أو حتى اقترب من تحقيق هذا النوع من التميز، وبشكلٍ خاص شقيقتها، والتي يفترض أنها تعادلها بالإمكانيات.

كانـــت تأمل أن يضمن هذا المنصب الجديد حصولها على مكتب خاص، لكن الأوامر فرضت عليها أن تظل مكانها، وألا تُظهر أي تغيير أمام زميلاتها، وتبقى تؤدي واجباتها المعتادة كأمينةٍ للأرشيف يتمثل دورها في تحديث القائمة.

في الوقت الذي كانت تزحف فيه الآن وســط الكدســة في حبسها الآني، علقت بعض الأطراف الصفراء الباهتة لمخطوطة كنســية تعود إلى القرن الرابع عشــر بثيابهـــا، أزالتها متذمرة، وتذكّرت كيف وصلــت هذه الوثيقة إلى المكتبة بعد أن اشــتريت من الدولة المجاورة قبل حوالى عقد من الزمن في مزاد. إنها قطعةٌ ثمينة من دون شـــك، كما أنها تشــير إلى قديس سابق معروف في الدولة؛ لكن آنّا ترى أن معظم الناس يعطون قيمة منخفضة للتاريخ الديني لدولتها. لقد أعجبــت كبيرة أمناء المكتبة برأيها هذا وقالت: «كي أكون منصفة، هذه ليســت الدولــة التي نبنيها الآن»، ثم وافقــت بحركةٍ من إصبعها على إزالة الوثيقة فوراً من مكانها في الخزانة الزجاجية وســط صالة القراءة الشمالية، كما سمحت بأن تمســح وبشكل فوري من جميع قواعد البيانات الإلكترونية، والتأكد من ظهور خطــأ الكتروني إذا أُجري البحث عبر الإنترنت عن النســخة الرقمية لها، الأمر الذي ســيؤدي إلى إيقاف تشغيل أي حاســوب، ثم الاعتماد على فكرة منطقية ســتدفع الأشخاص إلى التخلي ثم نسيان النص المزعج، بعد أن يفقدوا ملفات عملهم أثناء عمليات بحثهم عنه، أو تتسبب عمليات البحث المتكررة في إتلاف القرص الصلب للحاسوب الخاص بهم.

منذ ذلك اليوم، أدمنت آنّا بشــكلٍ تدريجي فكرة تخليص الأمة من فائض وثائقها، فبمجرد أن بدأت لم تعد قادرة على التوقف، فقد كان تاريخ أمتها يزخر بالوثائق التي لن يطلع عليها أحد، مثل وثائق عن مســابقة لكلاب الرعي، يعود تاريخها إلى سبعينيات القرن الماضي، أو إفادات شهود تعود إلى دعاوى حُكم فيها في الثمانينيات، ومحاضر اجتماعات، ومجلات الرعيّة التي مات قراؤها منذ فترة طويلة، وصحف المجتمعات المحلية التي غمرت المياه مواقع مجتمعاتها

أو شُـيدت أبنية فوقها. بدا التمسـك بكل هذه المطبوعات أمراً محرجاً تقريباً، إذ كان كل ما تشـير إليه يذكّر بالخسـائر العديدة التي تكبّدتها الأمة، والأساليب التي اسـتخدمتها الدولة المجاورة كي تقطع بهم السـبل للحفاظ على أسلوب حياتهم. إن الاحتفاظ بمثل هذه السجلات لانتصاراتهم الصغيرة في مجتمعاتهم المحدودة منعهم بطريقة ما من أن يصبحوا تلك الأمة الكبرى التي طالما أرادوا أن يكونوها. حقيقة أن هؤلاء الناس كانوا يحتفظون ويفتخرون بتفاصيل حياتهم، وأنهم كانوا يشعرون بالرضى عنها، جعلتها تشعر بالاكتئاب، ولكي تتخلص من هذا الشعور، حكمت على كل هذه النتائج المؤسفة الصغيرة المخزنة في قاعدة بياناتها الخاصة بالهلاك.

كذلك رأت أن هناك كثيراً من القصائد والروايات التي لا تستحق القراءة، ومنشـوراتٍ دون المسـتوى لشعراء منسـيين منذ زمنٍ طويل، وروايات رهيبة مكتوبة بأسـماء مستعارة، وسير ذاتية مملة للمزارعين، والمستشارين المحليين والسياسيين. كانت السير الذاتية للرجال أكثر عدداً بكثير من السير الذاتية للنساء، وهـذا طبيعـي، لأن أحداً لم يعتقد أن حياة المرأة تسـتحق التوثيق. عرفت أنها كانت تتّخذ القرارات بناءً على تحيّزاتها وميولها، إلا أنها كانت مدفوعة بتشجيع من كبيرة أمناء المكتبة.

قالت لتبرر نفسـها: «ينبغي أن ينطق شخص ما بالحكم، يجب أن نتخلص ونخلّـص أنفسـنا من ثلاثين بالمئة من المواد التي لدينـا، وإذا لم أنفّذ أنا هذه المهمة سينفّذها شخص آخر وفقاً لتحيزاته».

كذلك كانت تظهر زوايا الصور من كدسة الكتب الناقصة تلك. لقد كانت مـن اختصـاص ليلي، فبمجرد أن تزيل آنّا الكاتب من القائمة، تبدأ ليلي البحث في جميع الملفات الفوتوغرافية للمؤلف الذي خضع للمسـح، إذ لم يكن من المنطقي أن تقضي على مؤلفات الشـخص وتبقي على صوره. افترضت آنّا أن ليلي أيضاً وقّعت على اتفاقية لضمان السـرية المطلقة مثلها، لكنهما لم تناقشـا

حقيقة عملهما، وأن وظيفة كل واحدة منهما تعتمد على وظيفة الأخرى. مع ذلك، لاحظت في كثير من الأحيان أن ليلي ترمقها بنظرة غريبة عندما يصل أحد الملفات إلى مكتبها بعد قرار اتخذته، كأنها تشعر بالصدمة عندما تكتشف هوية الكاتب الأخير الذي حكمت عليه آنّا بالاختفاء. كانت هذه التفاصيل بشكل خاص هي التي أرّقت آنّا، ربما أكثر من اتخاذ القرار نفسه، وذلك عندما ترى آخر دليل فوتوغرافي يصل في تلك التوابيت الصغيرة على شكل ملف، فتعرف أنها ستضع حداً نهائياً لتاريخ كاتب سبق له أن مات منذ فترة طويلة.

سحبت طرف إحدى الصور وأخرجتها، كانت مغمورةً بالسائل وهذا ما جعل آنّا تتقيأ. تذكّرت هذه الصورة التي أخبرتها عنها كبيرة أمناء المكتبة، عندما حاولت ليلي إزالة شاعر بارز من صورة التقطت أثناء احتجاجٍ شعبي ضد تنصيب أمير الدولة المجاورة، الذي كان يُمنح السيطرة على دولتهم، وقد سُمح للشخصيتين الموجودتين على جانبي الشاعر المعني، وهما مغني الاحتجاج والسياسي، بالبقاء لأن أسرتيهما تبرعتا للمكتبة بمبلغٍ كبيرٍ من المال. لكن للأسف، ونظراً لعدم وجود أحفاد، لم يبقَ أحدٌ ليطالب ببقاء الشاعر المسكين في الصورة، ورغم أنه كان محور الصورة، أصبح من الضروري الآن محوه، ودمجه بطريقة ما في اللافتة التي كان يحملها.

فشلت ليلي في ملاحظة الخطوط الباهتة لقبضة يده، التي كانت لا تزال واضحة على اللافتة بين الشخصين. انتقلت الصورة لكي تُعالج عبر النظام، إلى أن رصدها أحد المسؤولين التنفيذيين: يدٌ تطفو في منتصف الصورة من دون جسدٍ يلتصق بها، كان الحل الوحيد في التخلي عن اللعبة كلها. لا تزال آنّا تتذكر العينين المنتفختين لليلي عندما عادت إلى مكتبها إثر توبيخ من كبيرة أمناء المكتبة، التي اتهمتها بفعل ذلك عمداً، وأنها تركت تلك القبضة كنوع من الاحتجاج في حدّ ذاته. نجحت ليلي بالدفاع عن نفسها وسُمح لها بمتابعة العمل، وبعد ذلك اختفت القبضة، إصبعاً تلو الآخر، ولم يعد هناك شاعرٌ، لكن

الصورة لم تعالج بشكل كامل، لأنك تستطيع أن تعرف أن الشخصين الآخرين كانا ينظران إلى شـــخص ما في الوســـط، وبطريقة ما، بدا أن الشاعر بقي حاضراً في الصورة، وكأن قبضته ظلت مشدودةً دائماً اعتراضاً على تلك اللحظة بالذات، وكأن الشـــخصية غير المرئية الآن كانت تعرف دائماً أن شـــيئاً ما سينتزع هويتها يوماً ما ويدمرها مع اللافتة.

جعلتهـــا مراقبة هذه الكتب والصور الفوتوغرافية وهي تتحول أمامها الآن إلى مسحوق، والمواد الكيميائية التي تنتظر أن تذيب يد الشاعر إلى الأبد، تشعر بالغثيان. ما الذي فعلوه جميعاً بحق السماء؟ لا شك في أنها كانت ساذجة بما يكفـــي حين ظنت أن كل تلك المواد المهملة ســـتبقى محفوظةً في مكان آمن، في شـــكلها الأصلي، للأجيال القادمة، بدلاً من التخلص منها مثل القمامة. إلى أيـــن تمضي تلك الأجزاء الصغيرة من التاريخ التي لم تعد ضرورية لبناء الأمة؟ هل اختلطت هكذا معاً، وأصبحت جزءاً من أساســـات المبنى؟ لاحظت وكأن الكدســـة تتحرك، وكأن قوة الجاذبية تسحبها نحو الأمام، ثم اكتشفت أن الكتب بالفعل موجودة فوق حزام ناقل من نوع ما، وأنها تتجه نحو فتحة صغيرة تحجبها قطع من المطاط. ها هي روايات القرن التاسع عشر تنحدر باتجاه ظلمة مجهولة، من الواضح أن نهايتها المادية ستكون أسوأ من نهايتها الخيالية.

فجأة خرج إبين من خلف كدسة الكتب وكأنه شبح لأحد الكتّاب الذكور الذين كانت تحاول محوهم، وصوّب المسدس نحوها.

قالت: «إبين!» ثم تابعت وهي تستوعب المفاجأة: «إبين، دعنا نتحدث فقط، لو سمحت».

كان يتأرجح بعنف، حاملاً المسدس بيده.

صرخ في وجهها: «هل كنت تعلمين بكل هذا؟ بكل ما يفعلونه هنا؟».

لـــم يكن من الســـهولة علـــى إبين أن يحمل الســـلاح بيديـــه المرتجفتين والمتعرقتين. تذكّرت آنّا في هذه اللحظة قول المزارع بأنه لا يوجد شـــيءٌ أكثر

خطورةً من شـــخص لم يستخدم مسدســـاً من قبل، فمن المرجح أن يقدم على القتل أكثر من غيره لأنه غير محترف.

«إبين، هلّا وضعت المسدس جانباً، من فضلك، قبل أن تُطلق رصاصة منه».

تابع بصوتٍ لاهث وخشـــن: «إنه أمرٌ مثير للســـخرية، أن تتوقعي من أحد الرجال أن يقوم بالشيء الصحيح من أجلك، وأن يقدّم لك المزيد، بينما تحاولين تدمير إرث هؤلاء الرجال من خلال ما تفعلينه هنا، أعني، أنت تعرفين أشخاصاً مثل الشاعر إبين، أنت شخصياً تنتمين إلى أشخاص مثل هؤلاء الذين تحاولين تدميرهـــم. أنـــتِ تدمّرين جذورك، ما كنتِ أتيت إلى هذه الحياة من دونه أو من دونـــي، والآن مـــاذا؟ ها أنت تحاولين إلغائي أيضاً، لأنني لم أعد مفيداً لك بعد الآن».

لم تستطع آنّا أن تفهم شيئاً مما قاله، كانت نظرته متوحشة وجامحة، والعرق يتصبب من وجهه، ثم انزلقت نظارته مباشرة من أنفه إلى الظلام، لتمتزج بالطين، حاول أن يلتقطها، وعلى الرغم من أن آنّا كانت تســـتطيع أن ترى أين ســـقطت النظـــارة، علـــى بعد بوصات من قدميه، ولكن تبيّن لها أنه لن يســـتطيع أن يرى شيئاً من دونها، ناهيك عن تصويب المسدس نحوها، راقبته ببطء وهو يدرك أنه أصبح الشخص الذي أصبح في خطرٍ مرةً أخرى، وهو يتخبط بين الإمساك بسلم الهروب القديم خلفه، ووضع قدمه على الدرجة السفلية، من دون أن يتمكن من رؤية جميع علامات الخطر المحيطة به في كل مكان.

«هذا غير آمنٍ يا إبين، أرجوك، هذا السلم قديم».

لكن إبين لم يكن مســـتعداً للاســـتماع، فوضع المسدس في جيب سترته، وبدأ في التســـلق، ومع كل درجة، أصدرت القطع التي تثبت الســـلم إلى الجدار صوتاً معترضاً على الفعل الخطير، ولكنه تابع قدماً، ولم يكترث.

فكّرت في التقاط نظارته واستخدامها كوسيلة ضغط كي تجبره على العودة، لكنها أدركت أن نجاح خطتها غير مضمون، فهي نفسها لم تكن متأكدة من أفضل

مسـار للعمل الآن، كما أنها لم تعد تحمل مسدسـاً ترهبه به. ومرةً أخرى، قد يسقط بسهولة من ذلك السلم ويلقى حتفه، أو يكسر رقبته. هل ينبغي أن تتراجع وتترك الأمر يحدث؟ فليسـقط ويموت كما حدث لوالدتها، فالعين بالعين. من المؤكد أن موته الآن، في جميع الأحوال، سيصب في مصلحة المكتبة أكثر من أي شـيءٍ آخر، إذا أخذنا في الاعتبار أنه شـاهد عملية طحن الكتب في الطابق السـفلي، لكنها لم تسـتطع أن تبعد كلماته غير المنطقية من رأسـها، فما الذي قصده بقوله إنها ما كانت ستأتي إلى الحياة من دونه؟ حاولت أن تتذكر من هو الشـاعر إبين؟ نعم، كان قرارها بشـأنه سـريعاً، إذا كانت تتذكر بشكلٍ صحيح، احتـوى ذلك الكتيب الأخضر الصغيـر الوحيد المتبقي له على مقدمة تعلن أن الشـاعر قد كتب عدداً من القصائد دون المسـتوى المطلوب، وكان من دواعي سـرورها أن تصدق كلمة المحرر تلك، ولم تفكر مرتين في وضع الكتيب في العربة. هل كان ذلك الشـاعر هو أحد أقاربه المفقودين منذ زمن طويل؟ ربما اكتشف شيئاً في مذكرات والدتها يشير إلى ذلك. رغم أن والدتها لم تعترف أبداً بتأثرهـا بـأي كاتب ذكر، إلا أن آنّا ارتجفت فجأة عندما اعتقدت أنها أزالت من الوجود شخصاً ربما كانت والدتها من أشد المعجبين به، أو شخصاً ربما كانت مدينة له بعبقريتها العظيمة.

لكنه قال: «إنك تدمرين جذورك».

إيبين

4:00

أصبـــح إيبيـــن الآن أعمى نوعاً ما، وعليه أن يفعل ما يفعله عادةً عندما يجد نفسه في مأزق كهذا، أن يتبع الضوء، الذي بدا وكأنه الوجهة الأكثر منطقية لرحلة رجل بالكاد يستطيع أن يرى. لم يبدُ السلم مستقراً، لكنه أفضل طريقٍ للخروج من هنا. إنه ينتهي بمســـتطيل مشـــرق، أمِلَ أن يكون فتحةً ما، عندما اقترب منه، شـــعر بدفء ضوء النهار يتســـرب إلى جلده. كان هذا الإشـــراق أمراً غير عادي ومثيراً للدهشـــة بعد كل تلك الســـاعات التي قضاها في الظلام، حتى كاد ينسى وجود ضوء النهار، بعد أن تحوّل عالمه منذ دخوله المكتبة إلى الظلام بشـــكلٍ كامل، والآن تتدفق الأشعة نحوه مثل إكسيرٍ ذهبي، مليءٍ بالأمل.

فكّر مرة أخرى في الفوضى والعبث اللذين سيطرا عليه في ذلك الصباح، مقارنة بالقوة المتجددة للشـــخص الذي يتســـلق الســـلم الآن، مدعوماً بالإرادة المطلقة والتصميم، بينما يثقل المســـدس سترته. صَعُب عليه أن يصدق حدوث هذا التحول الكبير خلال بضع ساعات، وليس في يوم كامل.

فهـــم مـــن نظرة عينيها أن لا فكرة لديها عمّا يقوله، لا علاقة إذاً بين رغبتها في إيذائه وحقيقة أنه والدها. ربما تراه بخلاف ذلك تماماً، شخصاً لا أهمية له في حياتها أبداً، تستطيع التخلص منه بسهولة مثل هؤلاء المؤلفين الذين حوّلت أعمالهم إلى مسحوق، ومن الواضح أنها لم تكن على علم بمرض والدتها أيضاً. كان يتمسك بكتيب الشاعر إيبين الأخضر بقوة تحت إبطه، وتحت بنطاله، لا تزال

تلك الشهادة الخاصة باختبار الحمض النووي تصدر حفيفاً بسيطاً، كل ما يحتاج إليه الآن هو أن يضع الأدلة في الأيدي الصحيحة، وأن ينهض مثل طائر الفينيق من تحت ورق البردي، بينما تلتصق الصفحات التي أنقذها من الموت بجناحيه.

بدأ السلم الآن يصدر أصواتاً تنّم عن اهتزازه، لم يكن هو وآنّا من يتحركان عليه فقط. فجأة ظهر شخصان آخران من مكان ما وبدأا التسلق، نظر إبين نحو الأسفل، وتمكن من رؤية بعض الأشكال الصغيرة تزحف نحوه، هل كانوا من الشرطة القادمة لإصلاح كل شيء؟ كلما تحمّل السلم ثقلاً أكبر، أصدر أصواتاً تشي برغبته في الانهيار بمن يحمل، تباطأ إبين قليلاً، وهو يحاول إبعاد الصورة الذهنية التي رسمتها أفكاره عن نفسه وهو يسقط ميتاً في وعاء المواد الأولية، ثم يصبح ورقة بيضاء نظيفة في صندوق، حيث تختلط أليافه بالأوراق. فجأة، انفصلت القطعة التي تُثبت السلم إلى الجدار، وطارت صوب وجهه، فاهتز السلم فجأة إلى اليسار، وسمع تردّد صدى صوته.

«تمهلا، أنتما الاثنان!» ارتفع صوت رجلٌ نحوه، وتابع: «نحن بحاجة إلى توزيع الوزن بالتساوي وإلا سينهار السلم، عليكِ أن تنتظريه حتى يصعد، انتظري فقط، نعم، حتى يخرج، إنه صاحب الجزء الأكبر من الوزن، فإذا خرج، سنكون بخير».

شعر إبين أن آنّا تتوقف خلفه، تنفس بعمق، فتوقف هو الآخر للحظة، عالقاً بين الضوء والظل. لم يسبق له أن كان واعياً لجسده مثلما هو في هذه اللحظة، يجب أن تكون على دراية بإيقاع كل أوقية من اللحم وبموقعها في الفضاء والجاذبية. الجزء الأكبر من الوزن، العبء الرئيسي للجميع، في قمة المكتبة، كي يراه الجميع. إبين بريترتش، قاتل الكاتبات، الكاتب الفاشل، المتبرع بالحيوانات المنوية: يحاول التنفس من أنفه ثم يزفر من فمه.

همس لنفسه وهو يحاول تصحيح الإساءة التي وجّهها لنفسه قبل قليل: «هذا يكفي! أنا الناقد إبين، كاتب السيرة، أنا الأب».

صاح رجلٌ من الأسفل: «هيّا يا إبين، يمكنك التحرك الآن، أليس كذلك؟».

استمر إبين بالتقدم فعلاً، فتابع الرجل: «ستضمن باستمرارك بالتحرك أن نخرج جميعنـــا أحياء من هنا». الآن تعرّف إبين إلى صاحب الصوت، إنه أحد البوابين الســـابقين، وهو الذي كان يهزأ منه في كل مرة يأتي فيها إلى هنا، هل سيســـعى إلى إنقاذه الآن، رغم أنه لم يفعل الكثير لمساعدته في الماضي.

شهق إبين ثم زفر، شهق مرة أخرى ثم زفر، حاول أن يُذكّر نفسه أنه يترك المشاكل والظلام وراءه في ذلك المكان، ويتابع إلى الأمام باتجاه النور والخلود. نقل ساقيه الثقيلتين والمتثاقلتين ببطءٍ شديد إلى أعلى الدرجات القليلة الأخيرة، عبر قفص الأمان، ومنه إلى الأعلى عبر الفتحة المستطيلة.

واجه باباً مغلقاً بإحكام، يشـــبه الباب الموجود في الأرشـــيف، لا يبدو أنه يحمل مقبضاً من أي نوع، ارتعش جسده ذعراً، وبدا أن الأشخاص في الأسفل ينظرون إلى الأعلى، منتظرين منه أن يفعل شـــيئاً. اســـتحضر صورةً لنفســـه من الخيـــال، وهـــو يضغط وجهه إلى الزجـــاج، وهو يصرخ مرعوباً بينما تســـحبه الشـــقيقتان إلى الموت، يبتعد وجهه شـــيئاً فشيئاً عن الزجاج، وفي لحظة توقف لا يمكن تمييزها، يختفي الوجه من صفحات الحياة.

صاح أحد الرجال من الأسفل: «أنت تحمل مسدساً، أطلق الرصاص على النافذة يا إبين!».

استدار نحو الصوت، وكاد يفقد توازنه، وانزلقت يداه على قطعة ورق مبللة كانت تلتصق بعناد بالدرجة الأخيرة، وعندما اســـتعاد ثباته مرة أخرى، خطرت فكرةٌ في باله مفادها استحالة أن تطفو صفحة كهذه من تلقاء نفسها، فلا يمكن أن يحدث ذلك إلا إذا كانت في طريقها إلى الأسفل، فهل كانت هذه هي طريقتهم في إخفاء الموضوع؟ هل يصعدون بالكتب إلى السطح، ثم يلقون بها في الظلام دون منحها فرصةً ثانية؟

سمع صوتاً آخر، انفصلت إحدى القطع التي تُثبت السلم إلى الجدار، ثم

انفصلت قطعة أخرى، وكان عليه أن يتصرف بسـرعة. مرت فكرةٌ عابرة بأن من يتسلق السلم الآن هما ابنتاه، ورغم استيائه من هذه الحقيقة بكامل كيانه، إلا أنه استحضر بفضلها بعض الأمثلة، كي يكون فعّالاً بطريقةٍ ما، كما يجدر بالأب أن يفعل، مدّ يده إلى جيبه ليخرج المسـدس ويصوّبه نحو الزجاج، وأمسك السلم بقوة بيده الأخرى، ثم ضغط على الزناد.

دفعـه تأثير الطلقة بطريقةٍ غير مفهومةٍ بعيـداً عن الزجاج المتناثر، وخرج إلى الهواء الطلق على الجانب الآخر، حيث تناثرت شـظايا الزجاج في الفضاء من حوله، ليشـعر بوخزاتها الحادة على وجهه وجانبيه، قرر أن يتجنبها، كي لا يُلحق مزيداً من الأذى بنفسـه، فقد أصبح في الصدارة، وهو لا يرغب أن تقطع إحدى الأجزاء الحادة شريانه، ثم ينزف حتى الموت على سطح المكتبة في هذه اللحظة بالتحديد.

أحاطت شمس الشتاء به، وقف على قدميه بشكلٍ غير مستقر، ثم خطا عدة خطوات إلى الأمام. لم يرَ الكثير، لكنه استطاع أن يرى أبعاد العالم المعتاد الذي كان يعلم أنه لا يزال هناك، مدينة ساحلية تلمع في البعيد، والمساحات الخضراء مـن الحقول على جانبيها، مع القليل من الضباب في السـماء الزرقاء الغائمة. سـمع صـوت الخفقان حوله مع مرور كل ثانية، إلـى أن عرف ماهية الصوت في آخر الأمر: إنه صوت طيور النورس وهي تتجمع، وتهبط يساراً ويميناً وفي الوسـط، كأنها تنتظر وصوله، لتغطي السقف فوقه، وتظلله مثل ملك. حاول أن يتخطى مشاعره الحقيقية تجاه هذه المخلوقات، عندما كان يراقبها وهي تتجمع وتصرخ حوله، وتناسـى أنه جثا على ركبتيه أكثر من مرة، خوفاً من أن تهاجمه. قال لنفسـه إنه الآن رجلٌ من نوعٍ مختلف؛ رجلٌ مرّ بشـيء ما، رجل سافر بعيداً جداً ولا يمكن لطائر عادي أن يؤذيه، النورس هو مجرد طائر - هذا ما قالته له المعالجة - ولذلك تنفس بعمق وكرر التعويذة.

«النورس هو مجرد طائر».

لم يخطر في باله أنه سيكون وحيداً على السطح بهذا الشكل، برفقة سربٌ من النوارس فقط، أين الجميع بحق السماء؟ التفت ونظر مجدّداً إلى الفتحة، هل ينبغي أن يعود ليتأكد من سلامة التوأم؟ هل عليه أن يأخذ بأيديهما إلى بر الأمان، كما يجدر بالأب أن يفعل؟ لكنهما قد تجذبانه نحو الأسفل، وربما تتصرفان بطريقة أسوأ، لا شك أنهما لا تزالان تكرهانه، فضلاً عن إن إحداهما لا تزال تملك مسدساً، ماذا لو أطلقتا الرصاص عليه وهو يحاول أن يقدم المساعدة؟ عندها سينظر إلى عيني قاتله، ويستقبل الموت بطيب خاطر، وهكذا سيتذكره الجميع.

لماذا لا يوجد أحد هنا ليساعده؟ لقد أدى منذ لحظات عرضاً استثنائياً للشجاعة من دون أن يشاهده أحد، ألا يجب أن تكون السلطات هنا، مستعدةً لنقله بعيداً إلى مكانٍ آمن، كي لا يضطر أن يفكر في كل هذه الأمور لوحده، أو أن يضطر إلى اتخاذ أي قراراتٍ أخرى؟

لم يدرك إبين أنه أخطأ في قراءة الموقف إلا بعد أن خطا بضع خطواتٍ باتجاه الأمام نحو حافة المبنى، وربما من الأصح أن يقول: أخطأ الموقف في قراءته.

رأى في الأسفل، وعلى امتداد موقف سيارات المكتبة، دوائر متحدة المركز باللون الأحمر والأبيض والأخضر، واستطاع أن يعرف تدريجياً ماهية هذه الأشكال، إنها ميليشيات البلدة تتمركز بدقة وبشكلٍ متساوٍ، تماماً كما كانت الطيور التي تحيط به. لم يشكّل هذا المشهد مفاجأةً كبيرة له، فالجميع يعرفون ندرة وجود الشرطة في البلدة، لكنه لم يتوقع أن يأتي هذا العدد الكبير من رجال الميليشيا من أجله، أو أن يصوّبوا أسلحتهم نحوه. تجمّد في مكانه، كي لا تؤدي أي حركة من جانبه إلى إطلاق النار. حاول أن يبقى ساكناً تماماً، وشعر بالراحة وهو يتخيّل ما سيناله بشكلٍ مؤكد من أوسمة وتكريمات، والانطلاقة الصاروخية لشهرته إذا استطاع أن ينجو من سوء الفهم الأخير هذا. كل ما عليه فعله الآن

هو التأكد من أن قلبه يستمر في النبض، وأن الأكسجين يستمر في التدفق بحريةٍ عبر رئتيه، حتى يتمكن من سـرد قصته، كي لا يفعل شـخصٌ آخر ذلك. لكنه فكّر أيضاً أن يفعل شـيئاً كي يُعلم رجال الميليشـيا بطريقة أو بأخرى أنه يمتلك معلومات، معلومات حساسـة وسـرية، قد تقلب الأمور رأساً على عقب. شيئاً يعلمهم أن توجيه السـلاح نحوه، بل مئة سـلاح، كان أمراً سيئاً. أراد أن يصرخ فيهم، ويخبرهم كم هم سخفاء، لكنه لن يخاطر بفعل ذلك أيضاً، وللمرة الأولى في حياته، منحه وجود طيور النورس حوله، وإحساسه بها قريبة من خلف عينيه المغمضتين بإحكام، نوعاً من العزاء.

سـمع صوت انسحاق شـظايا الزجاج وهو يخطو عليها، اقترب منه أحد الأشـخاص ببطء، حتى أصبح وجوده محسوسـاً خلفه، لا بد أنها ابنته، ومن جديد لم يكن معنى هذه الكلمة مألوفاً، شـعر أن حصوله على ابنتين كان عبئاً، ولكنه أيضاً بطريقة ما، ورغم جميع محاولاته للتخلص منه، يعرف أن فيه شيئاً مفعماً بالأمل. ضغط على الكتاب تحت إبطه، وتحسس قطعة الورق في بنطاله، سيخبر الفتاتين الآن أنه والدهما، وسيكون هذا هو السبيل الوحيد أمامه، وبينما راح يتحرك نحوها، سـمع رجال الميليشيا المنتشـرين تحته يغيرون مواقعهم، ويشيرون إلى اتجاه مختلف.

جاءه صوت آنّا: «إبين، احذر يا إبين من فضلك، ضع المسدس أرضاً، يعتقد هؤلاء الرجال أنك الشخص المذنب، وأنك وراء كل ما حدث».

عاد الذعر إلى قلبه، تفجّر بشكلٍ مفاجئ في عروقه وعبر صدره، لم يدرك حتى تلك اللحظة، أنه لا يزال يحمل المسـدس. صدمة الارتداد على الزجاج جعلته يشعر بأنه مرتبط بسلاحه عضوياً إلى حدّ ما، كما لو أن الانفصال عنه لم يكن خياراً متاحاً. وبينما أخذ يسـتوعب المشـهد الذي يجري في الأسفل، راح يشير نحو الحشد.

كررت آنّا طلبها: «اترك السـلاح جانباً يا إبين، أو أعطني إياه قبل أن تطلق

منه الرصاص، كي لا يحدث ما ستندم عليه».

«تراجعي». همس وهو منطبق الأسـنان، ويحرك يده بأقل قدر كي لا يثير الجمع، وتابع مفسراً: «إنهم لا يريدون رؤيتك، إنهم يريدون رؤيتي أنا فقط، هل تفهمين؟ لستِ المطلوبة، فتراجعي الآن، هل هذا واضح؟».

دُهش عندما رأى أنها نفّذت ما قاله، فشـعر بموجة من الفخر لأنه أصبح شخصاً يمكنه إصدار الأوامر، وثمة من ينفّذها، إنه شخصية ذات سلطة «أطيعي والدك، أيتها الفتاة اللطيفة»، لكنه رغم ذلك، إذا كانت ابنته أم لم تكن، وإذا كان معيلهـا، أو كان حاميهـا، فمهما يكن ذلك الدور الذي قد يؤديه معها، سـيبقى موضوع إخبار السلطات بكل شيء أمراً مسلماً به؛ كيف احتجز في تلك الغرفة، وكيف تعرض للسـخرية والتهديد والإيذاء النفسـي، سـيعني هذا بشكلٍ مؤكدٍ تقريباً أن تنالا حكماً بالسـجن لفترة طويلة، وعندما خطر له السـجن، فكّر أنه سيكون المكان الأفضل حتى يخبرهما بحقيقة نسبهما، ربما كان يتخيل مستقبله الجديد إذاً بشكلٍ خاطئ كلياً، فلن يكون في دار المسنين منتظراً زيارتهما، هما من سـتكونان بانتظاره في السـجن، مختبئتين بأمان خلف القضبان، حيث لن يشكل رد فعلهما خطراً عليه.

سـيضع السجن كل شـيءٍ في نصابه الصحيح، ومهما تكن الصدمة قاسيةً عليهما، ستتقبلان الحقيقة في النهاية، إذا واظب على زيارتهما والاهتمام بأمرهما، كما ستكونان ممتنتين له، فمن سيزورهما غيره بعد كل ما فعلتاه؟ سيحظى بفرصةٍ مثالية للتقرب منهما حتى يحين موعد إطلاق سراحهما، وعندما تخرجان أخيراً، سيكون الجميع على استعدادٍ للمضي قدماً في هذه العلاقة الجديدة.

تذكّر الأقوال التي شـجعّته المعالجة على ترديدها وتطبيقها: «أنا من يضع الخطط، ولن أسمح للآخرين أن يفعلوا ذلك بالنيابة عني».

حدّق إيبن مرة أخرى في المشـهد الضبابي للميليشيا الساكنة في الأسفل، سـاعده افتقاره للرؤية السـليمة بعد ضياع نظارته على عدم إدراك الخطر الذي

يهدد حياته. فاجأه أنهم لم يزعجوا أنفسهم بإطلاق أي رصاصة، مع أنهم يبدون كثراً، وهو واحدٌ فقط، كما أنه يثق بتفوقهم النوعي عليه أيضاً، فكل واحدٍ منهم أفضل منه بكثير في استخدام السلاح، لكنه تذكّر ما قرأه في الصحف الإلكترونية مؤخراً عن سياسات الميليشيا؛ لا يسمح لأفراد ميليشيا كهذه، تتكون من المتطوعين، بإطلاق النار إلا للرد على نيران مقابلة، إذ لا يرغب أحدٌ أن يذكّي حماسة مجموعة من المدنيين غير المدربين، أو يدفعهم لتنفيذ بعض الأحكام التي أخذوها بأنفسهم لتحقيق العدالة. شعر إبين بالفخر بسبب كل ذلك أيضاً، فهو الوحيد الذي يتمتع بالإرادة الحرة الحقيقية في هذه اللحظة كي يفعل ما يريد بالقوة التي حصل عليها فجأة.

للحظة، شعر أن هذا العالم بأسره ساكنٌ وهادئ، رغم أنه يعرف أن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك. رأى شكلاً يُشبه سيارة إطفاء ذات ضوء أزرق وامض تشق طريقها من أعلى التل باتجاه المكتبة، ورأى بعض الأشخاص مثل ظلال ملتفةٍ بالبطانيات المعدنية ينتشرون في المكان، وعيونهم حمراء من البكاء. رأى شخصاً يشبه البروفيسور محمولاً على نقالة، وقد وضع له قناع أكسجين، بينما تلوّح ذراعه في الهواء بحركاتٍ كأنه يمسك بشيءٍ لا يراه أحد. تخيّل في البعيد أنه رأى رجلاً يشبه فرانكتون في بنيته، كان يهز رأسه. استطاع إبين حتى من هذه المسافة، ومن خلال الضباب، أن يرى نظرة الإدانة في عينيه. ثمة أضواء، المئات منها، تلمع وتشع في الأسفل، يفترض بها أن تكون كاميرات، تعذبه بالتحديق إليه، شعر أنه استدعى جميع الأشخاص والأشياء والأصوات إلى هذا المكان رغم أنه لم يفعل شيئاً، ولم يقترف أي ذنب.

بدا له أنه أمضى وقتاً طويلاً جداً وهو يقف على السطح، يحمل هذا المسدس في يده، وكأن فصلاً مكتوباً باللحم والدم في كتاب حياته المفقود منذ زمن طويل يظهر الآن إلى النور، كما تخيّل أنه حتى عندما سيخبر السلطات بكل ما يعرفه، وحتى عندما تظهر براءته، ويعترفون به بطلاً حقيقياً، أو شخصية

بارزة في التاريخ. لن ينسى البعض أبداً صورته وهو يقف على هذا السطح الآن، وهو يصوّب سـلاحه نحوهم، مثل مجرم، سـتدفعهم هذه الصورة إلى التمسك بفكرة إجرامه إلى الأبد، ومهما يحدث فيما بعد.

همس مخاطباً نفسه: «لم أعد ضعيفاً».

جعلته هذه الفكرة يمسك المسدس بتصميمٍ جديد، وقد تقمّص الدور الذي يلصقونه به: رجل خطير يحمل سلاحاً.

رجلٌ ذو قوة.

دان

مكتبة
t.me/soramnqraa

4:05

كانت الآن «شقيقة نان» تتحدث بهدوء إلى إبين، وتحاول التفاهم معه، بينما لا يزال المسدس في يده، يلوّح به كالمجنون، ويصوّبه نحو الحشد الموجود في الأسفل.

تألم كثيراً وهو يحاول رفع نفسه بواسطة كاحله المتورم إلى أعلى السلم، وشعر بالرعب أيضاً، لأن السلم بدا غير مستقر، وكأنه سينهار في أي لحظة، رغم أنه نوى استخدامه للنزول، وقد أدرك في الوقت الذي بدأ فيه بالصعود عليه، أن إبين و«شقيقة نان» كانا عليه بالفعل وأنهما يسبقانه، لم يكن لديه خيار سوى أن يتبعهما إلى أعلى، رغم أنه كان موقناً أن هذا السلم لن يتحمل وزن ثلاثة أشخاص، ناهيك عن الشخص الرابع الذي يحاول الصعود من الأسفل أيضاً. كان اثنان من الأربعة يمارسان ضغطاً كبيراً على النصف العلوي من السلم، فطلب منهما التوقف، وبدا أنهما يستجيبان إلى طلبه عندما أسرعا الخطوات، الأمر الذي سمح لإبين، وهو الأثقل بينهما، والذي يمثل التهديد الأكبر لحياتهم، بالخروج أولاً.

شعر دان بما يشبه الإعجاب بالسرعة التي أخرج فيها إبين مسدسه، وأطلق بناءً على توجيهات الفتاة، هذا ما أكد له شيئاً آخر يتذكره من تدريباته على السلامة، وهو احتمال أن يقوم بعض الأشخاص ممن هم تحت مسؤوليتهم بأفعالٍ مفاجئة، إذ قد يجد الأشخاص الأكثر تواضعاً في داخلهم قوةً لم يعرفوا

أنهم يمتلكونها، في الوقت الذي يرتعد فيه الأشخاص المشهورون بشجاعتهم. لم تبدأ نان، التي كانت خلفه في الأسفل، صعودها إلا عندما وصل دان إلى قمة السلم تقريباً، وكادت عند إحدى الدرجات أن تتجاوزه وتتسلق فوقه، ثم تشبثت بظهره مثل قرد يحاول الوصول إلى الدرجات الأخيرة، كأنها تحاول سحبه إلى الأسفل. احتاج دان إلى كل ذرة من القوة ليخرج معها بأمان إلى السطح، وبعد أن رفع ساقه عن الدرجة الأخيرة، وهبط مع نان سالمين على السطح، سمع صوت انفصال القطعة الأخيرة التي تثبت السلم إلى الجدار، فيسقط إلى الخلف، نحو الهاوية.

بدا من المستحيل أن يستطيع تخليص نفسه من نان، قال لها: «انزلي عن ظهري» وحاول إخراج أصابعها التي غرستها في جذعه. إنها لا تزال تحمل مسدسها، وأحس به يضغط على بطنه، وراح يحسب بسرعة أن أفضل ما يمكن فعله الآن هو البقاء هنا، ومنع نان من الوصول إلى شقيقتها وإبين، أملاً في أن يتمكن شخصٌ ما، في مكان ما، من الشهادة أمام المحكمة بأنه استطاع أن يفعل شيئاً جديراً بالاهتمام عندما وصلت الأمور إلى هذه الحدّ، من المؤكد أنه سيكون من مصلحته أن يعرف الجميع أنه وضع نفسه بينها وبين هدفها.

تدحرج فوقها، وتمكن من دفع كل وزنه فوق ذراعها وفوق المسدس، اتسعتْ عيناها من المفاجأة عندما أدركت أنها عاجزة عن التحرك، وتعجبت من إصراره وجرأته على الحركة.

قالت: «إذا ضغطت على الزناد ستصيب عضوك الذي تهتم له».

أجابها: «سأنتهز فرصتي، توقفي الآن عما تقومين به، هل هذا ممكن يا نان؟ لقد انتهى كل شيءٍ وأنت تعرفين ذلك، لم يعد هناك معنى لأي شيءٍ من هذا بعد الآن».

ألقى دان نظرة سريعة نحو شقيقة نان وإبين، لا يزال إبين مضطرباً، بينما تبذل شقيقة نان قصارى جهدها للتفاهم معه. من المؤكد أن شخصاً سيأتي بعد

دقائق ليوقف كل هذا.

قالت نان: «يا إلهي كم كنت سهلاً، كل ما كنتُ بحاجة إليه للسيطرة عليك القليل من الجنس، الذي لم يكن ممتعاً أيضاً، كما تعرف، أعني، لا يمكنك القول إنني لم أعط الأمر اهتماماً كافياً، أعتقد أنك أثبت لي شـيئاً يا دان، في الحقيقة أنا لست مهتمة بالرجال».

قـال: «لا تتكلمـي». كانت تتلوى تحتـه الآن، وتركل كاحلـه المصابة، وتسـتهدف نقاط ضعفه، وعندما عثرت على شظية زجاجية مغروسة في جذعه راحت تحرّكها بيدها الحرة ببطء، لتزيد ألمه إلى أقصاه.

«لكن آنّا كانت تسـتمتع، أسـتطيع أن أعرف ذلك، فنحن كما تعلم توأم، ومهمـا يحدث لواحدةٍ منا، تعيشـه الأخرى معها، كمـا ترى؟ لكنني أردت أن أجرب أولاً، أن أسبقها».

«آنّـا»، فكّر بحنين ولم يقل شـيئاً، تذكّر جسـدها وهو يقابل جسـده في الأرشيف، آنّا هو اسمها إذن. كان يفترض به أن يستنتج بشكلٍ منطقي أن يتألف اسمها من مقطعين صوتيين، بدلاً من اسم نان القاسي المكون من مقطع واحد.

حققت نان بعض النجاح في التعامل مع شظية الزجاج تلك، فشعر أنها تكاد تثقب شـيئاً من أعضائه الداخلية. أبعـد يدها وقلبها، لكنه في غضون ذلك فقد السـيطرة على ذراعها الأخرى، مما دفعها إلى رفع المسـدس باتجاه رقبته على الفور، بينما كانت تفعل ذلك، سـمع صوت تحركات تحدث في مكانٍ قريب، وأصوات أسـلحة، يعاد تموضعها، إنهم بلا شـك أفراد الميليشيا، يراقبون مثله بصبر نافد من مكانٍ مخفي، بانتظار اللحظة المناسبة، كي يفكوا رموز الشخص المعتدي، وينقضون عليه برصاصهم. يعرف دان أن اتخاذ القرار السـليم تماماً ليس بالأمر السهل، حتى بالنسبة إليه وهو في قلب الحدث.

وصل صوتٌ إلى مسـمعيه: «نان! ماذا تفعلين؟». سـمع صوت الخطوات على السـطح بينما كانت آنّا تقترب منهما، فقالت نان بصراحة: «لم نعد بحاجة

إليه، ما الذي سنفعله به الآن؟ ألا يجب أن أقتله؟». بدا السؤال سهلاً جداً وهو يخرج من بين شفتيها، وكأنها تفكر في قائمة البقالة، وتابعت مؤكدة: «هل نحن حقا بحاجة إليه؟».

أجابتها آنّا: «لا تكوني سخيفةً يا نان، توقفي عما تفعلينه، لن نقتل أحداً، ولن نفعل له أي شيء، سنتركه وشأنه فحسب، إنه في صفنا يا نان».

تابعت نان: «لا تكوني غبية يا أختي، سيشهد ضدنا، سيصدقونه فروايته أكثر واقعية من روايتنا». أغمض دان عينيه بينما دفعت نان المسدس أعمق في رقبته.

أغمض عينيه وانتظر الرصاصة، كان مستعداً لذلك، إذا سبق له أن نجا من رصاصاتٍ كثيرة، طوال حياته. ذات مرة حاول أحدهم أن يطلق النار عليه خارج المحكمة، لكن الرصاصة ارتدت من سماعات الرأس التي تعمل بتقنية البلوتوث، ما أحدث ثقباً بسيطاً في الجلد وبقي الدماغ سليماً. قال البعض إنها معجزة، وبكى البعض بفتور، وفي الحالتين، كانت والدته محقة عندما قالت إن رصاصةً كهذه ستعود إليه بطريقة أو بأخرى عاجلاً أم آجلاً، لن يكون بمقدوره منع ذلك، مهما يراوغها أو يهرب منها لفترة طويلة.

أعد نفسه لاستقبال الرصاصة، وهو يأمل أن تفلح نان في التصويب بما يكفي للقضاء عليه مرةً واحدة، لكنه شعر بعد ذلك أن المسدس لم يعد يضغط على رقبته، لم يجرؤ على فتح عينيه، فقد خطر له أن تمتلك نان شذوذاً يجعلها ترغب في النظر إلى وجهه وهي تعدمه، لكنه فتح عينيه في النهاية على مفاجأة كبرى، كانت نان قد اختفت. ثم رآهما معاً على بعد عدة أقدام منه، منهمكتين في نقاش، وتحاولان التفاهم من خلال إشارات الأذرع، سارت نان بعد ذلك حاملةً مسدسها بينما أشارت آنّا بقلق نحن إبين.

التفت دان لينظر إلى ذلك الشخص الأقرب إلى الهاوية، فظهر إبين وكأنه جزءٌ من قصة أخرى تماماً، يحاول أن ينتصر لنفسه للمرة الأولى، ويحمل المسدس من أجل ذلك، بدا مختلفاً عن الشخص الوديع الذي يرتاد المكتبة

في العادة، والذي أدخله إليها دان في ذلك الصباح. انعكس المشـــهد في خيال دان كإحـــدى الصور التي يمكن رؤيتها معلقة في المعرض ليلاً، يظهر فيها إبين متمرداً عنيفاً يوجه ثورته ضد المؤسسة مباشرةً، وهو على استعداد للموت شهيداً من خلال رمي نفسه من سطح أحد أكثر المباني شهرة.

تجمعت النوارس حوله، وكأنها تنتظر شيئاً قادماً إليها، أو أنها بانتظار أسرها هي الأخرى، في لحظة من الزمن، كي تحسـن سـمعتها بصفتها زبّالة المدينة، وترفع ريشـها القذر إلى قاعة المشـاهير بالمكتبة مرةً وإلى الأبد. لا يزال طائر النورس الذي قتل في الليلة السابقة معلقاً فوق سارية العلم، تاركاً علامةً أكيدةً على الفظائع التي ستحدث، إن كان هناك من ينتبه للإشارات والدلائل.

كانت الكاميرات جاهزة لتصور سقوط إبين من فوق، وكانت البنادق جاهزة لإطـلاق النـار عندما يحدث ذلك، لكن أحداً لم يكن قادراً على التقاط المنظر الذي يراه الآن، هكذا فكّر دان، وهو يراقب من دون حولٍ ولا قوة فيما تتحرك الشقيقتان بصمت بعيداً عنه تحت شمس بعد الظهر الباهتة، ويندمج ظلاهما في واحد وهما تقتربان إحداهما من الأخرى أكثر فأكثر، وتشابكان أيديهما وتحني كل منهما رأسها للأخرى، فتتحدان من جديد، بدلاً من اتباع مساراتٍ مختلفة، كما كان يأمل.

ظن أن تلك اللحظة لن تُطبع إلا في الذاكرة، تلك التي بدت فيها الشقيقتان غامضتين، على الأقل آنّا التي اسـتدارت إلى الوراء لتنظر إليه، وكأنها تفكّر في تسـليم نفسـها، قبل جزءٍ من الثانية من ظهورها على مرأى ومسمع من الحشد الذي يقبع في الأسفل ومجموعات الميليشيا المحيطة بهم في كل مكان، عابرة الحدود بين ما كانت تستطيع أن تكون عليه وما ستكون عليه هي وشقيقتها الآن إلى الأبد.

فكّر دان: لم تكن أكثر من لحظة، أو جزءٍ من الثانية، قيد شعرة، هذا كل ما كان، بين الغموض والتاريخ.

آنّا ونان

4:10 عصراً

لبرهة تخيّلت آنّا وهي تقف على السطح وتتأمل الجمهور، عالماً لم تملك فيه توأماً، ولم تملك شقيقة ولم تكن نسخة، عندما كانت كل الاحتمالات واردة في جسد والدتها. ملايين الاحتمالات التي دارت ضمن تلك البويضة الملقحة، تلك الخلايا التي تنقسم وتتجزأ وهي تعتقد أنها في طريقها لإنتاج فرد وحيد. ولكن البويضة المخصّبة انشطرت عند نقطة معينة. هل اعتبرت البويضة الملقحة انشطارها هذا نجاحاً أو حركة ذكية من طرفها؟ أو طريقة للحصول على أكثر مما خُصص لها في الحياة؟ أم اعتبرته فشلاً بمعنى أن قدرتها انخفضت إلى النصف وأضعفت عزيمتها.

عندما شبكت شقيقتها أصابعهما، تساءلت آنّا رغماً عنها أيّاً منهما كانت ستتحول إليها تلك البويضة الملقحة، ربما لم تكن ستتطور إلى أي منهما، فهما لن تكونا على سجيتيهما من دون الازدواج، ومن دون عيش حياتيهما معاً وهذا ما مهّد الطريق لوجود نسختين من كل شيء، ونظرتين إلى العالم، ومنطلقين لإتمام الانتقام وإحضار شخص للمثول أمام العدالة، ثم تقاطعا ونتج عنهما طريق واحد أوصلهما إلى هذه اللحظة.

همست شقيقتها في أذنها وهي تشد على يدها: «آنّا، هل سنفعل هذا؟ هل سنقفز؟».

لطالما شكّل الموت موضوعاً حرجاً بالنسبة إليهما منذ صغرهما، وبما

أنهما كانتا على دراية بولادتهما بفارق اثنتي عشرة دقيقة فقد تخوفتا من احتمال أن يخطف الموت كل واحدة منهما على حدة. لم يعنِ دخولهما الموحد إلى العالم أنهما ستخرجان منه في الوقت ذاته أيضاً، أي أنه قد تُجبر إحداهما على العيش من دون الأخرى، قالت آنّا لنفسها: إلا إذا خططتا للخروج من هذا العالم بالطريقة نفسها التي دخلتا إليه بها، أي تموتان متحدتين.

تقدّمت مع نان باتجاه الحافة، وألصقت قدميها بقدمي شقيقتها، ووضعت المسدس بينهما إلى جانب نان، دبت نار الحمية في الجمهور، وفقدت الميليشيا صبرها، رفعت آنّا رأسها قليلاً، فلمحت فريق إدارة المكتبة وهم يحدقون إليها بدهشة تامة، واعتقدت أنهم لا يزالون يحاولون فهم كيف لم يشكوا في أمينتي الأرشيف هاتين. تمسّكت ليلي بسمر، ولمعتا معاً تحت غطاءيهما البراقين، ولاحظت آنّا أن بيل تُنقل إلى سيارة إسعاف وهي تحملق بذعر وقد غطى قناع أكسجين وجهها وتمدد طفل مثل نجمة بحر على صدرها. دُفع البروفيسور وراءها باتجاه سيارة إسعاف أخرى وهو يتحدث إلى المسعف ويحرّك يديه وكأنه يلقي أحد اقتباساته.

فكّرت وهي تتأمل خيراً: في الواقع، لم يحصل ضرر فعلي.

صرخ إيبن عندما اقتربت منه هي ونان: «تراجعا إلى الخلف»، رأت آنّا الآن النظرة الغريبة نفسها في عيني شقيقتها التي ظهرت في عينيها في صالة المطالعة؛ وكأنها واجهت صعوبة في استيعاب ما يحدث أمامها، بدت أنها تقول وهي تسحب شقيقتها: لا يزال إيبن في متناول يدينا. كان بوسعهما أخذه معهما.

ثبتت آنّا في مكانها، ورفضت التقدم إنشاً إلى الأمام وقالت: «نان». أولاهما إيبن ظهره، وبدا قريباً من الحافة للغاية ومثّل هذا تذكيراً مروعاً لحادثة انتحار والدتهما، لم يتطلب الأمر سوى خطوة بسيطة «دعينا نتريث قليلاً يا نان».

لم يبدُ أن نان سمعتها، ولم يكن هناك ما يمنعها من قتل إيبن غدراً أو دفعه عن الحافة وأخذه معهما في طريقهما، وعلى الرغم من استعداد الميليشيا الكامل

إلا أنهم لم يعتزموا فعل أي شيء قبل إطلاق شخص آخر الرصاصة الأولى.

لكن شيئاً أوقفها، نظرت إلى شقيقتها، ولاحظت الكآبة تسود عينيها، سبق لآنّا أن رأت هذه النظرة على وجهها وعلى الأخص حين اضطرت إلى الاعتراف باقترافها خطأ ما.

قالـت وهـي تعاني في التقاط أنفاسـها: «لا أعتقـد أن عليك الموت قبل معرفة كل شـيء، إن اتخاذ القرار بعد الإلمام بكل شـيء لا يشـبه اتخاذ القرار دون معرفة...».

كانت نان تثرثر، ولم تسـتطع آنّا مواكبة مسـار أفكارها، ابتعدت نان عنها قليلاً، ودنت من الحافة أكثر.

قالت آنّا: «لا أفهم ما تقولينه، ما الذي لا أعرفه؟».

ردّت نان: «لقد تكوّنا من سائله المنوي بعد أن تبرع به، ولكن هذا لا يغير أي شيء، هل تفهمينني؟ فهو لا يستحق لقباً ولا تعني هذه المعلومة شيئاً، كما لا يعد أباً لمجرد أنه تبرع بحيواناته المنوية. لم يملك خياراً حتى في هذا الأمر... فلا يغير هذا شيئاً من نظرتنا إليه».

شـعرت آنّا بالقشعريرة من شدة الدهشة، هل هو إبين الذي تبرع بحيواناته المنوية التي اسـتخدمتها والدتهما؟ بعد سـماع هذا نظر إليهما وكانت تعابيره لا تُفسـر، اسـتطاعت رؤية بعض درجات من الأحمر في شـعره الذي لطالما عدته رمادياً بالكامل، وهذا بفضل أشـعة الشـمس التي سُـلّطت عليه، لا تزال بقايا الشـخص الذي كان عليه سـابقاً ثابتة على فروة رأسه؛ هناك شيء حقيقي وغريزي يتخلله رفضٌ للاستسلام بسهولة وهو درجة الأحمر الغريبة التي تشبه درجة لون شعرها.

إبين هو والدها.

نظر إبين إليهما منفعلاً وقال: «بالطبع، لا يغير هذا من رأيكما فيّ!». جعله غضبه مخيفاً للغاية. لاحظت أنه لم يتفاجأ بهذا الخبر هو الآخر، وبدا أنها كانت

آخر من يعلم.

صرخت نان قائلة: «هل كنت تعرف هذا منذ البداية يا إبين؟ هل هذا هو سبب .هوسك بها لدرجة جعلتك تصرّ على قتلها؟».

«من السهل تصديق أنني كنت السبب في انتحارها أليس كذلك؟ فهو أسهل من تصديق أنها كانت غريبة في ذلك اليوم، ولم تعرف ما تريده، لم أفعل شيئاً سوى كتابة مراجعات. في الحقيقة لم أتمنَّ أن أحظى بأطفال، هل تعرفان هذا؟ لكنني لم أملك خياراً في هذا الأمر، أليس هذا صحيحاً؟ بالطبع، كلنا ضحية للنظام، ولا أريد أن أكون وقحاً. ولكن كتاب والدتكما اللعين هو من أثر على هذا القرار في المقام الأول. لو لم يُحدث ذلك الكتاب تأثيراً بالغاً ولو استلم عدد أكثر من الرجال زمام الأمور ما كانت تلك السياسة ستمر، ولكنها مرت وها نحن هنا. حسناً، علينا استيعاب معظم هذه الفوضى التي وجدنا أنفسنا فيها لا أن نوجّهها إلى هدف واحد فقط. ألا يمكننا فهم أننا نستطيع الانطلاق من هنا؟...».

رفعت نان مسدسها ليواجه مسدسه، فلم تفعل الميليشيا شيئاً سوى مراقبتهما. لاحظت آنّا أيضاً آثار الصفات العائلية التي تشاركتاها مع إبين، كالنمش الخفيف على وجنتيه فهو يُشبه النمش الذي ظهر على أرنبة أنفيهما عندما كانتا في التاسعة. لقد ظهر على شكل نثرات صغيرة، فمازحتهما والدتهما وقالت إن أشعة الشمس نثرت عليكما البهارات لتصبحا ألذّ، ولكن آنّا تذكّرت كيف عانت والدتهما من هذه الصفة بفضول وهي تضع واقي الشمس على أنفيهما، وتملكت عينيها نظرة غريبة وكأن شيئاً ما قد خطر في بالها. شيء فظيع!

إبين والدها، والدهما، والحلقة الناقصة التي لطالما تاقت إليها بينها وبين نفسها، الفرد الرابع الذي سيعطي أو كان سيعطي كل شيء توازناً مثالياً لو لم تفارق والدتها الحياة، وهما الآن تحاولان التخلص منه ومحو العلامة الفارقة التي ستضمن الازدهار مجدّداً.

توسّلها إبين وكأنه لمس تغيراً في رأيها وهي تستوعب الخبر فقال لها:

«أقنعي شقيقتك لكي تخفض مسدسها، ثم يمكننا التحدث كما ينبغي كعائلة».

عائلـة، هذه الكلمـة التي لطالما تاقت إليها أيضـاً في صغرها حين رأت الأطفـال الآخرين يركضون إلى جانب والدين اثنيـن، وقفت إيلينا بالطبع إلى جانبهما، وتفوقت في كثير من النواحي على شـخصين ولكنها في الوقت نفسه لم تتمكن من ملء جوانب أخرى، فهي أخفت جزءاً منها عنهما.

قالت وهي تدرك أنها على وشـك البكاء بحرقة: «نان... أرجوك يا نان... علينا التعامل مع هذا الأمر قبل فعل أي شيء... فإذا صحّ ادعاؤه حقاً...».

قالت نان: «لهذا السبب لم ترد إخبارك بالأمر فهي عرفت أنك ستتصرفين على هذا النحو، لماذا لا تسـتطيعين فهم أن هذه المعلومة لا تعني شـيئاً؟ فهي محض حقيقة بيولوجية، لا تُغيّر أي شيء فعله. لا يوجد خيار سوى أن نقفز أو أن أقتله، ما الذي تفضلينه يا آنّا؟».

التفتت نان إلى شقيقتها وعيناها تترقرقان بالدمع مثلها تماماً. استذكرت آنّا يوماً حين كانتا في السـابعة تقريباً وركضتا خلف بعضهما في المطبخ وضحكتا بشـكل هسـتيري عندما كانت والدتهما تحضر العشـاء. ارتطمت نان بالخزانة وشـرعت بالبكاء، وحين ركضت آنّا نحوها وهي تمسـك كمادة باردة دفعتها بعيـداً وقالـت إنها لم تبكِ لأنها تتألم بل لأنها أدركت أن يوماً ما سـتموت آنّا ولن تستطيع مشاركة الضحك مع أحد. تطور الأمر حينها إلى جدال تلاه عراك اضطرت والدتهما إلى إنهائه، ولكنها لم تساعدهما حين قالت: «من الممكن أن تموتي أنت أولاً يا نان فلا أحد يعرف متى سيموت».

صرخ إيبن: «ماذا؟ هل تريدين قتلي الآن لأنني أصبحت بلا نفع وأتممت مهمتي؟ برأيك لماذا لم أحاول قتلكما؟».

قال دان: «إذا أطلقتِ النار على إيبن فستطلق الميليشيا النار عليكِ»، التفتت آنّا لتنظر إليه؛ فتذكّرت يديه على جسـدها وهذا ما جعلها تسـتذكر ما شعرت به في الأرشيف، أشعرها أنها مهمة ومرغوبة وكاملة، وكأنها وحدها تكفيه، فأشارت

له كي يقترب منها ويقف إلى جانبها. فكّرت في أنه قد يسحبها إلى الخلف، إذا كان هذا قراره لا قرارها، أي إذا أراد منها البقاء فعلاً فربما ستستطيع التعايش مع الأمر.

صرخ إبين وهو يشير إلى نان: «وماذا لو أطلقت النار عليّ؟».

أكمل دان: «ستطلق الميليشيا النار عليها أو علينا جميعاً، ليس هناك من مخرج لهذا المأزق الآن سوى ألا يطلق أحد النار على أحد، علينا أن نخفض المسدسين ودفعهما إلى طرف المبنى، في هذا الحال ربما ستتسنى لنا فرصة للخروج على قيد الحياة من هذا الوضع».

لاحظت آنّا أن شقيقتها بدت وكأنها طائرة ورقية وأنها شردت كالعادة، ولكن جسدها ظل مصمماً وثابتاً في مكانه ولم تفلت يدها أبداً، وكأن التمسك بيدها أمر إلزامي كتمسكها بالمسدس. شعرت آنّا أنها في الخامسة مجدّداً تقف عند طرف الطريق وإيلينا تهمس في أذن نان: «لا تفلتي يد شقيقتك حسناً؟ فأنت تعرفين طبعها».

لاحظت أن إبين كان يُفكّر في خياراته فقد مثّل له إنزال المسدس إما الحرية أو الموت، كما أن احتفاظه به مثّل خيارين متعاكسين أيضاً، لم يتأكد من شيء سوى الاستمرار بما تجهز له.

اهتزت كتفاه عندما بدا أنه ينهار، كما أوشكت دموعه على الانهمار فتمتم: «هذا ليس خطئي، لم تكن لي علاقة في كل هذا».

حاولت آنّا التدخل مجدّداً فقالت: «أعتقد أن علينا الجلوس والتحدث إليه يا نان»، رغبت بشدة أن تفسح مزيداً من الوقت أمامها لتستوعب المعلومة الجديدة وتُقرر ما الذي عليها القيام به «لا أعرف كيف عرفت كل هذا، ولكن كان يفترض بك أن تخبريني قبل الآن فربما ما كنا سنضطر للوصول إلى هنا لو كنت صريحة معي...».

أجابت نان باختصار وبصوت حزين إذ بدا أن المشاعر تسربت منها مجدّداً:

«حسناً، وربما كانت إيلينا ستظل معنا لولاه».

«لا تتفوهي بهذا الهراء، فأنت تعرفين تماماً أن لا علاقة لي بانتحارها، لا بد أن إحداكما بدّلت مقدمة الرسالة تلك قبل تسليمها للصحف! لا تتجرأا على توريطي في هذا الأمر بعد الآن، لن أقبل بهذا، هل تسمعانني؟ كانت والدتكما مريضة».

مقدمة اليوميات تلك، ذلك الفخ الصغير الذي سلمتاه للصحافة، أصرت نان بصفتها المجدّدة الخبيرة للنصوص على إظهارها وتقديمها كطعم، على الرغم من أن والدتهما لم ترغب في أن يقرأ أحد يومياتها من الغلاف الأول إلى الغلاف الأخير. إلا أن نان حاولت إقناع آنّا أنها أرادت نشر بعض الاقتباسات التي أثبتت كم دمّرتها كلمات إبين. قالت لها نان: «دعيني أعثر على الملاحظات فهذا مجال يشبه عملي وسيزعجك كثيراً، سأتفحصها وألخصها ثم سأبعدها».

قالت آنّا بإلحاح وهي تنظر إلى شقيقتها: «نان، ما الذي يتكلم عنه؟ لم تكن مريضة أليس كذلك؟».

قال إبين: «كانت تعاني من مرض يسمى... جاكوب... شيء ما...»

أكملت نان وهي تواجه شقيقتها: «كروتزفيلد جاكوب. أنا آسفة يا آنّا، كان يفترض بي أن أطلعك على الأمر، ولكنها رفضت».

«بالله عليك ما الذي تتكلمين عنه؟». عصف ذهن آنّا، وأصيبت بدوار بسبب كل هذه المعلومات، وأوشكت على الإغماء في أي لحظة، قالت لنفسها: ربما من الأفضل الاستسلام والهروب من كل هذه الحقائق الجديدة التي رُميت بها واحدة تلو الأخرى من دون وجود وقت لفهمها أو استيعاب مدى تعقيدها لما أقدمتا عليه.

«تركت لي رسالة يا آنّا ووضعتها في عهدتي، أرادت مني أن أدمّرها ولكنني لم أستطع فعل هذا -فهي آخر شيء كتبَته لذا أخفيتها داخل تمثالها النصفي في الأرشيف، كانت تعاني من اضطراب ذهني من نوع ما ساء مع الأيام، وأرادت

الهــرب منــه، أرادت الموت وهي لا تزال قــادرة على اتخاذ قرار الموت... لم تستطع طلب هذا منا فهي عرفت أننا لن نتمكن من تلبية طلبها».

تجمّــدت آنّا. والدتها، صديقتها المقربة، وحليفتها وثقت بنان ولم تثق بها ووضعت في عهدتها أهم معلومة في التاريخ، لا تفلتي يدها يا نان فأنت تعرفين طبعها، أدركت آنّا أنها لطالما أدت دور الطفلة مع أنها الأخت الكبرى، اعتقدت أن لوجودها أهمية بشكل أو بآخر، لأن والدتهما رأتها أولاً وتعرفت إليها، ولكن هذا التصرف جعلها تبدو وكأنها كانت تحتاج إلى حماية من كل شيء.

«لا، من المستحيل أن تكون أخبرتك ولم تخبرني أنا...».

«عرفت أنها لن تستطيع تأليف كتاب آخر، وهذا عنى بالنسبة إليها الموت عملياً، وهذا ما تمنت ســماذرهود حدوثه أليس كذلك؟ أن تتوقف عن الكتابة، لم ترد إعطاءهم لذة الاستمتاع بانهيارها، أرادت خلق حدث درامي من انتحارها لتجعلهم يشعرون بالندم. ربما استطاعت تحقيق تغيير يردعهم عن فعل هذا مع شخص آخر».

«لكننا لم نكن نفعل شــيئاً، كنا فقط...» ترك إبين هاتين الجملتين معلقتين في الهواء، وكأنه شكك في ما كان واثقاً منه.

بدا الحشــد في الأســفل ضئيــلاً وغير مهم، وأخذت هــي ونان أكبر من حجميهما وفاقتا الجميع، تســاءلت كيف ســتبدوان إذا ســقطتا؟ لا شك أنهما ستشــبهان والدتيهما أي مجرد جسدين سمحت لهما الجاذبية بالسقوط والتبدد إلى اللاشيء الذي خُلقتا منه وستنتهي حينها تجربتهما. دخل دان حقل بصرها واقتــرب منهــا، وعلى الرغم من أنه كان محطماً إلا أنه مثّل احتمال وجود حياة أخرى.

قال بهدوء: «أرجوك لا تقدمي على هذا يا آنّا».

ربما أخطأت والدتهما في تأكيد رباطهما المتين، أليســت هذه تجربة كثير من طلاب مدرستهما؟ أي ألم يدركوا تماماً أنهم سيغادرون منزل أهلهم بالرغم

من حبهم الشديد لهم؟ ألم تكن هذه التجربة تحضيراً للخسارة الكبرى التي تربّصت بهم؟ لطالما كانت هي ونان وإيلينا ثلاثة أفراد مختلفين منذ البداية، ولكنهن أقنعن أنفسهن بعكس ذلك، وكأن لا حدود بينهن ولا تفرقة، وكأن أفكارهن وأحلامهن ورغباتهن متماثلة ويتعذر التمييز بينها. ولكنهن في الوقت ذاته أخفين أسراراً كالعادة، وفي مكان ما من حلقة سوء الفهم هذه تشكّلت تلك الأفكار الجنونية، الأفكار التي قادتهما إلى سقف المكتبة من دون أن تعرف كيف حصل كل هذا.

لكن آنّا لم ترد أن تقفز، مع أن نان تضغط على يدها بشدة لدرجة أنها حالت دون تدفق الدم عبر جسدها، وهذا ما أشعرها بالدوار، مع أنه بدا من السهل تطبيق ما فعلته والدتهما؛ التقدم إلى الأمام وجعل الهواء يتكفل بالباقي إلا أنها لم ترد أن تقرر شقيقتها عنها هذه المرة.

قالت بنبرة أدركت أن شقيقتها لن تسيء فهمها: «اتركي يدي، دعيني وشأني».

ردت نان: «لا أستطيع، ألا تفهمينني؟ هذه الفرصة المثلى لإنهاء الأمر معاً، لن يكون... الأمر بهذه البساطة إذا لم نغتنم هذه الفرصة أليس كذلك؟».

حدقت نان إلى عينيّ شقيقتها، لاحظت آنّا وجود شيء مربك فيهما، شيء عميق وخفي لا يمكن له أن يظهر سوى في موقف كهذا حيث لا يوجد شيء يمكن أن تخسره والعالم يتلاشى خلفهما.

* * *

في اللحظة الأخيرة منعت نفسها من قول السبب الحقيقي وراء رغبتها في الموت لآنّا، لأنها أرادت أن تقدما معاً على هذه الخطوة، ولأنها أرادت أن تحمي آنّا من الألم المؤكد الذي كان سيلحق بها حين يخطفها مرض كروتزفيلد جاكوب كما خطف والدتهما. شعرت أنها لن تحتمل هذه المعلومة بعد كل ما سمعته وبالتحديد بعد أن عملت نان جاهدة في الأشهر الأخيرة على إخفاء كل

شيء عن آنّا كما سبق لوالدتهما أن فعلت.

لقد أفشت حقيقة إبين في غفلة، لأنها نسيت لبرهة أن والدتها لم ترد لآنّا أن تعرف بها، ولكنها حين خرجت من فمها أصبحت اختباراً بشكل أو بآخر، أرادت أن تثبت مثلاً أن حدس والدتهما كان مخطئاً وأن آنّا لن تضعف بسهولة وتقف في صف إبين بسبب محض حقيقة بيولوجية كهذه. ولكن إيلينا أصابت في هذا حقــاً، فقد تهاوى تصميم آنّا في تلك اللحظــة تماماً، علينا الجلوس والتحدث إليه ولكنها قبل ساعات كانت تتجه نحوه ومعها مسدس، وكأن اجتماع الحقيقة البسيطة مع حقيقة مرض والدتهما غفر له كل أخطائه.

صرخت في وجه آنّا: «هو أم نحن؟». كانت هذه محاولة يائسة للتأكيد على عدم وجود سوى هذين الخيارين «هو أم نحن؟ قرري يا آنّا».

ســمعت إبين يصرخ لدان: «هل تســمع هذا؟ أحتاج إلى شخص ليبدد هذا الجنون، هل ستقنعهما بأنني لست الفاعل وبأنها كانت مريضة! وبأن الرسالة في التمثال النصفي... ستثبت تماماً أنها كانت...».

قالت آنّا ســاخطة: «لم تكن إلا واحدة منا تعرف بالأمر»، قالت آنّا لنفســها إنها بدت ناقمة، ليس على المرض بل على حقيقة أن نان أخفته عنها. تساءلت ما الذي كانت إيلينا ستفعله إذا عرفت أن أصغر ابنتيها على وشك الإصابة بالمرض ذاته؟ هل كانت ســتقدم على الأمر أو ربما كانت ســتحاول أخذ نان معها أيضاً، تخيّلت والدتها وهي تقول لها: دعينا نحرر أختك من كل هذا، ثم تمسك بيدها وترشدها إلى نافذة الحمام.

لكن، وبغض النظر عن الطريقة التي سارت وفقها الأمور، فقد رحلت إيلينا ومعها الحياة التي عشــنها وأحببنها، ولم تبدأ آنّا بالابتعاد عن تلك الحياة فوق هذا الســطح، بل اقتربت من دان شــيئاً فشيئاً الذي مدّ يده لها وانتظرها لتمسك بها، انتظرها ليسحبها إلى حياة جديدة كلياً.

لــم تعتــزم نان الســماح لهما بأن يرتبطا معاً وهما علــى حافة الهاوية، لم

يكن هذا خياراً مطروحاً، لم تتسنّ لأحد فرصة باحتلال المسافة بينهما على مر حياتهما، وبالطبع لن تسمح بهذا الآن.

صرخت حين فارقتها يد شقيقتها: «لا تبتعدي عني يا آنّا وإلا سأقفز، أقسم إنني سأقفز»، توقفت آنّا، قالت نان لنفسها: على الرغم من نفور آنّا التام إلا أنها لن تتعذب كثيراً في سحبها من دان وإبعادها عن هذا السطح والنزول إلى مكان يمكثان فيه سوياً إلى الأبد.

لقد فقد إبين صوابه وقال: «قفا، لم لا يفعل أحد شيئاً لتسوية الوضع؟ لمَ لم يأتوا لإنقاذي؟ ألا يستطيعون رؤية أنني الضحية هنا؟».

ذكّره دان: «سبق لي أن أخبرتك أن حملك للمسدس لن يسمح لأفراد الميليشيا بالتقدم ما لم تُطلق النار، إذا أردت أن تُنقذ فتخلص منه».

قالت شقيقتها: «أخفضي مسدسك يا نان وعندها سيخفض إبين مسدسه».

توسلت إلى شقيقتها قائلة: «وماذا عنك؟ ماذا ستفعلين؟ ألن تأتي معي؟».

تشوشت رؤية نان مجدّداً وشرد ذهنها، أين هما؟ لماذا تقفان على السطح؟ مرت ثلاث ثوانٍ محيرة ثم أدركت محيطها فجأة، كم بقي لديها من الوقت قبل أن تتحول الثواني الثلاث إلى دقائق ثلاث ثم أيام ثلاثة؟ إن افتراقها عن شقيقتها وعن الحياة التي عرفتها تربص بها ولم توجد طريقة لمنعه، تساءلت إن انتابت إيلينا الأعراض ذاتها، أي تشوش عقلها وهي تترنح، هل حدث هذا خلال سقوطها؟ هذا الغياب عن العالم والحيرة المفاجئة حول سبب تحليقها وما الذي جعلها تسقط بحق الله؟

توسلت إليها شقيقتها مجدّداً: «أخفضي السلاح يا نان من فضلك وابتعدي عن الحافة، لم تكن إيلينا تريد هذا».

شرد ذهنها مجدّداً، ألم يكن هذا ما أرادته؟ ربما لم ترغب إيلينا بأن تموتا أيضاً، ولكنها استذكرت أنها أرادت شيئاً مصيرياً وكبيراً، أرادت أن تموت الحقيقة بموتها.

قالت: «كيف سأدعه يعيش الآن؟ فسيقول للناس إنه والدنا، أرادت إيلينا ألا يعرف أحد هذه المعلومة».

.بحث إبين عن شيء في جيبي سرواله وأخرج ورقة عرضها عليهما.

«هل تعتقدين أنني أريد أن يعرف الناس بهذا بعد كل شيء؟ بالطبع ستسعدين بإتلاف كتب كبيرة في هذه المكتبة ومسيرات مهنية كاملة أما هذا المستند المروع فلا، هذا يجب أن يخلّد، ولكن ليس بعد الآن أتسمعينني؟ انظري، نستطيع إتلافه الآن، خذيه».

قال دان: «لا أنصحك بالتلويح بهذا المستند يا إبين، فهذا يعد تهريباً، لا يزال بوسعهم إطلاق النار عليك إذا اعتقدوا أنك أخذت شيئاً يخص المكتبة».

تقدّم دان قليلاً، لينتشل الورقة منه، ولكن بفعلته هذه أوشك أن يفقد توازنه عند الحافة، فاندفعت آنّا لتسحبه إلى الخلف، وتمكنت من فعل هذا في الوقت المناسب، طارت الورقة من يده، وأمام أعينهم وبدأت برحلتها البطيئة والمتموجة باتجاه الحشد المتلهف، بدا الناس في الأسفل مسحورين بها، بهذا الشيء الذي ما عادوا يستطيعون رؤيته منذ فترة، بمجرد ورقة بسيطة تُحلّق كطير نادر في الهواء، ولبرهة بدا أن أفراد الميليشيا فقدوا هم أيضاً تركيزهم. راقبت نان بعجز قصة حياتهما وأصلهما وهي تضيع من بين يديها وعلى وشك أن تحط بين يدي الآخرين كي تتحول قصتهما إلى موضوع للثرثرة الفارغة التي ستتناقلها الألسن وتحوّر مرات ومرات، هذا الشيء الذي ضحت إيلينا بنفسها من أجله، الشيء الذي حاربت كي تبقيه طي الكتمان وفي الوقت ذاته السر الذي سلمته إيلينا بإرادتها في حالة ضعف إلى المكتبة مع كل ممتلكاتها الشخصية وانتظر هناك كي يُكتشف يوماً ما. في آخر لحظة قبل أن تصل الورقة المفتوحة إلى أيدي الحشد المتلهف، ظهر نورس من مكان ما وأمسك بها وطار من دون أن يفكر مرتين.

قالت نان وهي تراقب تحول معالم إبين من الذعر إلى الارتياح: «ربما نحن على هذا الحال بسببك، هل فكرت بهذا؟ بأننا ورثنا هذا»، لوّحت بالمسدس في

الهواء وأكملت: «منك وليس منها، أي الرغبة بمعاقبة الناس، أليست هذه نقطة ضعفك التي انقلبت عليك؟».

لا يــزال إبيــن يحدق إلى النــورس الذي طار باتجاههــم وكأنه ظن أنهم سيقدمون له بعض الطعام، حلّق حولهم في الهواء وغصّ بالقربان المشبع بالبول الأمر الذي سبب وقوع الورقة الممزقة من فمه.

صرخ إبين في وجهها: «أرفض تماماً أن أتحمّل مســؤولية أي من هذا بما أنني لم أشارك في تربيتكما! لم تستطع إيلينا القبول بقدرها والموت كما يموت الإنسان الطبيعي أليس كذلك؟ انظرا ما فعلته بكما بعد أن ماتت بتلك الطريقة! وجهتما غضبكما نحوي لأن هذا أسهل من إلقاء اللوم عليها حتى بعد معرفتكما بأنني والدكما. لم يعنِ هذا لكما شـيئاً، أليس كذلك؟ لأن هذا ما أقنعتكما به: إنني لم أكن شــيئاً بالنســبة إليكما، مجرد حقيقة علمية، عليكما معرفة أن هذه القصة الوحيدة التي خلقتماها لاستيعاب ما حل بكما...».

مع أن نان لم تستطع الاعتراف بأنه محق، ولكنها أدركت الأمر بطريقة أو بأخرى، كل المشاكل التي عانتها أمّها في حياتها، وكل ما أخفته عنهما. لطالما كانــت حياة إيلينا ملكها بشــكل أو بآخر، وعلى الرغــم من أنها قررت إنجاب طفــل إلا أنهــا لم تتوقع أن تحظى بطفلتين، كل ما جرى في حياتها كان مكتوباً كحبكة قصة، لقد اتخذت جميع القرارات بنفســها إلى أن رمتها الحياة بمفاجأة على شكل طفلة أخرى، نان، الطفلة التي كانت بغنى عنها.

اعتقدت إيلينا أنها عادت لتمسك زمام الأمور في حياتها حين ألقت بنفسها إلى تلك الهاوية، ولكنها فقدت في الواقع السيطرة على سيرورة حياتها بالكامل فهي ستعيد تشكيل نفسها دون وجودها. أدركت نان أنها ستفقد السيطرة بالكامل أيضاً حين يتلف عقلها، وســتعتبر إبين رجلاً غريباً وليس والدها، أي أنه سيعود عديم القيمة بالنســبة إليها، ولكن ربما اســتطاعت آنّا الحصول على فرصة ثانية والتخلص من هذا الحمل.

ربما بعد عواقب هذا الموقف استطاعت شرح ما جرى للسلطات.

استطاعت آنّا الادعاء بأن هذا كله من أفعال شقيقتها، إن شقيقتي هي من أدارت العملية، كما استطاعت التضرع لهم وإثبات أن مسؤوليتها لا تُذكر والتعبير عن ألمها وعجزها بوجود والدها. أدركت نان الأمر بوضوح، ربما لم تخطط إيلينا لكي تسير الأمور على هذا النحو، ولكن والدتها لم تفسح مجالاً لها وحسب بل لإبين ولآنّا أيضاً، ربما استطاعت نان إفساح مجال أوسع لهما كي يبدأا من هذه النقطة وليس لآنّا أن تعرف بمرض نان وعن ثقل حِمل العناية بها الذي كان سيلقى على عاتقها.

قال إبين: «لن أخفض مسدّسي إلى أن تلقي بمسدسها أرضاً».

فكّرت نان في سرها: ليس لدي مشكلة. وتساءلت كم يستطيعان الوقوف هنا دون فعل أي شيء وتعليق الوقت وسلاحاهما يحجبانهما عن العالم.

قال دان وهو يغير محور الحديث: «اسمعني يا إبين، هل تريد أن يعتقلوك مثلاً؟ هل تريد أخذ دور الرجل المجنون الذي ظل يلوّح سلاحه بلا سبب أو أداء دور البطل؟ أنت لم ترتكب عملياً أي جرم، إذا ألقيت هذا السلاح سيكون أكثر شيء مريح تفعله في حياتك...».

رفع إبين المسدس، ولاحظت نان أن يده مخدرة، لقد أُرهق وسئم من كل هذا، ارتطم المسدس بأرضية السطح، رفع إبين يديه بهدوء وثقة وأعلن استسلامه، سمع تصفيقاً بعيداً ونظر ليرى جوقة من الأيادي وهي ترفرف كالأجنحة في الأسفل، استدار إبين ومشى إلى طرف السطح كي تستطيع الميليشيا رؤية أنه استسلم تماماً ولم يعد يشكّل تهديداً، ولكن نان لم تلحق به.

تمتمت آنّا بهدوء وأمل: «حان دورك يا نان، أوشك كل هذا على الانتهاء، هيّا بنا».

كانت آنّا محقة، أوشك كل هذا على الانتهاء.

رفعت نان المسدس وقرّبته ببطء من جبهتها وفي آخر لحظة وحرصاً منها

على نجاح الأمر وضعت الأسطوانة في فمها، صرخت آنّا ولكن نان أغمضت عينيها، وشرعت تضغط الزناد، قالت لنفسها: ستشعر آنّا بالامتنان مع الوقت لانتهاء الأمر على هذا النحو، كانت ستصبح حرة لتتصرف على سجيتها بعد رحيل إيلينا ونان.

صوت رصاصة، وطرحت نان أرضاً إلى جانب إيبن الذي انبطح أرضاً فوراً وغطى رأسه بيديه. تلمست جسدها لترى دماً أو جرحاً، وتوقعت أن ترى رأسها متدلياً على كتفيها ولكنها لم ترَ ذلك، كان ثابتاً في مكانه، ولكن إلى جانبها تمدد نورس ميت وفي منقاره ورقة ممضوغة بالكامل، كما رأت أثر رصاصة في صدره وريشه ملطخاً بالدماء.

وقف دان عند الحافة بمفرده ووجهه شاحب للغاية وهو يمسك بالمسدس الذي انتزعه من فمها فانطلقت رصاصة عن طريق الخطأ، أخفض المسدس ورفع ذراعيه، ولكن نان لاحظت أنه أدرك أن الأوان قد فات، إن الرصاصة هي الإشارة التي انتظرتها الميليشيا بفارغ الصبر طوال هذه الفترة واستحثتهم للبدء بعمليتهم وإعطائهم أمر إطلاق النار، اندفعت آنّا بشكل غريزي نحوه ولم تستطع نان فعل شيء لإيقافها، شعرت نان أنها رأت الأمر برمته وكأنه ضُبط على وضع الحركة البطيئة، رأت الرصاصة التي اتجهت نحوه والتي حاول تجنبها كل حياته على الأرجح وراقبتها وهي تخترقه ثم راقبت رصاصة أخرى تخترق جسد شقيقتها، وهذا ما جعلهما تترنحان باتجاه الحافة وكل منهما تحاول الإمساك بيد الأخرى وتحلقان معاً كالنوارس خارج سطح المبنى.

مكتبة
t.me/soramnqraa

إبين

5:00

استخدموا رافعة لإنزاله، ومع أنه يعاني من فوبيا المرتفعات منذ نعومة أظفاره إلا أنها بالكاد أثرت فيه مقارنة بما عاشه في الساعات القليلة الأخيرة. حاول أن يبتسم للحشد في طريقه إلى الأسفل على اعتبار أن الصحفيين سيحتاجون إلى العديد من الصور والزوايا ليختاروا بينها، وأمل ألا يلحظ أحد شدة توتره وهو يتشبث بالبوابة الحديدية. لاحظ أن الجو أكثر كآبة مما توقعه، وهو ينزل إلى الأرض، فلم يصفق أحد. رأى بعينيه المشوشتين نظرات الدهشة التي اعتلت جميع الموجودين، وشعر بحرارة تأتي من مكان ما أيضاً، وحين استدار رأى سحابة دخان بدت أنها قادمة من الطابق السفلي للمكتبة ورأى أيضاً سيارة إطفاء ركنت أمام المبنى. ما الذي جرى هنا بحق الله؟ هل أضرمت الشقيقتان التوأم النار في المكان أيضاً قبل اللحاق به؟ في الأفق البعيد، رأى فرانكتون المكتنز وهو يحاول شق طريقه بين الحشد للوصول إلى الأمام، خاطب إبين نفسه: لا بد أن نيران الغيرة تشتعل في فرانكتون ولا شك أنها ستحرقه حين يعرف الاكتشاف الرائع الذي علمت به. فكّر إبين في سره بافتخار: سيُخلد اسمي وسيبقى اسمك طي النسيان.

لم يستوعب ما حدث تماماً حين انطلقت تلك الرصاصات، رأى طائراً قتيلاً بجانبه وحين فتح عينيه لم يرَ أيّ جثث، لم يلمح أثراً للتوأم أو البواب ولكنه أبقى عينيه مغمضتين لوقت طويل لدرجة أنه تخيّل أو بالأحرى تمنى أن يكونوا

قد جُردوا من أسلحتهم وذلك للتخلص من الأفراد الذين شكّلوا أكبر خطر أولاً، كما تمنى اكتشــاف أن الشــقيقتين مثلتا أمام التحقيق دورهما فيما جرى. وعلى الرغم من أنه لم يملك ســوى مشــاعر النقمة على كلتيهما إلا أنه شعر بوخز في قلبه حين فكّر فيهما الآن، وكأن هذا الشــعور المزعج يشــبه القلق، ما الذي كان سيحل بهما أي بابنتيه؟

حالما حط على الأرض، اقتاده فرد من الميليشــيا باتجاه ســيارة شــرطة والجمهور يحتشد حوله والأصوات تعلو لجذب انتباهه.

برزت زمجرة مألوفة بين كل هذا الحشد.

«هل تستطيع إخبارنا بما جرى؟»، هذا ما قاله فرانكتون الذي استغل قامته الضخمــة لتفريــق الجمهور «انظروا، إنه صديق لــي... إبين... إبين... ما الذي حدث؟ هل أنت على ما يرام؟».

قال إبين لنفسه: صديق، أقلت صديقاً الآن عندما تطلب الأمر الانخراط في شيء ما والاستحواذ على قصة مهمة، بقي صامتاً، واعتزم على نشر القصة ولكن في الوقت الذي يختاره فهو لم يرد السماح للصحافة أو لفرانكتون بجمع الأخبار المتناثرة ونشرها كقصاصات الورق مما سيضعف أهمية القصة ويجعلها تافهة، قال لنفسه إنه سيعثر على الصحفي المناسب الذي سينشر القصة بحذافيرها، كما قال لنفسه بحماسة مفرطة: لعل ذلك الشخص سيكتب أيضاً قصة حياته كلها.

قالت محقّقة ســلّمه إليها الجندي: «أخشــى ألا يُســمح للســيد برايذرك بالإفصاح عن أي شــيء إلى حين الانتهاء من اســتجوابه، دعونا نعبر الآن من فضلكم...». تعرف إلى المحققة لأنها هي من اســتجوبته حول جريمة الكراهية المزعومة التي اتهم بها بصفته مسؤولاً عن انتحار إيلينا. فكّر في سره: لا بد أنها نادمة الآن لأنها عاملته بسوء في المرة الأولى التي قابلته فيها.

قال فرانكتون بصوت عالٍ وكأن لهذا تأثيراً آسراً: «أنا فرانكتون إيملن، زميله وناقد وكاتب، إنه يحتاج دعماً في وقت كهذا، هل أستطيع مرافقته؟».

«أخشى أن هذه الصلة لا تعني شيئاً يا سيد... إيملن، دعوا السيد برايذرك يعبر الآن...»

رأى إبين الدهشة ترتسم على تعابير وجه فرانكتون حين قالت له المحققة؛ لا تعني شيئاً، وكأن تلك الألقاب التي بذل جهداً لنيلها ضاعت في مهب الريح، وأن اسمه لم يعنِ لها شيئاً، فكّر في سره: إن اسم إبين برايذرك سيحفر في جميع العقول.

اصطحبته المحققة إلى السيارة، ودفعت الصحفي الذي حاول الاقتراب منهما، وحالما أُغلق الباب استطاع إبين التقاط أنفاسه أخيراً، فكّر: لقد نجا وعاد حراً وحياً يرزق. استدار فرانكتون حول السيارة وألصق وجهه بزجاج النافذة، فاستغل إبين حقيقة أن فرانكتون لم يعد يستطيع رؤيته من خلال الزجاج المعتم ورفع له إصبعه الوسطى التي حطت قرب وجهه وقضت على شخصية فرانكتون المصطنعة والمثيرة للشفقة.

* * *

لم يدرك أنه مشتبه به إلى أن وصل إلى مركز الشرطة، تبيّن أن المحققة لم تراقبه من المرآة الجانبية لأنها قلقة عليه بل كانت تتفحص وجهه وتبحث عن أي دليل يدينه.

قالت: «بدوت معتداً بنفسك للغاية في السيارة، وكأن كل شيء سار كما خططت له».

اختنق إبين بالقهوة الساخنة وقال بغضب: «كما خططت له؟ ليس لي علاقة بما جرى فأنا الضحية هنا! لقد احتجزت في غرفة لساعات، وهُددت بمسدس، وأجبرت على الصعود على السلم، وأوشكت على السقوط والموت أمام أعينكم، لا علاقة لي بكل هذا، أريد محامياً، هل تسمعينني؟».

أجابته: «سنعيّن لك محامياً في الوقت المناسب، ولكن من الأفضل لك أن تتعاون معنا في هذه المرحلة، إذا صح ما أدليت به فعلينا فهم سبب إمساكك

بالمسدس عندما ظهرت على السطح للمرة الأولى؟».

أوشك إبين على نسيان هذا التفصيل، ما الذي كان يُفكر فيه؟ لم يعد هذا شيئاً يسهل تفسيره؛ أي الغضب الشديد من إيلينا الذي دب في عروقه وذلك لأنها جعلته يشعر بالندم على موتها كل تلك الأشهر، وكل تلك المشاعر الخاطئة التي وجهت إلى الحشد الذي راقب بلهفة. ولكن رغم الأفكار الخاصة التي انتابته حول معاقبة من هم في الأسفل أي المؤسسة التي تجاهلته لمدة طويلة، إلا أنه اعتقد بسذاجة أنهم عرفوا أن السبب الوحيد الذي دفعه لحمل مسدس هو الدفاع عن النفس وأنه لم يعتزم إيذاء أحد على الإطلاق.

قال وهو يحاول أن يحافظ على رباطة جأشه: «افهميني من فضلك، أنا واثق من أنك تقدرين المعمعة التي أُقحمت فيها وكم جعلتني مشوشاً وأعتقد أن هذا ما كان سيشعر به أي شخص في مكاني.. أليس كذلك؟ حاولت الدفاع عن نفسي، بالله عليك، لقد هددتاني بالقتل».

قالت المحققة بكل وضوح: «ولكنك لم تصوّب مسدسك إليهما بل صوّبته نحو الجميع».

«كما قلت لك، كنت مشوّشاً، اعتقدت أن الجميع خططوا للنيل مني...».

«تفيد تقاريرنا أنك حاولت عدة مرات زيارة أرشيف إيلينا أدويغ، هل هذا صحيح؟ ولم تنفك عن طلب هذا رغم رفض طلبك مراراً وتكراراً، أليس كذلك؟».

قال: «لا يدور الأمر حول هذا الجانب، لديّ أمر أكثر أهمية عليّ مناقشتك فيه...»، تحسس قميصه بحثاً عن الكتاب الأخضر الصغير، أين هو؟ أدخل يده في الجيب الداخلي لسترته، ولكنه تذكّر أنه لم يعد يرتدي سترة إذ وضعوا جميع ممتلكاته في كيس بلاستيكي فارغ وألبسوه بذلة قطنية زرقاء.

أجابت المحققة: «أخشى أنك لست من يحدد ما سنناقشه يا سيد برايذرك، أما الآن فمن فضلك علينا أن نأخذ منك تفسيراً واضحاً عما جرى اليوم...».

«لم لا تتحققون من كاميرات المراقبة؟ ألم تسجل كل ما جرى؟ أخشى أن تناقض كاميرات المراقبة تقارير الشهود».

ذهبت المحققة إلى الجانب الآخر من الغرفة، وشغّلت شاشة مدمجة في الجدار، ظهر البواب على الشاشة وهو يسير على السجادة الحمراء باتجاه البابين البنيين المائلين للحمرة، كان التاريخ صحيحاً وأظهر المؤقت في الزاوية اليمنى للشاشة أن الساعة هي التاسعة وتسع وعشرون دقيقة، كان الباب سيُفتح في أي لحظة الآن وسيدخل منه.

قال إبين حين رأى نفسه بوضوح وهو يتقدم: «أنا هنا، بإمكانك رؤيتي...» ولكنه لاحظ أمراً غريباً وهو يقول هذا، لم يكن يرتدي الزي نفسه.

«نعم، هذا أنت، ولكنك لم تقترب من الأرشيف أليس كذلك؟».

نظر إليها إبين بحيرة.

«لم أكن أرتدي هذه الملابس عندما دخلت، لا... لا أفهم...».

«كنت تخبئ زياً آخر في مكان ما، أليس كذلك؟ ما الغاية من هذا؟ هل أردت ارتداء زي يضفي عليك صفة الذكاء وأنت تنفّذ مخططك».

«لا، لا، لم تفهمي ما جرى، إن هذا التسجيل الذي تعرضينه عليّ... لم يحدث اليوم، لقد حدث في يوم آخر...».

قالت بجفاف: «أخشى أنه لا يمكن العبث بهذه المؤشرات الزمنية، وبالفعل إذا لم يتماشَ مع ما قيل لنا فسنتبين الأمر، ومع الأسف توقفت كاميرات المراقبة في الأرشيف عن العمل منذ مدة...».

قال: «اسمعيني... هناك شهود كانوا في المكان وسيخبرونك بما حدث، هناك امرأة اصطحبتني إلى الأرشيف، أما شريط التسجيل هذا... فصوره لا تعرض ما حدث اليوم».

قالت المحققة: «ذكر البعض أن الشقيقتين التوأم طبقتا تهديداً في صالة المطالعة، كما استحوذتا على مسدس أو اثنين، ولكن مع الأسف لم نرَ أي

تســجيل يوثّق هذا، استطعنا تعقب المسدسين ولاحظنا أنهما قادمان من مزارع لديه علاقات مع منظمة في العالم السفلي كما أنه عضو في ما يسمى سماذرهود، .هل جلبت مسدسك من هناك؟».

دُهش إبين، استذكر أنه قابل مزارعاً وشاعراً في إحدى أمسيات فرانكتون، وكان رجلاً يشــعر بسخط شديد تجاه زوجته لدرجة أنه أراد قتلها. وجد مزحته تلك ظريفة وضحك له.

«لا، لا، لا، إن المسدسين يخصان الشقيقتين، هل تفهمين هذا؟».

«يبدو أن إحدى الشقيقتين غادرت صالة المطالعة ونقلت السلاح لك، هذا مجرد استنتاج توصلنا إليه، ويبدو أنكم أنتم الثلاثة خططتم للأمر برمته».

«ماذا؟ لا، لا، أنت مخطئة حيال كل هذا، لا علاقة لي بكل ما جرى، نزلتْ إلى الأرشيف وهددتني بالقتل، تستطيعين سؤال البواب فقد كان معها».

«إذا كنت تقصد دان ماثيوز فأخشى أنه مات».

استغرقه الأمر برهة ليستوعب هذا الخبر، لقد أصيب شخص بتلك الطلقات التي وُجهت إلى السطح.

«نعم، ولكن رغم هذا أنا واثق من أن المحتجزين سيخبرونك بأن الشقيقتين بدأتا كل هذه المعمعة، ليس عليك سوى سؤالهما».

«لا نميل للاعتماد على كلام الشهود في هذه الأيام، تبين لنا العلوم العصبية أن الصدمة تؤثر في الذاكرة وتجعلها عرضة للخطأ».

«عرضة للخطأ؟». شــعر بالغثيان الشديد وواجه صعوبة في التقاط أنفاسه، سكنته إحدى أقوال المعالجة النفسية: أنا أستسلم للكون، أرادت أن تهدئه بهذا القول، ولكنها لم تحدد أي كون عليه الاستسلام له، ما نوع الكون المروع الذي يجب عليه عدم مقاومته؟

«هناك هامش لحدوث تغييرات أو غياب بعض المعلومات، بالإضافة لتبديل بعض الحقائق، فعلى سبيل المثال يمكن للدماغ الواقع تحت تأثير الصدمة وضع

شخص مختلف في ذاكرة ما مكان شخص آخر، ربما وجهت أنت المسدس أو إحدى الشقيقتين في صالة المطالعة كما رأينا على السطح إلا أن الدماغ الواقع تحت تأثير الصدمة يمكن أن يمسـحك من الصورة لأن الشـقيقتين متطابقتان وتبدوان أقل تهديداً على الأرجح وبالتالي...».

«أقل تهديداً مني؟ أنا لم أفعل شـيئاً؟ لا أصدق أنك...». فجأة توقف إبين عن الكلام، وجب عليه التفكير ملياً الآن وحساب كل كلمة، هل قالت فعلاً إن أقوال الشهود لا يمكن الاعتماد عليها؟

قال إبين بغضب: «لا أفهم إلى أين ستصلين بهذا، إذا قال الناس إنهم رأوا الشقيقتين تدخلان ومعهما مسدسان، لم لا تصدقونهم؟».

أخذت رشـفة من الإسبريسو بتلذذ من كوب صغير، ونظرت باستهزاء إلى السائل الداكن الذي وجب عليه تحمل شربه من كوبه الورقي.

«لأن الذاكرة هي محض ذاكرة، والتجارب حمّالة أوجه، ولا يمكن إثبات الدليل المادي في ظل غياب التسـجيل الفعلي، وهذا ما نحتاج إليه للتوثيق في هذه الأيام. وبسـبب التخلي عن هيئة المحلّفين علينا عرض دلائل قاطعة أمام القاضي، بالإضافة إلى أقوال الشهود بالطبع، ولكن إلى جانب تسجيل الكاميرا الذي يؤكدها، وبهذا يصبح لدينا نسختان تكمل إحداهما الأخرى».

قـال إبيـن: «ولكن بوسـعي إخبارك عما جـرى تماماً، لـديّ خبرة بهذه المجريات إذ كنت أعمل على سيرة ذاتية، أدرك أنه ليس من السهل استخلاص الحقيقة من شخص ولكن هناك دلائل كافية لـ...».

ضحكت بسـخرية وقالت: «آه، بخصوص تلك السيرة الذاتية، ألم تخضع للتحقيق في جريمة بدافع الكراهية ضد بطلة سيرتك؟».

«كان ذلك سوء فهم».

«حقاً هذا؟ أتذكر أن بعض مراجعاتك قُرئت في هيئة الاستجواب الخاصة بها؟».

«نعم، ولكن انظري إليّ، ليس لهذا الموضوع علاقة بما جرى اليوم لأن...».

«أقول إن اتهامك بالقتل له علاقة وطيدة بقضيتنا الآن، أليس كذلك؟».

«ذلك كان حكماً على رواية فحسب بالله عليك! لقد وقع قليل من -ولكن بعد التفكير ملياً الآن لم يكن لدي ذلك- انظري، عليك الإصغاء إليّ. هناك أمور تحصل في المكتبة لا يعرف عنها الناس شيئاً... هناك كتب نادرة تُتلف في القبو ونحن نتكلم، عليك فعل شيء ما»

رفعت المحققة حاجبها وقالت: «كتب نادرة؟ لم يعد هناك كتب نادرة على الإطلاق يا سيد برايذرك، لقد دمّرت المجموعة الأثرية في ذلك الحريق وهذا ما ألهم المكتبة على استكمال مجموعتها الرقمية الواسعة في المقام الأول، لم يستطيعوا شمل أرشيف السيدة أوديغ مع الأسف وأخشى أنه ضاع الآن...».

«ماذا؟» لم يستطع إيبن استيعاب هذا، لقد كان الأرشيف سليماً في آخر مرة رآه فيها ومغلفاً بالبلاستيك، ربما غطي بالغبار ولكنه لم يتغير، قال لنفسه: سحابة من الدخان، هل كانت أفكار إيلينا الخاصة من أشعلت فتيل النيران؟

أكملت المحققة: «نشب حريق... في الأرشيف، لا بد أنك عرفت به...».

قاطعها بسرعة حين فهم مجرى حديثها: «ليس لي علاقة به».

قالت: «نعرف هذا تماماً، لقد ترك البواب الأرعن سيجارة تحترق على نص قبل اللحاق بك، وهذه حال أخرى تبيّن الخطأ الإنساني كما حدث لتلك الكتب الأثرية، وبصراحة أعتقد أن المكتبة عليها إعادة تقييم طرق توظيفهم -هل تعرف أن البواب وُظف بعد خروجه من السجن فلا شك من أنه كان سيخطئ بشكل ما».

لقد استغرقه الأمر قليلاً ليفهم، حريق آخر، اندثرت مجموعة أخرى من المستندات المهمة، وكبش فداء مستعد عُد ميتاً، اعتقد أن تلك الرسالة في التمثال النصفي التي ذكرتها نان -قد اختفت أيضاً بفعل ألسنة النار التي هدفت إلى محو آخر دليل يمكن أن يبرئه.

همس إبين وهو يحاول التقاط أنفاسه بعد اكتشافه الأمر: «لقد أضرمتا النار في المكتبة وبنفسيهما! هذا ما فعلتاه سابقاً أيضاً! لطالما فسرتا الخسارات بهذه الطريقة، ولكن لم يُحرق شيء! لا بد أن لب الكتب قد استخرج وأعيد صنعها، ولا بد أن اللوح المفقود في الأرشـيف كان سيكشف كل خططهما لذا اضطرتا لإخفاء فعلتهما، وحين أقدمتا على فعل هذا -خطرت لهما فكرة محو كل أشياء إيلينا أيضاً، أعني أنها المحترفة في تجميع الكتب، لا شك أن هناك كمية كافية لشحنها إلى البلد المجاور. لا أستطيع تخيل المبالغ الطائلة التي تجنينها من بيع كل تلك الأوراق، ويا للصدفة! لقد مات البواب لذا لم يعد يستطيع شرح جانبه من القصة! إن هذا سهل للغاية عليهما...».

«هل انتهيت الآن يا سيد برايذرك؟».

«كلا، لم أنتهِ بالطبع! اسـمعيني. في حال لا يزال أفراد الشـرطة يمسحون المكان لا بد انهم سيعثرون على...».

«على ماذا يا سيد برايذرك؟».

«المكان الذي تموت فيه كل الكتب، المكان الذي تقتل فيه بأيدي قومنا».

قالت المحققة وهي تحبس ضحكتها: «تُقتل فيه الكتب؟ جميع الكتب أو بعض منها؟».

أكمـل إبين قائلاً: «الكتب التي ألفها الرجال بالمقام الأول، مع أنني أعتقد أن لإيلينا حصة كبيرة في هذه المعمعة»، تنامى شعور اعتزاز غامر فيه لم يستطع كبحه، لقد دمّرت أعمال إيلينا وبالتالي ما عادت تتفوق عليه يوماً.

قهقهت المحققة وهي تجلس على كرسيها.

«حسناً، أنا أصغي إليك يا سيد برايذرك فلدينا الكثير من الوقت، أكمل إذاً وأخبرني عن عملية إخفاء الآثار عن طريق الحريق، وعن مذبحة الكتب، ومقتل النصوص».

«لن أحتاج إلى هذا لأنك ستعثرين على دليل في أقرب وقت، ولن تضحكي

حينها وستتذكرين كلامي، بالإضافة إلى أنني أملك دليلي الخاص أو كنت أمتلكه بالأحرى... وهو ديوان شعر، شعر إبين الشاعر... كان في سترتي... إذا استطعت التحقّق...».

رفعت المحققة حاجبها مجدّداً وقالت: «إبين الشاعر؟ من هذا؟ هل هو الأنا الخاص بك؟».

أجاب إبين وهو يتحسس سترته غير الموجودة وكتابه غير المرئي: «لا، إنه أحد ضحاياهما من الشعراء».

قالت: «فإذاً هما لا تقتلان الكتب وحسب بل الناس أيضاً».

قال إبين: «لا، أقصد القتل بشكل مجازي، لقد مرّ على موته أكثر من قرن! ولكنهما تقتلان ذكراه، هناك أكثر من طريقة لقتل شخص ما، أليس كذلك؟».

«أنت تفهم وجهة نظري تجاه الكلام المنقول، إنه محير للغاية، أليس كذلك؟».

نظر إبين إلى الأعلى: «أين أغراضي وممتلكاتي؟».

«إن قصدت الأشياء في سترتك فهي في أمان، فلا تقلق، إنها تخضع للتحليل والفحص الآن للحصول على أدلة».

«حالما تنتهون من تحليلها أريد أن أطلب منك أن تحضري لي من فضلك الكتاب الأخضر الصغير الذي ذكرته».

أجابته: «أنا لا أتلقى أوامر منك يا سيد برايذرك، ولديّ قائمة بممتلكاتك هنا: قميص، وسروال قيل لي إنه قذر للغاية»، توقفت ثم نظرت إليه بتهكم وتابعت: «سترة ونظارة ومناديل وبعض ظروف الأدوية وقطرة أنف...» مسحت أنفها وأنهت كلامها قائلة: «ولا شيء آخر، أُثبت أن جميع هذه الأشياء عليها أدلة حيوية».

ارتعش إبين حين تخيلهم وهم يفحصون لطخة بوله ويكبرونها على عيون الملأ، ولكن على أي دليل كانوا سيحصلون باستثناء حقيقة أن مثانته ضعيفة؟

اعتقد أنه لمس آنّا بالتأكيد في الأرشيف حين قرّبت ذلك المسدس منه، تساءل إن كان حمضه النووي عليها، لا شك في أن بصماته غطت المسدس وممتلكات إيلينا أيضاً مع أنه كان يضع قفازاً إذ تناثرت قشرة شعره وأمراضه الجلدية على الأرض كقصاصات الورق، ما نوع القصة المروعة التي خلفها وزاءه دون علمه؟ لا شك في أن مجموعة إبين الشاعر هي الحل في تبرئته، أليس كذلك؟

«هناك كتاب، كتاب أخضر صغير».

«لا أظن ذلك».

«لا بد أنه وقع من جيبي، ربما ستجدونه في سيارة الشرطة أو موقف السيارات، عليك...».

«أعتقد أنني تساهلت معك بما فيه الكفاية سيد برايذرك، علينا أن نكمل النقاش في الجريمة التي ارتكبتها اليوم ألا تعتقد هذا؟ أخشى أن تكون محاولتك في إلقاء اللوم على طرف آخر مكشوفة جداً، أي تصويرك لطاقم المكتبة على أنهم نصابون ويُحرقون ما أمامهم عمداً».

فجأة ظهر إشعار على شاشة المحققة، وحين رآها تنحني لتقرأ قفز من حماسته، ونسي أن هناك سجلات تدعم قصته وأن أحداً ما سجل إتلاف وإحياء الكتب من جديد.

قال فجأة: «جانب الإتلاف، إنه في سجلاتها على نظام المكتبة...».

«اجلس من فضلك يا سيد برايذرك».

«لقد أطلقتا مصطلح جانب الإتلاف على عملية محو الكتاب المذكور من التاريخ! وتلك الملفات مشفرة ولا يستطيع أحد الولوج إليها دون كلمة سر، ولكنني واثق بالطبع من قدرة الشرطة على...».

«إذا كانت تلك الملفات مشفرة فكيف استطعت الولوج إليها؟».

قال وهو يشعر بغبائه لاندفاعه غير المدروس: «على وجه الصدفة في الواقع، لقد كنت أبحث عن شيء آخر...».

قالت المحققة: «إن الولوج إلى معلومات مخصصة وملفات مشفرة وما شابه جريمة يمكن أن تؤدي إلى محاكمة منفصلة»، لمعت الشاشة أمامها مجدّداً ببريق يعمي الأبصار: «أعتذر منك ولكن هناك معلومات جديدة وردتنا الآن».

شعر إبين مجدّداً أنه منعزل وغير مهم وأنه عرضة للتجاهل وكأنه ليس في الغرفة أساساً، فكّر في سره: بسبب هذا النوع من التجاهل لوّح بذلك المسدس في الأرجاء، تمنى لو أمسك به الآن ليأمرهم بالانتباه إليه ولكنه اكتشف الآن أن الأمور لن تصب في صالح من يلوح بمسدس مهدداً، وعلى الأخص من أدى مشهداً على سطح إحدى مؤسسات الدولة.

دخلت شرطيتان إلى الغرفة والمحققة تكتب على هاتفها، لم ير إبين شرطياً ذكراً منذ وصوله إلى هنا، تساءل إن كان هذا متعمداً أو لعل إحدى نظريات فرانكتون أثبتت صحتها ألا وهي: إنهم يسحبون الرجال من قطاع الشرطة شيئاً فشيئاً.

قالت المحققة للشرطيتين: «هل بوسعكما إعلام الصحافة؟ فعلى أحد ما التصريح عن هذا الخبر».

أومأتا برأسيهما وغادرتا الغرفة وتركتا إبين مع المحققة مجدّداً، خطر له أنها خسرت المعركة التي شنتها ضده حين رأى تغيراً في مزاجها، لعل بعض الحقائق قد تجلت مما يعني أن ما حاولت إثباته هنا قد ولّى.

قال آملاً وهو يقف على قدميه: «هل أستطيع الذهاب الآن؟».

أجابته وهي تنقض عليه لدرجة أنه لم يملك خياراً سوى الجلوس مجدّداً: «بالطبع لا، لقد وردنا الآن أن فرداً آخر قد مات متأثراً بجروحه، لقد ماتت إحدى الشقيقتين».

«ماذا؟»، استغرق إبين وقتاً لاستيعاب ما سمع، نقل نفسه إلى اللحظة التي تمدد فيها على السطح وأغمض عينيه أثناء اندلاع الفوضى حوله، لقد أخذتهما الشرطة بحلول ذلك الوقت، أليس كذلك؟ هل صحيح أنها ماتت أم أنها محض

حيلة من المحققة لترى ردّ فعله.

سـألها: «أي واحدة منهما هي التي ماتت؟»، فكّر في الشـقيقة التي لانت مشاعرها حين عرفت أنه والدها على عكس شقيقتها التي تمنت موته.

أجابته: «لا أعتقد أنهم قد... حددوا ذلك بعد...» على الرغم من أنها بدت وكأنها عرفت الحقيقة ولكنها لم ترد إخباره لسبب ما.

همس لنفسـه وهو يحاول تحديد مشـاعره تجاه الأمر برمته: «إنها... لقد كانت... ابنتي»، صُعق بهذه الحقيقة بعد رحيلها، ابنته، ماتت من دون أن تتسنى له فرصة أن يكون والدها.

قالت المحققة بنبرة تشكيك: «ابنتك؟ هل التوأم منك؟».

أجاب: «إنها مني على الورق» وفكّر في الرسالة التي ابتلعها ذلك النورس، حز في نفسه الانتقال من صيغة المضارع إلى الماضي، لطالما كانتا أمامه سواء فـي البلـدة أو حين مرتا به في الشـارع أو حدقتا إليه في المناسـبات، أما الآن فرحلـت إحداهمـا وقد ضاع الوقت وضاع معه التاريخ الذي كان سـيحظى به والشخص الذي كان سيؤول إليه.

أكملـت المحققة وهي تحدق إليـه: «أنت حزين وأفهم هذا، وإذا صحّ ما تقوله فسيؤثر فيك كثيراً...»

فكّر إبين، هل هو حزين؟ لم يكن واثقاً من مشـاعره، منذ سـاعات كان سـيفرح لمقتل إحداهما أمامه ومنذ يوم لم يكن هذا الخبر سـيمثل سوى حقيقة مرة يشعر بها أثناء تناول فطوره وحسب، أما الآن فمثلت شيئاً نافعاً، شيئاً بوسعه إنقاذه من هذا المأزق.

«أنا المتبرع بالسائل المنوي الذي استخدمته إيلينا، لم أعتزم إخبار أحد بهذا ولكن... أعتقد أن من المهم إعلام أحد أن هذا الخبر فاجعة بالنسبة إليّ، لديّ وثيقة تثبت هذا وأخذتها من الأرشيف ولكنها ضاعت الآن...»

«انتظر لحظة، هل اعترفت لتوك أنك سرقت وثيقة أخرى من الأرشيف؟».

قال: «إنها وثيقة واحدة ليس إلا وأخذها مني نورس... نورس».

قالت: «يا لهذا الحظ! فإذاً أخذت وثيقة ليست لك وهي وثيقة تاريخية مهمة ثم تخلصت منها وكأنها قمامة»، توقفت لبرهة وهي تحلل الأمور «ستساعدنا المعلومة الجديدة التي تفيد بأنك والد التوأم في فهم الأمور أليس كذلك؟».

نظر إليها إبين وكله أمل بهذا: «أحقاً هذا؟».

أكملت كلامها قائلة: «ولكننا خسرنا الشهود الأكثر أهمية في هذه القضية مع الأسف، الحارس والتوأم الذين في أيديهم الأجوبة لكل هذه الأسئلة».

«أجل، ولكن ماذا عن الشقيقة الأخرى؟ ألا تستطيع الإجابة عن أسئلتك؟ ومع احترامي الشديد أعتقد أنه كان عليك استجوابها قبلي».

قالت المحققة: «على فريقنا النفسي التعامل معها أولاً، والآن يا إبين، أعتقد أنك لم تسعد كثيراً حين عرفت أنك والدهما، هل هذا هو دافعك؟ هل ابتززتهما بهذا الاكتشاف الجديد أي بأنك والدهما لإرغامهما على القيام بأمور لك...».

عارضها قائلاً: «هذا ليس صحيحاً... لم أرغمهما على أي شيء... هما...».

«لم تريدا لأحد أن يعرف بهذا أليس كذلك؟ وبهذه الطريقة استطعت إقناعهما بإدخالك إلى الأرشيف، أمنت لهما المسدسين من صديقك المزارع، تملكتك فكرة أن المؤسسة نبذتك واعتبرتك مسؤولاً عن وفاة إيلينا، واعتقدت أن تظاهر الشقيقتان باحتجازك سيشعر الناس بالأسى عليك وستُبرأ بطريقة أو بأخرى، لقد جعلت من الفتاتين البريئتين المفجوعتين فريستين وأرغمتهما على فعل شيء مفجع أكثر...».

لم يستطع إبين تصديق كلامها، فكّر في الصورة التي لن تُمحى بعد الآن، صورته وهو يقف على السطح ويلوّح بالمسدس كالمجنون ويثبت للجميع أنه مسؤول عن كل ما حصل في المكتبة اليوم.

سألت: «تعتقد أنك بهذا تستطيع التملص من الأمر، أليس كذلك؟ أقصد فكرة أن الحصار كان فعلاً سياسياً، أرى أن ادعاءك محض هراء، أرسلنا شخصاً

لتفتيش المبنى بعناية حالما أخرجناك منه، لقد فتش كل الأماكن التي تنقلت فيها أنت والبواب والتوأم -صالة المطالعة، والممرات، والأنفاق، والقبو، والمستودع السفلي، مسحنا عنها الحمض النووي لنرى ما إن كان هنالك أثر للدم أو أي فعل باطل، وأخشى يا سيد برايذرك أنه لا أساس لادعائك بوجود مكان مخصص لإعادة تدوير الكتب. إن الأمور هي محض خيال رسمته أنت، أو إلهاء يصرف النظر عن حقيقة ما جرى. ربما كان من الأسهل تبرير هجومك على المكتبة إذا اعتقدت أنهما مذنبتان في شيء ما، ولكن بعد التفكير في الأمر ملياً أعتقد أن ذلك الحصار قاسٍ ومحسوب ونجم عنه عدة إصابات وموت شخصين، وهذا يعني أنه من الممكن تفسيره على أنه مؤامرة هدفها القتل...».

«هناك مؤامرة للقتل فعلاً ولا أحد ينكر هذا!» لاحظ أنه يصرخ، ولكنه لم يكترث، بدا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لإيصال فكرته.

قالت: «أنت تعترف بفعلتك أليس كذلك؟». طرحت عليه هذا السؤال ببرودة أعصاب شديدة، وكأن الأمر لا يعني لها أكثر من فنجان الإسبريسو الذي شربته.

«كلا! ما حدث هو مؤامرة لقتلي أنا».

«أخشى أنه لا يوجد دليل يثبت هذا يا سيد برايذرك».

شعر إبين بشيء يطبق على صدره، كيف اختفت كل الأدلة التي تثبت ما مر به على الرغم من أنها نخرت في عظمه وجرت في عروقه؟ كيف اختفت كل تلك الكتب التي رآها بأم عينيه، الكتب التي شعر أنها واهية حين أمسك بها؟

همس قائلاً: «انظري، أعرف تماماً ما مررت به وأعرف ما رأيته، أنا أملك حقيقتي».

فكّر يائساً: أنا حر ولديّ قدرة على خلق الحياة التي أرغب فيها، ولكنه شعر بالفعل بأنه لن يختبر الحرية والقوة في حياته مجدّداً.

قالت المحققة بعدم اهتمام وهي تتثاءب بتململ: «نعم، كلنا نملك حقائقنا فالعقل لا يجعلنا نرى الأمور كما هي بل بالشكل الذي يناسبنا، وخصوصاً حين

نحـــاول التملص من أمور أخرى، لا شـــك في أن أفعالك جعلتك مرتبكاً اليوم ومـــن الممكن أن يكون التركيز على تلـــك الكتب وإلقاء اللوم على طرف آخر طريقة للتعامل مع كل ما جرى... هل فكرت في أن ما تراه في تلك الكتب هو انعكاس لأفعالك الخاطئة؟».

فكّر إبين في الأشـــهر الأخيرة العصيبة والمزعجة التي مرّ بها. لا شـــك في أن كل ما جرى من نوبات ذعره وتعييره من قبل الناس وإرغامه على فعل شيء لإثبات ذاته سيُســـتخدم في القضية ضـــده. لم يعتزم إنكار أنه مرّ بوقت عصيب للغاية، ولكنه شـــعر بالســـعادة بل بالحماسة اليوم وللمرة الأولى منذ أشهر، لقد صمم على هدف واستطاع ضبط توتره بشكل مبهر مقارنة بكل ما حل به.

لكن بعد التفكير في الأمر ملياً سأل نفسه: أليس صحيحاً أنه بعد كل ابتسامة تحل مصيبة وأن الناس يبدون ســـعداء قبـــل انتحارهم بيوم أو يتصرفون بهدوء قاتل قبل قتلهم لشخص ما؟ هل كان في الحقيقة ومن دون أن يشعر يتجه نحو كارثة من اللحظة التي اســـتيقظ فيها صباحاً وارتدى ملابس لم يعتد أن يرتديها وهو على وشك التصرف على نحو خطأ؟ هل كان هو من هدد آنّا حين دخلت لا العكس؟ هل يُحتمل أن يكون قد اشـــترى مسدســـاً من دون أن يعرف وقال شـــيئاً غبياً لذلك الشـــاعر-المزارع تحول إلى واقع مرعب؟ بالكاد تذكر ما فعله في الأيام القليلة الأخيرة، وفي الواقع لم يخطر شيء في باله، وكأن كل أحداث الأسبوع مُسحت من عقله. كيف عساه أن يثبت تحركاته؟ لقد عاش بمفرده مع قطة لا تستطيع إثبات شيء. هل سيذكرون في القاعة حقيقة أنه لا يستطيع تذكر الأشياء التي فعلها وأنه لا يملك أي حجة غياب عن أي شيء؟

تنفـــس بعمـــق. كلا، ليس هذا صحيحاً، فهو رأى تلك الكتب بأم عينيه، لم يتخيلهـــا ولـــم تتراءَ له، لقد رآها فعلاً وهي موجودة حقاً، أو أنها كانت موجودة في اللحظات التي ســـبقت إتلافها، ولا يســـتبعد أنها لا تزال هناك، فكيف لها أن تُنقل ببساطة أمام ذلك الحشد الكبير دون أن يُكشف أمرها؟

ثم تذكّر سـيارات الإسـعاف الكثيرة والعديدة وهي تتحرك مبتعدة واحدة تلـو الأخـرى تحت وهج أزرق، لا بد أنها نقلت أموراً أكثر من جثة دان ماثيوز وابنة إبين التي كانت تحتضر.

فكّر في سره: لست مسؤولاً عن مقتل دان ماثيوز، حاول تكرار هذه العبارة في عقله، ولكن عن ابنته هذه المرة وبشكل أو بآخر لم يستطع فعل هذا وخاصة لأنه لم يعرف من منهما قد ماتت. وبصفته الوالد ألم يتوجب عليه اعتبار نفسـه مسـؤولاً في جميع الأحوال؟ هل تخلل كلام نان شـيئاً من الصحة على ذلك السـطح، بخصـوص أنهما مالتا لارتكاب بعض الأفعـال بفعل جينات أو طبع موروث نُقل إليهما من مورثاته الفاسدة؟

أطبـق الصمـت حول إبين وكان بحجم مكتبة بأكملها، وأدرك أن هذا آخر صمـت حقيقـي يمكن أن يختبره في حياته. لم يقـوَ على التنفس لأنه عرف ما ينتظره، رأى مصيره في عينيها الباردتين: حقيقة أن حكومة الدولة هي من أدارت كل شـيء من المكتبة والشرطة إلى قطاع التراث، لقد استحوذت على الحقائق المناسبة لكل لحظة، ولن يتمكن من سرد قصته أبداً.

همس لنفسه مجدّداً: «لست مسؤولاً عن وفاة إيلينا أوديغ». وهو على دراية تامة بأن مسؤولية وفاة إيلينا أوديغ وكل الأمور المروعة التي نتجت عنها ستقع على عاتقه.

نان

بعد مرور أربع وعشرين ساعة

إن آخر مرة دخلت فيها إلى المشـــرحة كانت مع شـــقيقتها، لقد كان مجرد إجراء روتيني حيث قطعت الشك باليقين حينها وعرفت أن والدتها هي من تتمدد على النقالة الباردة، والآن أيضاً، أدركت أن شقيقتها هي من تتمدد أمامها، ولكن وجب على الأمور الســـير وفق النظام ويجب أن تُملأ الاســـتمارات، والأهم من ذلك وجب على الشـــرطة القيام بكل الإجراءات اللازمة. تظاهرت الشـــرطيات بأنهن يفســـحن لها مجالاً لتوديع شـــقيقتها، قالت لها شرطية وهي ترشدها إلى الباب: «يساعد هذا الإجراء على التأقلم مع الأمر».

شعرت أن نظافة المشرحة بمثابة نعمة بالإضافة إلى دقة زواياها واللمعان الأبيض لأقســـامها غير الملوثة، كما أن كل ما هو ســـلبي قد خُبئ وأخفي وراء نقاء خلائها على عكس المكان الذي عملت فيه هي وشقيقتها كل تلك الأشهر؛ حيـــث غُطيت جميع الأروقة والرفوف والأرشـــيفات بالنصوص القديمة التالفة والخرائط الواهية والكتيبات المنســـية، تربص بهما الأحياء-الأموات في الزوايا وهـــم يطالبـــون بإعادة الإحياء، أما في هذا المـــكان فالمرء يدرك أن النجاة أمر مستحيل.

سُـــمح لها بالبقاء بمفردها مع الجثة لمدة عشر دقائق كالعادة، وكانت هذه المرة الأولى التي يســـمح لها بهذا منذ ســـقوط الحصار؛ فلم يفحصها الأطباء

هنـــا ولم يحقق معها أفراد الشـــرطة أو ضباط الاتصال ولم يحركوها من مكان إلى آخر، لقد شـــعرت بالحرية للمرة الأولى منذ أيام لدرجة أنها اعتبرت البقاء بمفردها معجزة خارقة.

قالـــت المحققة إن التعاون هو الحل، وأنه ســـيتفعها في المحكمة. جرت الأمور بصورة أسلس مما تصورت فلم تفعل شيئاً سوى الإيماء برأسها والخضوع للشـــرطة قبل توقيع تصريح شـــاهد للتحقق من حدوث مـــا قالوه لها، لم يكن تسلسل الأحداث الحقيقي سيصب في صالح الشرطة أو الميليشيا أو الحكومة أو الدولة المجاورة على وجه الخصوص. لا شك بأن حقيقة إطلاقهم النار على مدنيين دون اســـتجوابهما كان سينتج عنها تقرير يدين العمليات الحكومية، كما أنهم فشلوا في اكتشاف هجوم فور حصوله نجمت عنه معاناة امرأة أخرى لديها طفل صغير من إصابات بليغة بالإضافة إلى بتر ساق بروفيسور مسن.

والأســـوأ من هذا أن أحد المحتجزين، وهو طالب باحث يبلغ من العمر أربعة وعشـــرين عاماً، وأُصيب بنوبة حساســـية قوية إثر الغـــازات المنومة التي أطلقتها الميليشيا وسرعان ما توفي بعد وصوله إلى المستشفى بوقت قليل. قالت المحققـــة لنـــان إنه على أحد ما دفع ثمن كل حـــالات الوفاة التي حدثت، وبما أن الطبيب النفســـي نصحهم بالفعل بعدم محاسبة الشقيقة الناجية لأنها محاولة عقيمـــة، صممـــت المحققة على التوصل إلى طريقة أخرى لإحضار القضية إلى المحكمة. قالت المحققة إنها لو تعاونت معها ووقعت على وثيقة الشاهد التي حضّروها لها ستسترد حريتها. إن الثمن الوحيد الذي وجب دفعه هو أنهم أرادوا اقتباس قصتها بما يتماشى مع قصتهم ويرافق هذا بعض التنازلات.

حين قرأت نان تصريح الشهادة حاولت جاهدة النظر إليه كمحاولة لمحاكاة الحقيقـــة وأن الحقيقة لم تُعرض بالأســـلوب التقليـــدي، ذكر التصريح أن إبين والدهما ولكن في الوقت ذاته ذكر أنه اســـتخدم هذه الحقيقة ضدهما ليبتزهما

ويرغمهما على فعل أمور معينة، وكتلك الكلمات التي نسيتها في أغلب الأوقات عثرت الشرطة أيضاً على طريقة للتحايل على القصة بما يلائم قصتهما تماماً في النهاية حسب رأيها. أليس الهدف الأساسي محاسبة إبين وإرغامه على الاعتراف بذنبه؟ هل من الضروري محاسبته على فعلته الأساسية ما دام العقاب الذي طال انتظاره سيُنفذ أخيراً؟

إبين، وبكل الأحوال وكيفما يتذكره الناس ورغم محاولات والدتهما الجاهدة كان سيدخل التاريخ الآن بصفته والدهما لأن هذا ما يتلاءم مع القصة، كما أن هذه الحقيقة نفسها التي عرفها الجميع قلصت كرهها له، وهو الشيء الذي عملت بكد على إخفائه. وحين ظهر أمام الملأ فقد كل هيبته، قالت لنفسها: كل لديه أصله وبدايته وليس بالضرورة أن يحبذه أو يفضله، لو نجت آنّا بدلاً منها لأدركت نان أنها ستتجاوز معضلة حرجها من قرابتها به وستعثر على طريقة لخلق علاقة معه وزيارته في السجن مثلاً ووضع خطط لتطبيقها بعد خروجه وتطوير علاقة لائقة بين أب وابنته. تساءلت إن كانت ستفكر في فعل الأمر ذاته قبل أن يخطفها المرض ويتهاوى عقلها تماماً.

فكرت: لا يزال هناك وقت لاكتشاف أوجه الشبه والاختلاف بينهما ولترى ما إن وجد شيء يتعلق به يساعدها على فهم حقيقتها. ربما ذكّرها بآنّا أيضاً وملأ وجوده ذلك الفراغ الذي خلفته قبل أن تفقد ذاكرتها، ففي النهاية ليس من المهم أن تزدهر علاقتهما أو لا وإذا ازدهرت فعلاً فستحقق رغبة والدتها بمعاقبته أكثر حين تفقد وعيها، فكّرت: لا شك أن إيلينا ستحب هذا، أي أن يزيد الطين بلة، حين تفكر أنها تمكنت منه بعد موتها واستطاعت سلبه ابنتيه، واحدة تلو الأخرى.

سُرت نان بقبول نسختهم من الأحداث في النهاية، كما أنها وافقت على القول إنها رأت دان وهو يدخل سيجارة وقداحة إلى أرشيف والدتهما وأنه المسؤول عن الحريق الذي دمر أعمال والدتها رغم أنها شكت في حقيقة هذا

الأمـــر. وعلى الرغم من أنها أدركت كم ســتحزن والدتهــا على اندثار أعمالها وذاكرتها، إلا أن نان شعرت أن الحريق قد محا كل آثار مرض كروتزفيلد جاكوب وأن جميع الأمور أصبحت أفضل الآن -لأنها في كل الأحوال لم تكن ستكتئب في المستقبل حين تقرأ أحداث حياتية لم تستطع تذكرها.

شــعرت أن التوقيع على وثيقة الشهادة كالتخلي عن كل ما أزعجها خلال الأشــهر الأخيرة عن طريق اختيار رواية أخرى للقصة. لبرهة، ارتاحت لوجود شخص آخر يقرر ما الخطوة التالية فلا تفعل شيئاً سوى الامتثال للأوامر، ولكنها غيّرت تفصيلاً صغيراً للقصة التي أرادوا إقناع أنفســهم بها بشــدة، لمسة أخيرة لجعلها أكثر تشويقاً من دون لفت الانتباه.

لــم يحاول عمال المشــرحة مواســاتها ولا تملقها، قــدّرت نان طريقتهم الاحترافيــة في التعامل مع الأمور فوظيفتهــم هي عرض الجثة عليها ليس إلا، جثة من عظم ولحم احتاجت أحداً ليتعرف إليها وفقاً للاجراءات المعتمدة، لقد توفيت آنّا وهذه هي الحقيقة الوحيدة، وإنه في النهاية، ومع الأسف، ملف واقعي غير أدبي مثّل الفصل الأخير في حياة شخص ما ولم يظهر أي شيء من اختلافه أو تميزه، لطالما اعتقدت نان أن الناس يبالغون في عرض شخصياتهم وتفردهم مع أنهم في الحقيقة لا يختلفون كثيراً عن بعضهم كما يخالون. ألم تحدق إلى وجه شــقيقتها في عدة حالات ولم ترَ سوى وجهها يحدق إليها هو الآخر؟ ألم تشــعر بالراحة والذعر في الوقت ذاته حينها؟ فكّرت: أنا وحيدة ولســت وحيدة في الوقت ذاته، لست أنا ولكنني أنا في آن، ذكرها هذا بشيء قالته والدتها عن تحولهن إلى ثلاثة أشخاص حين ولدتا وأنها لم تستطع أن تعد نفسها فرداً بعد أن ولدت شــخصين من بطنها، ذات مرة قالت: «أنا أحوي الكثير» وحدث هذا قبل أن يخطفها المرض بعيداً ولكثير من الأميال قبل أن يفككها شيئاً فشيئاً إلى قطع صغيرة لدرجة أنها لم تعد كلاً متكاملاً بل تركيبة من أجزاء مختلفة.

قلقت نان من رؤية وجه آنّا بعد موتها، أما زالت تشعر بأنه ينتمي إليها أو يمت لها بصلة؟ أو هل الموت هو الشيء الوحيد القادر على تفريقهما؟

اقترب رجل أصلع من الجثة وكشف عنها غلافها، ترددت نان، وسألت نفسها: ماذا لو دمرت الرصاصة وجهها الذي حفظته عن ظهر قلب؟ ماذا لو سُلبت منها السنوات التي حدقت فيها إلى تينك العينين المثاليتين اللتين لم تشبهما شائبة؟

عندما نظرت إليها بحذر تيقنت أنها لم تتغير، هربت منها صرخة غريزية ومروعة من أعماقها، هدأت من روعها، ولاحظت أن آنّا بدت جميلة وساكنة تماماً وكأن الموت لائق بها، ولكنها لم تشبه نفسها بعينيها المغمضتين وبغياب وشاحها، وبدا أن الشيء الذي تساءلت عن وجوده سابقاً -التفرد- قد ضاع إلى الأبد، لطالما وجدت تلك التفاصيل الصغيرة في جوهر الإنسان فتعبر عنه وتدفعه، ربما مثلت آنّا نفسها منذ البداية مثل نان تماماً.

قال الرجل صغير القد: «أنا آسف لاستعجالك، ولكن ستأتي عائلة في تمام الساعة الثالثة، هل تستطيعين التأكيد...؟».

نظرت نان إلى الأسفل مرة أخرى وأخيرة، مسّدت أحد حاجبي آنّا وشعرت أن بشرتها باردة كالثلج، أدركت نان أنها لن تُقارن بأحد ما بعد الآن على الإطلاق.

«أجل، إنها هي، هذه هي شقيقتي».

توقفت لبرهة لتتذكر سيرورة القصة وكيف قررت ألا تناقض اعتقادهم.

«هذه نان، نان أوديغ».

بدا الرجل راضياً وهو يلمس الشاشة بأصابعه ويمررها لها لتوقع، استخدمت نان أصبعها لتوقع: آنّا أوديغ، اسم يجوز فيه الوجهان ولديه وقع مختلف، ولكن من الغريب أنها شعرت بتلقائية تامة بكتابة هذا الاسم وكأنها انتظرت هذه اللحظة كل حياتها. لم تعد انعكاساً بل هي النسخة الوحيدة، والناجية الوحيدة، وكانت

هــذه طريقــة للاحتفاظ بآنّا حية داخلها وكأنها ســر في أعماقها، وبهذه الطريقة ألقي اللوم على نان -الشــخص الذي لم تعد تمثله- بخصوص الأمور التي لم يســتطيعوا ربطها بإبين. قالوا إن نان أطلقت النار على دان قبل أن تلقي بنفســها عن ســطح المبنى معه، أليس هذا ما حدث؟ أومأت نان برأســها حين ســمعت اعتقادهم ونظرت إليهم بعجز وخنوع كما كانت آنّا ســتفعل، وهي النظرة التي اعتادت أن ترمق أمهما بها حين كانت تريد التملص من شيء ما.

فكّرت نان: هذه أفضل طريقة لتلفيق التهمة، وعلى الرغم من معارضة إبين لهذه الفكرة إلا أن الأخت التي تمددت على الطاولة أمامها مجرد شــريكة منذ البداية، شريكة حساسة وساذجة وفريسة سهلة ليتلاعب بها محيطها.

فكّرت: هذه هي النهاية وهي تنظر مرة أخيرة إلى الأسفل في الوقت الذي نظر فيه عامل المشرحة إلى ساعته بتوتر، هذه هي لحظة الفراق التي تهيبتا منها طوال حياتهما وآخر فرصة لها لترى شــقيقتها، لطالما تفاخرتا بأنهما لا تشعران بالوحدة حتى ولو بقيتا بعيدتين عن بعضهما وذلك لأن كل واحدة منهما متأكدة من وجود الأخرى في هذا العالم الشاســع، هل كان هذا ســيتغير بعد رحيلها أو سيبقى بسبب شعور يتشاركه التوائم بغض النظر عما إذا كان أحدهم حياً أم لا، أي هذا المفهوم الذي يشعرهم بأنهم جزء من شيء أكبر؟

همســت: «إلى اللقاء يا آنّا». وحرصت ألا يســمعها عامل المشرحة، قبّلت جبهة شــقيقتها الباردة «سأراك قريباً، أنا واثقة من أننا سنجتمع مجدّداً في مكان ما».

عندما غادرت نان المشرحة شعرت بارتياح غامر لأنها محت نفسها نهائياً، لقد مســحت ســجلها بيدها وأصبحت آنّا، وهذا ما قد كان سيحدث منذ البداية لو تمســكت البيضة المخصبة بالرحم ولم تسمح إلا بولادة إحداهما، ألا وهي الطفلة الوحيدة التي خططت أمهما لولادتها أساساً.

استطاعت أن تصبح تلك الطفلة بعد ارتدائها ثوب آنّا، تلك الفتاة المكتملة التي أرادتها والدتهما، وربما لم يكن موتها وفاة فعلية وجسدية كشقيقتها. ولكن في غضون بضع سنوات يمكن ألا تتذكر نفسها وما فعلته، والحياة التي عاشتها حسب ما قال الطبيب.

بالطبع لن تتذكر أياً من هذا.

ولا حتى اسمها الذي لم يعد لها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

انتحار في المكتبة

تنتحر الروائية الرائدة إيلينا أودينغ بطريقة استعراضية، ويعزى سبب انتحارها إلى انتقادات أدبية شديدة وجّهها لها الناقد الأدبي إبين، وهو عضو في رابطة أدبية تنتقد الأديبات الشهيرات وتسعى إلى تحطيمهن.

لكن ابنتي الروائية الراحلة قررتا أن تمنحا إبين حق كتابة السيرة الذاتية لوالدتهما، ولكن لا يبدو أن قرارهما بريء. فجأة، تتوالى الأحداث وما بدا أنه خطة محكمة للانتقام يصبح فوضى عارمة، ويصبح طرح الأسئلة الكبيرة مشروعاً. هل انتحرت إيلينا فعلاً لأنها تعرضت لنقد أدبي قاسٍ أم أن هناك سبباً آخر؟ وهل كان الناقد المتهم ينتقدها بدافع الحب أم الكره؟ ولماذا اختارت ابنتا إيلينا المتهم ليكتب سيرة والدتهما الذاتية؟

فلور دافيد هي روائية حائزة على جوائز، ومغنية، وكاتبة أغانٍ وسيناريو تكتب باللغتين الويلزية والإنكليزية. وهي خريجة ماجستير الكتابة الإبداعية بجامعة إيست أنجليا، كانت سفيرة هاي فيستيفال الدولية السابقة وخريجة برنامج الكتابة الدولي الرائع في جامعة آيوا. رُشحت أيضاً لعدة جوائز بافتا سيمور عن أعمالها في كتابة السيناريو. تعيش في غرب ويلز مع زوجها وابنتيها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com